'Amr ibn-Bahr ibn-Mahbub al-Jahiz

المحاسن والأضداد

عبد الرحمن محمد

تأليف

﴿ أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري ﴾

﴿ إمام أهل الادب المتوفي سنة ٢٥٥ هـ ﴾

﴿ الطبعة الثالثة ﴾

سنة ١٣٣١ هـ

﴿ على نفقة المكتبة الجديدة لصاحبها ﴾

ابراهيم سليم

﴿ ادارة عبد الرؤف السنكرى ﴾

الكائنة بشارع الحلوجى بمصر

طبع بمطبعة الجمالية - بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله أجمعين

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ * انى ربما ألفت الكتاب المحكم المتقن فى الدين والفقه والرسائل والسيرة والخطب والخراج والاحكام وسائر فنون الحكمة وأنسبه الى نفسى فيتواطأ على الطعن فيه جماعة من أهل العلم بالحسد المركب فيهم وهم يعرفون براعته وفصاحته وأكثر ما يكون هذا منهم اذا كان الكتاب مؤلفا لملك معه المقدرة على التقديم والتأخير والحط والرفع والترهيب والترغيب فانهم يهتاجون عند ذلك اهتياج الابل المغتلمة فان أمكنتهم الحيلة فى اسقاط ذلك الكتاب عند السيد الذى ألف له فهو الذى قصدوه وأرادوه وان كان السيد المؤلف فيه الكتاب نحريراً نقاباً وتقريساً بليغاً وحاذقاً فطناً وأعجزتهم الحيلة سرقوا معانى ذلك الكتاب وألفوا من اعراضه وحواشيه كتاباً وأهدوه الى ملك آخر ومتوا اليه به وهم قد ذموه وثلبوه لما رأوه منسوباً الى وموسوماً بى .. وربما ألفت الكتاب الذى هو دونه فى معانيه وألفاظه فأترجمه باسم غيرى وأحيله على من تقدمنى عصره مثل ابن المقفع والخليل وسلم صاحب بيت الحكمة ويحيى بن خالد والعتابى ومن أشبه هؤلاء من مؤلفى الكتب فيأتينى أولئك القوم بأعيانهم الطاعنون على الكتاب الذى كان أحكم من هذا الكتاب لاستنساخ هذا الكتاب وقراءته على ويكتبونه بخطوطهم ويصيرونه إماماً يقتدون به ويتدارسونه بينهم ويتأدبون به ويستعملون ألفاظه ومعانيه فى كتبهم وخطاباتهم ويروونه عنى لغيرهم من طلاب ذلك الجنس فتثبت لهم به رياسة ويأتم بهم قوم فيه لانه لم يترجم باسمى ولم ينسب الى تأليفى .. وهذا كتاب وسمته (بالمحاسن والاضداد) لم أسبق الى نحلته ولم يسألنى أحد صنعه ابتدأته بذكر محاسن الكتابة والكتب وختمته فى ذكر شئ من محاسن الموت والله يكلأ ودمن حاسد اذا حسد

﴿ محاسن الكتابة والكتب ﴾

كانت العجم تقيد مآثرها بالبنيان والمدن والحصون مثل بناء أزدشير و بناء اصطخر و بناء المدائن والسدير والمدن والحصون .. ثم ان العرب شاركت العجم فى البنيان وتفردت بالكتب والاخبار والشعر والآثار فلها من البنيان غمدان وكعبة نجران وقصر مارب وقصر مارد وقصر شعوب والابلق الفرد وغير ذلك من البنيان : وتصنيف الكتب أشد تقييدا للمآثر على ممر الايام والدهور من البنيان لان البناء لامحالة يدرس وتعفى رسومه والكتاب باق يقع من قرن الى قرن ومن أمة الى أمة فهو أبدا جديد والناظر فيه مستفيد وهو أبلغ فى تحصيل المآثر من البنيان والتصاوير : وكانت العجم تجعل الكتاب فى الصخور ونقشا فى الحجارة وخلقة مركبة فى البنيان فربما كان الكتاب هو الناتئ وربما كان هو المحفور اذا كان ذلك تاريخا لامر جسيم أو عهدا لامر عظيم أو موعظة يرتجى نفعها أو احياء شرف يريدون تخليد ذكره كما كتبوا على قبة غمدان وعلى باب القيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مارب وعلى ركن المشقر وعلى الابلق الفرد وعلى باب الرها يعمدون الى المواضع المشهورة والاماكن المذكورة فيضعون الخط فى أبعد المواضع من الدثور وأمنعها من الدروس وأجدر أن يراه من مر به ولا ينسى على وجه الدهور . ولولا الحكم المحفوظة والكتب المدونة لبطل أكثر العلم ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر ولما كان للناس مفزع الى موضع استذكار ولو لم يتم ذلك لحرمنا أكثر النفع . ولولا مارسمت لنا الاوائل فى كتبها وخلدت من عجيب حكمتها ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ماغاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وأدركنا مالم نكن ندركه الا بهم لقد بخس حظنا منه وأهل العلم والنظر وأصحاب الفكر والعبر والعلماء بمخارج الملل وأرباب النحل وورثة الانبياء وأعوان الخلفاء يكتبون كتب الظرفاء والصلحاء وكتب الملاهى وكتب أعوان الصلحاء وكتب أصحاب المراء والخصومات وكتب السخفاء وحمية الجاهلية ،، ومنهم من يفرط فى العلم أيام خموله وترك ذكره وحداثة سنه ،، ولولا جياد الكتب وحسانها لما تحركت همم هؤلاء لطلب العلم ونازعت الى حب الكتب وأنفت من حال الجهل وان يكونوا فى غمار الوحش ولدخل عليهم من الضرر والمشقة وسوء الحال ماعسى أن يكون لا يمكن الاخبار عن مقداره الا بالكلام الكثير ،، وسمعت محمد بن الجهم يقول اذا غشينى النعاس فى غير وقت النوم تناولت كتابا فأجد اهتزازى للفوائد الاريحية التى تعترينى من سرور الاستنباه وعز التبين أشد إيقاظا من نهيق الحمار وهدة الهدم فانى اذا استحسنت كتابا

واستجدته و رجوت فائدته لم أوثر عليه عوضا ولم أبغ به بدلا فلا أزال أنظر فيه ساعة بعد ساعة كم بقى من ورقه مخافة استنفاده وانقطاع المادة من قبله ،، وقال ابن داحة كان عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس فنزل مقبرة من المقابر وكان لا يزال فى يده كتاب يقرؤه فسئل عن ذلك فقال لم أر أوعظ من قبر ولا آنس من كتاب ولا أسلم من الوحدة ،، وأهدى بعض الكتاب الى صديق له دفترا أو كتب معه . هديتى هذه أعزك الله تزكو على الانفاق وتربو على الكد لا تفسدها العوارى ولا تخلقها كثرة التقليب وهى إنس فى الليل والنهار والسفر والحضر تصلح للدنيا والآخرة تؤنس فى الخلوة وتمنع من الوحدة مسامر مساعد ومحدث مطاوع ونديم صدق . وقال بعض الحكماء الكتب بساتين العلماء ،، وقال آخر .. الكتاب جليس لا مؤنة له ،، وقال آخر الكتاب جليس بلا مؤنة .. وقال آخر ذهبت المكارم الا من الكتب

﴿قال الجاحظ﴾ .. وأنا أحفظ وأقول : الكتاب نعم الذخر والعقدة والجليس والعمدة ونعم النشرة ونعم النزهة ونعم المشتغل والحرفة ونعم الانيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل والزميل ونعم الوزير والنزيل . والكتاب وعاء ملىء علما وظرف حشى ظرفا واناء شحن مزاحا إن شئت كان أعيي من باقل وان شئت كان أبلغ من سحبان وائل وان شئت سرتك نوادره وشجتك مواعظه ومن لك بواعظ مله و بناسك فاتك وناطق أخرس ومن لك بطبيب اعرابى و رومى هندى وفارسى يونانى ونديم مولد ونجيب ممتع ومن لك بشىء يجمع الاول والآخر والناقص والوافر والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والغث والسمين والشكل وخلافه والجنس وضده . و بعد فما رأيت بستانا يحمل فى ردن و روضة تنقل فى حجر ينطق عن الموتى و يترجم عن الاحياء ومن لك بمؤنس لا ينام الا بنومك ولا ينطق الا بما تهوى آمن من الارض وأكتم للسر من صاحب السر وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة ولا أعلم جارا آمن ولا خليطا أنصف ولا رفيقا أطوع ولا معلما أخضع ولا صاحبا أظهر كفاية وعناية ولا أقل املالا ولا ابراما ولا أبعد من مراء ولا أترك لشغب ولا أزهد فى جدال ولا أكف عن قتال من كتاب ولا أعم بيانا ولا أحسن مواتاة ولا أعجل مكافاة ولا شجرة أطول عمرا ولا أطيب ثمرا ولا أقرب مجتنى ولا أسرع ادراكا ولا أوجد فى كل إبان من كتاب ولا أعلم نتاجا فى حداثة سنه وقرب ميلاده و رخص ثمنه و إمكان وجوده يجمع من السير العجيبة والعلوم الغريبة وآثار العقول الصحيحة ومحمود الاذهان اللطيفة ومن الحكم الرفيعة والمذاهب القديمة والتجارب الحكيمة والاخبار عن القرون الماضية والبلاد النازحة والامثال السائرة والامم البائدة ما يجمعه كتاب . ومن لك بزائر إن شئت كانت زيارته غبا و ورده خمسا وإن شئت

لزمك لزوم ظلك وكان منك كبعضك. والكتاب هو الجليس الذى لا يطريك والصديق الذى لا يقليك والرفيق الذى لا يملك والمستمع الذى لا يستزيدك والجار الذى لا يستبطئك والصاحب الذى لا يريد استخراج ما عندك بالملق ولا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالنفاق. والكتاب هو الذى ان نظرت فيه أطال امتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجود بيانك وفخم ألفاظك وبجح نفسك وعمر صدرك ومنحك تعظيم العوام وصداقة الملوك يطيعك بالليل طاعته بالنهار وفى السفر طاعته فى الحضر وهو المعلم إن افتقرت اليه لم يحقرك وإن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة وإن عزلت لم يدع طاعتك وإن هبت ريح أعدائك لم ينقلب عليك ومتى كنت متعلقاً منه بأدنى حبل لم تضطرك معه وحشة الوحدة إلى جليس السوء وإن أمثل ما يقطع به الفراغ نهارهم وأصحاب الكفايات ساعات ليلهم نظر فى كتاب لا يزال لهم فيه ازدياد فى تجربة وعقل ومروءة وصون عرض وإصلاح دين وتثمير مال ورب صنيعة وابتداء إنعام. ولو لم يكن من فضله عليك وإحسانه اليك الا منعه لك من الجلوس على بابك والنظر الى المارة بك مع ما فى ذلك من التعرض للحقوق التى تلزم ومن فضول النظر وملابسة صغار الناس ومن حضور ألفاظهم الساقطة ومعانيهم الفاسدة وأخلاقهم الردية وجهالتهم المذمومة لكان فى ذلك السلامة والغنيمة واحراز الاصل مع استفادة الفرع ولو لم يكن فى ذلك الا أنه يشغلك عن سخف المنى واعتياد الراحة وعن اللعب وكل ما تشتهيه لقد كان له فى ذلك على صاحبه أسبغ النعم وأعظم المنة. وجملة الكتاب وان كثر ورقه فليس مما يمل لانه وان كان كتابا واحداً فانه كتب كثيرة فى خطابه والعلم بالشريعة والاحكام والمعرفة بالسياسة والتدبير. وقال مصعب بن الزبير. ان الناس يتحدثون باحسن ما يحفظون ويحفظون أحسن ما يكتبون ويكتبون أحسن ما يسمعون فاذا أخذت الادب فخذه من أفواه الرجال فانك لا ترى ولا تسمع الا مختاراً ولؤلؤاً منظوما. وقال لقمان لابنه يا بنى نافس فى طلب العلم فانه ميراث غير مسلوب وقرين غير مغلوب ونفيس حظ من الناس وفى الناس مطلوب،، وقال الزهرى. الادب ذكر لا يحبه الا الذكور من الرجال ولا يبغضه الا مؤنثهم،، وقال. اذا سمعت أدبا فاكتبه ولو فى حائط. وقال منصور ابن المهدى للمأمون. أيحسن بنا طلب العلم والادب قال: والله لان أموت طالبا للادب خير لى من أن أعيش قانعا بالجهل قال: فالى متى يحسن بى ذلك قال ما حسنت الحياة بك.

﴿ ضده ﴾

الحديث المرفوع رحم الله عبداً أصلح من لسانه. وكان الوليد بن عبد الملك لحّانة فدخل عليه اعرابى يوماً فقال انصفنى من ختنى يا أمير المؤمنين فقال ومن ختنك قال رجل من الحى لا

اعرف اسمه فقال عمر بن عبد العزيز أن أمير المؤمنين يقول لك من ختنك فقال هو ذا بالباب فقال الوليد لعمر ما هذا قال النحو الذي كنت أخبرتك عنه . قال لا جرم فاني لا أصلي بالناس حتى أتعلمه . قال وسمع اعرابي مؤذنا يقول : أشهد أن محمدا رسول الله فقال يفعل ماذا قال وقال رجل لزياد : أيها الامير إن أبينا هلك وان أخينا غصبنا على ميراثنا من أبانا فقال زياد ماضيعت من نفسك اكثر مما ضاع من ميراث أبيك فلا رحم الله أباك حيث ترك ابنا مثلك . وقال مولى لزياد : أيها الامير احذوا لناهما روحش . فقال : ما تقول . فقال احذوا لنا ابراء . فقال زياد . الاول خير من الثانى .. قال واختصم رجلان الى عمر بن عبد العزيز فجعلا يلحنان فقال الحاجب . قالقد أوذيتما أمير المؤمنين . فقال عمر للحاجب . أنت والله اشد اذاء منهما .. قال وقال بشر المريسي وكان كثير اللحن : قضى لكم الامير على أحسن الوجوه وأهنؤها . فقال القاسم التمار هذا على قوله .

إنّ سُليمى والله يكلؤها * ضنّت بشيء ما كان يرزؤها

فكان احتجاج القاسم أطيب من لحن بشر .. قال وكان زياد النبطي شديد اللكنة وكان نحويا فدعى غلامه ثلاثا فلما أجابه قال . من لدن دأوتك الى أن دينى ما كنت تصنع . يريد دعوتك وجئتني وتصنع .. ومر ماسرجويه الطبيب بمعاذ بن مسلم فقال . يا ماسرجويه انى لاجد فى حلقى بحجا . قال هو من عمل بلغم . فلما جاوزه قال ترانى لا أحسن أن أقول بلغم ولكنه قال بالعربية فأجبته بضدها .

﴿ محاسن المخاطبات ﴾

حكوا عن ابن القرية .. انه دخل على عبد الملك بن مروان فبيناهو عنده اذ دخل بنو عبد الملك عليه فقال : من هؤلاء الفتية يا أمير المؤمنين . قال ولد أمير المؤمنين . قال . بارك الله لك فيهم كما بارك لابيك فيك وبارك لهم فيك كما بارك لك فى أبيك . قال فشحن فاه درا .. قال وقال عمارة بن حمزة لابى العباس وقد أمر له بجوهر نفيس وصلك الله يا أمير المؤمنين وبرك فوالله لئن أردنا شكرك على انعامك ليقصرن شكرنا عن نعمتك كما قصر الله بنا عن منزلتك .. قيل ودخل اسحاق بن ابراهيم الموصلى على الرشيد فقال مالك قال

سَوامي سَوامُ المكثرين تَجَمُّلاً * ومالي كما قد تعلمينَ قليلُ
وآمِرةٍ بالبخل قلتُ لها اقصِري * فذلكَ شيءٌ ما إليه سَبيلُ
وكيفَ أخافُ الفقرَ أو أُحرَمُ الغنى * ورأيُ أميرِ المؤمنينَ جميلُ
أرى الناسَ خِلّانَ الجوادِ ولا أرى * بخيلاً له في العالمينَ خليلُ

فقال الرشيد : هذا والله الشعر الذي صحت معانيه وقويت أركانه ومبانيه ولذ على أفواه القائلين واسماع السامعين ياغلام احمل اليه خمسين ألف درهم ، قال اسحق . ياأمير المؤمنين كيف أقبل صلتك وقد مدحت شعري باكثر مما مدحتك به ، قال الاصمعي . فعلمت انه أصيد للدراهم مني ،، قال ودخل المأمون ذات يوم الديوان فنظر الى غلام جميل على أذنه قلم فقال من أنت ، قال . أنا الناشيء في دولتك المتقلب في نعمتك المؤمل لخدمتك الحسن بن رجاء ، فقال المأمون . بالاحسان في البديهة تتفاضل العقول يرفع عن مرتبة الديوان الى مراتب الخاصة و يعطى مائة ألف درهم تقوية له ،، قال . ووصف يحيي بن خالد الفضل بن سهل وهو غلام على المجوسية للرشيد وذكر أدبه وحسن معرفته فعمل على ضمه الى المأمون فقال ليحيي يوماً . أدخل الى هذا الغلام المجوسي حتى أنظر اليه فاوصله فلما مثل بين يديه ووقف تحير فأراد الكلام فارتج عليه فادركته كبوة فنظر الرشيد الى يحيي نظرة منكرة لما كان تقدم من تقريظه اياه فانبعث الفضل بن سهل فقال . فقال يا أمير المؤمنين ان من أبين الدلائل على فراهة المملوك شدة افراط هيبته لسيده ،، فقال له الرشيد . أحسنت والله لئن كان سكوتك لتقول هذا انه لحسن ولئن كان شيئاً أدركك عند انقطاعك انه لاحسن وأحسن ثم جعل لا يسأله عن شيء الا رآه فيه مقدما فضمه الى المأمون ،، قال وقال الفضل بن سهل للمأمون وقد سأله حاجة لبعض أهل بيوتات دهاقين سمرقند كان وعده تعجيل انفاذها فتأخر ذلك . هب لوعدك مذكراً من نفسك وهنيء سائلك حلاوة نعمتك واجعل ميلك الى ذلك في الكرم حثاً على اصطفاء شكر الطالبين تشهد لك القلوب بحقائق الكرم والالسن بنهاية الجود ، فقال . قد جعلت اليك اجابة سؤالي عني عما ترى فيهم وآخذك في التقصير فيما يلزم لهم من غير استئمار أو معاودة في اخراج الصكاك من أحضر الاموال متناولا قال اذاً لا تجدي معرفتي بما يجب لامير المؤمنين الهناء به بما يديم له منهم حسن الثناء و يستمد بدعائهم طول البقاء ،، وقال الفضل بن سهل للمأمون . . ياأمير المؤمنين اجعل نعمتك صائنة لوجوه خدمك عن اراقة مائها في غضاضة السؤال فقال والله لا كان ذلك الا كذلك ،، قال ودخل العتابي على المأمون فقال . . خبرت بوفاتك فغمتني ثم جاءتني وفادتك فسرتني فقال يا أمير المؤمنين كيف أمدحك أم بماذا أصفك ولا دين الا بك ولا دنيا الا معك قال سلني ما بدالك قال يداك بالعطية أطلق من لساني بالمسئلة ،، قال وقدم السعدي أبو وجزة على المهلب بن أبي صفرة . فقال اصلح الله الامير اني قد قطعت اليك الدهناء وضربت اليك آباط الابل من يثرب قال فهل اتيتنا بوسيلة أو عشرة أو قرابة قال لا ولكني رأيتك لحاجتي اهلا فان قمت بها فاهل ذلك وان يحل دونها حائل لم أذمم يومك ولم اياس من غدك فقال المهلب يعطى ما في

بيت المال فوجد مائة الف درهم فدفعت اليه فاخذها . وقال .

يا من على الجود صاغ الله راحته * فليس يحسن غير البذل والجود
عمّت عطاياك من بالشرق قاطبة * فأنت والجود منحوتان من عود

وقد يجب على العاقل الراغب فى الادب ان يحفظ هذه المخاطبات ويدمن قراءتها .. وقد قال الاصمعى

أما لو أعى كلّ ما أسمع * وأحفظ من ذاك ما أجمع
ولم أستفد غير ما قد جمعت * لقيل أنا العالم المقنع
ولكنّ نفسى إلى كلّ شىء * من العلم تسمعه تنزع
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت * ولا أنا من جمعه أشبع
وأقعد للجهل فى مجلس * وعلمى فى الكتب مستودع
ومن يك فى علمه هكذا * يكن دهره القهقرى يرجع
يضيع من المال ما قد جمعت * وعلمك فى الكتب مستودع
إذا لم تكن حافظاً واعياً * فجمعك للكتب ما ينفع

وقال بعضهم .. الحفظ مع الاقلال امكن وهو مع الاكثار ابعد وتغيير الطبائع زمن رطوبة الغصن اقبل .. وفيها قال الشاعر

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلباً خالياً فتمكنا

وقيل ،، العلم فى الصغر كالنقش فى الحجر والعلم فى الكبر كالعلامة على المدر .. فسمع ذلك الاحنف فقال الكبير أكثر عقلا ولكنه أكثر شغلا .. كما قال

وإن من أدّبته فى الصبى * كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تراه مورقاً ناضراً * بعد الذى أبصرت من يبسه

والصبى عن الصبى افهم وهو له آلف واليه انزع .. وكذلك العالم عن العالم والجاهل عن الجاهل .. وقال الله تعالى (ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلا) لان الانسان عن الانسان أفهم وطباعه بطباعه آنس

﴿ ضده ﴾

قال ،، دخل أبو علقمة النحوى على أعين الطبيب فقال .. انى أكلت من لحوم الجوازى

وطسئت طساة فاصابنى وجع بين الوابلة الى دأية العنق فلم يزل يربوو يغو حتى خالط الشراسيف فهل عندك دواء . . قال نعم خذ خوفقا وسربتاور قرقا فاغسله واشربه بماء فقال لا أدرى ماتقول قال ولا انا دريت ماقلت . . قال وقال يوما آخر انى أجد ممممة فى قلبى وقرقرة فى صدرى فقال له أما الممممة فلا أعرفها وأما القرقرة فهى ضراط غير نضيج . . قال وأتى رجل الهيثم بن العريان بغريم له قدمطله حقه فقال أصلح الله الامير إن لى على هذا حقا قد غلبنى عليه فقال له الآخر أصلحك الله ان هذا باعنى عنجدا واستنسأته حولا وشرطت عليه أن أعطيه مياومة فهو لا يلقانى فى لقم الا اقتضانى ذهبا فقال له الهيثم امن بنى أمية أنت قال لا قال افمن بنى هاشم أنت قال لا قال أفمن أكفائهم من العرب قال لا قال ويلى عليك انزعوا ثيابه فلما أرادوا أن ينزعو ثيابه قال اصلحك الله أن إزارى مرعبل قال دعوه فلو ترك الغريب فى موضع لتركه فى هذا الموضع . . قال ومر أبو علقمة ببعض الطرق فهاجت به مرة فوثب عليه قوم فجعلوا يعصرون ابهامه ثم يؤذنون فى أذنه فافلت من أيديهم فقال مالكم تكأكأتم على كتكأكؤكم على ذى جنة افرنقعوا عنى فقال رجل منهم دعوه فان شيطانه يتكلم بالهندية . . قال وقال لحجام يحجمه اشدد قصب الملازم وارهف ظبة المشارط وخفف الوضع وعجل النزع وليكن شرطك وخزا ومصك نهزا ولا تكرهن ابيا ولا تردن اتيا فوضع الحجام محاجمه فى جونته وانصرف

﴿محاسن المكاتبات﴾

قال كعب العبسى لعروة بن الزبير . . قد أذنبت ذنبا الى الوليد بن عبد الملك وليس تزيل غضبه شيء فاكتب لى اليه فكتب اليه . . لو لم يكن لكعب من قديم حرمته ما يغفر له عظيم جريرته لوجب أن لا تحرمه التفيؤ بظل عفوك الذى تأمله القلوب ولا تعلق به الذنوب وقد استشفع بى اليك فوثقت لهمنك بعفو لا يخالطه سخط فحقق أمله وصدق ثقتى بك تجد الشكر وافيا بالنعمة فكتب اليه الوليد . . قد شكرت رغبته اليك وعفوت عنه لمعوله عليك وله عندى ما يحب فلا تقطع كتبك عنى فى أمثاله وفى سائر أمورك . . وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الى بعض اخوانه . . أما بعد فقد عاقنى الشك عن عزيمة الرأى ابتدأتنى بلطف من غير خبرة ثم أعقبتنى جفاء من غير ذنب فاطمعنى اولك فى إحسانك وأيأسنى آخرك من وفائك فلا انا فى غير الرجاء مجمع لك إطراحا ولا فى غد انتظره منك على ثقة فسبحان من لو شاء كشف إيضاح الرأى فيك فاقمنا على ائتلاف أو افترقنا على اختلاف . . قال وسخط مسلمة بن عبد الملك على العريان بن الهيثم فعزله عن شرطة الكوفة فشكا ذلك الى عمر بن عبد العزيز فكتب اليه . . ان من حفظ أنعم الله رعاية ذوى الاسنان ومن إظهار شكر الموهوب صفح القادر عن الذنب ومن تمام

السودد حفظ الودائع واستمام الصنائع وقد كنت أودعت العريان نعمة من أنعمك فسلبتها عجلة سخطك وما انصفته غضبته على أن وليته ثم عزلته وخليته وانا شفيعه فأحب أن تجعل له من قلبك نصيبه ولا تخرجه من حسن رأيك فتضيع ما أودعته وتتوى (١) ما أفدته .. فعفى عنه ورده الى عمله .. قال وغضب سليمان بن عبد الملك على ابن عبيد مولاه فشكا الى سعيد بن المسيب ذلك فكتب اليه .. أما بعد فان أمير المؤمنين فى الموضع الذى يرتفع قدره عما تقتضيه رعيته وفى عفو أمير المؤمنين سعة للمسيئين .. فرضى عنه .. قال وطلب العتابى من رجل حاجة فقضى له بعضها ومطله ببعض فكتب اليه .. أما بعد فقد تركتنى منتظراً لوعدك منتجزا لرفدك وصاحب الحاجة محتاج الى نعم هنيئة أولا مريحة والعذر الجميل أحسن من المطل الطويل .. وقد قلت بيتى شعر

بَسطتَ لسانى ثم أوثقتَ نصفهُ ٭ فنصفُ لسانى بامتداحك مطلقُ

فان أنتَ لم تُنجز عداى تركتنى ٭ وباقى لسانَ الشكر باليأس موثقُ

قال .. وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون فى رجل من بنى ضبة يستشفع له بالزيادة فى منزلته وجعل كتابه تعريضا .. أما بعد فقد استشفع بى فلان يا أمير المؤمنين لتطولك على فى إلحاقه بنظرائه من الخاصة فيما يرتزقون به وأعلمته ان امير المؤمنين لم يجعلنى فى مراتب المستشفعين وفى ابتدائه بذلك تعدى طاعته والسلام .. فكتب اليه المأمون قد عرفنا تصريحك له وتعريضك لنفسك وأجبناك اليهما ووقفناك عليهما .. قال وكتب عمرو بن مسعدة الى المأمون كتابا يستعطفه على الجند .. كتابى الى أمير المؤمنين ومن قبلى من أجناده وقواده فى الطاعة والانقياد على أحسن ما تكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم .. فقال المأمون والله لأقضين حق هذا الكلام وأمر باعطائهم لثمانية أشهر .. قال وقدم رجل من أبناء دهاقين قريش على المأمون لعدة سلفت منه فطال على الرجل انتظار خروج أمر المأمون فقال لعمرو بن مسعدة توصل فى رقعة منى الى أمير المؤمنين تكون أنت الذى تكتبها تكون لك على نعمتان فكتب .. ان رأى أمير المؤمنين أن يفك أسر عبده من ربقة المطل بقضاء حاجته و يأذن له فى الانصراف الى بلده فعل ان شاء الله .. فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عمرا فجعل يعجبه من حسن لفظها وايجاز المراد فقال عمرو فما نتيجتها يا أمير المؤمنين قال الكتاب له فى هذا الوقت بما وعدناه لئلا يتأخر فضل استحساننا كلامه وبجائزة ألف درهم صلة على دناءة المطل وسماجة الاغفال ففعل ذلك له .. وحدثنا اسماعيل بن شاكر قال لما أصاب أهل مكة السيل

---

(١) التواء الهلاك

الذى شارف الحجر ومات تحته خلق كثير كتب عبيد الله بن الحسن العلوى وهو والى الحرمين الى المأمون . . ان أهل حرم الله وجيران بيته والاف مسجده وعمرة بلاده قد استجاروا بعز معروفك من سيل تراكمت أخر ياته فى هدم البنيان وقتل الرجال والنسوان واجتياح الاصول وجرف الاثقال حتى ماترك طارفا ولا تالدا للراجع اليهما فى مطعم ولا ملبس فقد شغلهم طلب الغذاء عن الاستراحة الى البكاء على الامهات والاولاد والآباء والاجداد فاجرهم يا أمير المؤمنين بعطفك عليهم واحسانك اليهم تجد الله مكافئك عنهم ومثيبك عن الشكر منهم . قال فوجه اليهم المأمون بالاموال الكثيرة . . وكتب الى عبيد الله اما بعد فقد وصلت شكيتك لاهل حرم الله أمير المؤمنين فبكاهم بقلب رحمته وأنجدهم بسيب نعمته وهو متبع ما أسلف اليهم بما يخلفه عليهم عاجلا وآجلا ان أذن الله فى تثبيت عزمه على صحة نيته . . قال فصار كتابه هذا آنس لاهل مكة من الاموال التى أنفذها اليهم . . قال وكتب جعفر بن محمد بن الاشعث الى يحيى بن خالد يستعفيه من العمل . شكرى لك على ما أريد الخروج منه شكر من سأل الدخول فيه قال وكتب على بن هشام الى اسحق بن ابراهيم الموصلى . . ما أدرى كيف أصنع أغيب فاشتاق والتقى ولا أشتفى ثم يحدث لى اللقاء الذى طلبت منه الشفاء نوعا من الحرقة للوعة الفرقة . . قال وكتب معقل الى أبى دلف فلان جميل الحال عند الكرام فان أنت لم ترتبطه بفضلك عليه فعل غيرك . . وكتب ابو هاشم الحربى الى بعض الامراء غرضى من الامير معوز والصبر على الحرمان معجز وكتب آخر الى صديق له أما بعد فقد أصبح لنا من فضل الله ما لا نحصيه مع كثرة ما نعصيه وما ندرى ما نشكر أجميل ما نشر أم كثير ما ستر أم عظيم ما أبلى ام كثير ما عفى غير انه يلزمنا فى كل الامور شكره ويجب علينا حمده فاستزد الله فى حسن بلائه كشكرك على حسن آلائه

﴿ ضده ﴾

(قال الجاحظ) كتب ابن المراكبى الى بعض ملوك بغداد جعلت فداك برحمته قال وقرأت على عنوان كتاب لابى الحسن الشهرى . للموت لاقبلة . وقرأت ايضاً على عنوان كتاب الى الذى كتب الىّ

﴿ محاسن الجواب ﴾

قال دخل رجل على كسرى ابرويز فشكى اليه عاملا غصبه على ضيعة له . فقال له كسرى منذ كم هى فى يدك قال منذ أربعين سنة قال فانت تأكلها اربعين سنة ما عليك أن يأكل عامل منها سنة واحدة فقال وما كان على الملك أن يأكل بهرام جور الملك سنة واحدة فقال ادفعوا فى قفاه فاخرجوه فلما خرج أمكنته التفاتة فقال دخلت بظلمة وخرجت بثنتين فقال كسرى ردوه وامر

يرد ضيعته وصيره في خاصته . و يقال ان سعيد بن مرة الكندي حين أتى معاوية . قال له أنت سعيد قال أمير المؤمنين سعيد وأنا ابن مرة . قال ودخل السيد بن أنس الازدي على المأمون . فقال أنت السيد فقال أنت السيد يا أمير المؤمنين وأنا ابن أنس . قال وقيل للعباس بن عبد المطلب أنت اكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو عليه الصلاة والسلام أكبر مني وأنا ولدت قبله ، قال وقال الحجاج للمهلب أنا أطول أم أنت قال الامير أطول وأنا أبسط قامة منه ، قيل ووقف المهدي على امرأة من بني ثعل فقال لها ممن العجوز قالت من طيء قال ما منع طيأ أن يكون فيها آخر مثل حاتم قالت الذي منع العرب أن يكون فيها آخر مثلك فأعجب بقولها ووصلها ، قيل ولما استوثق أمر العراق لعبد الله بن الزبير وجه مصعب اليه وفدا فلما قدموا عليه قال لهم وددت أن لي بكل خمسة منكم رجلا من أهل الشام فقال رجل من أهل العراق يا أمير المؤمنين علقناك وعلقت بأهل الشام وعلق أهل الشام بآل مروان فما أعرف لنا مثلا إلا قول الاعشى

عَلِقْتُها عَرَضًا وَعَلِقَتْ رَجُلاً ❊ غَيْرِي وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ

فما وجدنا جوابا أحسن من هذا ،، قال وقال مسلمة بن عبد الملك ،، ما شيء يؤتى العبد بعد الايمان بالله تعالى أحب الي من جواب حاضر فان الجواب اذا اعقب لم يكن شيئا

﴿ ضده ﴾

قال اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم فذكر عمرو الزبرقان قال ،، بابي أنت وأمي يا رسول الله انه لمطاع جواد الكف مطاع في أدانيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره ،، فقال الزبرقان بابي أنت وأمي يا رسول الله انه ليعرف مني اكثر من هذا ولكنه يحسدني ،، فقال عمرو والله يا نبي الله ان هذا لزمر المروءة ضيق العطن لئيم العم أحمق الخال فرأى الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال يا رسول الله ما كذبت في الاولى ولقد صدقت في الاخرى ولكني رضيت فقلت أحسن ما علمت وسخطت فقلت أسوأ ما اعلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا وان من الشعر لحكما ،، وذكروا ان الوليد بن عقبة قال لعقيل بن أبي طالب ،، غلبك علي على الثروة والعدد .. قال وسبقني واياك الى الجنة ،، قال الوليد اما والله ان شدقيك لمتضمخان من دم عثمان ،، قال عقيل مالك ولقريش وانما أنت فيهم كنيح المبسر ،، فقال الوليد والله اني لارى لو أن أهل الارض اشتركوا في قتله لوردوا صعودا ،، فقال له عقيل كلا أما ترغب عن صحبة أبيك .. قال وقال رجل من قريش لخالد بن صفوان ما اسمك قال خالد بن صفوان بن الاهتم ،، قال ان اسمك لكذب ما أنت بخالد وان اباك لصفوان وهو حجر وان

جدك لا هتم والصحيح خير من الاهتم ،، قال له خالد من أى قريش انت ،، قال من عبد الدار ابن قصى بن كلاب ،، قال لقد هشمتك هاشم وامتك أمية وجمحت بك جمح وخزمتك مخزوم واقصتك قصى فجعلتك عبد دارها تفتح اذا دخلوا وتغلق اذا خرجوا . قيل ومر الفرزدق فرأى خليفة الشاعر فقال له ،، يا أبا فراس من القائل

هُوَ القَينُ وابنُ القَينِ لا قَينَ مثلُهُ * لِقَطعِ المَساحِي أو لِجَدلِ الاداهِمِ

قال الفرزدق الذى يقول .

هُوَ اللصُّ وابنُ اللصِّ لا لِصَّ مثلُهُ * لِنَقبِ جدارٍ أو لِطَرِّ الدَّراهِمِ

﴿ محاسن حفظ اللسان ﴾

قال اكثم بن صيفى ،، مقتل الرجل بين فكيه - يعنى لسانه - وقال ،، رب قول اشد من صول وقال ،، لكل ساقطة لاقطة .. وقال المهلب لبنيه ،، اتقوا زلة اللسان فانى وجدت الرجل تعثر قدمه فيقوم من عثرته ويزل لسانه فيكون فيه هلاكه .. قال يونس بن عبيد ،، ليست خلة من خلال الخير تكون فى الرجل هى أحرى أن تكون جامعة لانواع الخير كلها من حفظ اللسان . وقال قسامة بن زهير ، يامعشر الناس ان كلامكم أكثر من صمتكم فاستعينوا على الكلام بالصمت وعلى الصواب بالفكر . وكان يقال ينبغى للعاقل أن يحفظ لسانه كما يحفظ موضع قدمه ومن لم يحفظ لسانه فقد سلطه على هلاكه ، وقال الشاعر

عليكَ حفظَ اللسانِ مجتهداً * فإنَّ جلَّ الهلاكِ فى زَلَلِه

غيره

وجُرحُ السَّيفِ تأسوهُ فيَبرأ * وجُرحُ الدَّهرِ ماجرحَ اللسانُ

جراحاتُ الطعانِ لها التئامٌ * ولا يَلتامُ ما جرحَ اللسانُ

غيره

إحفظْ لِسانَكَ لاتقولُ فتبتلى * إنَّ البلاءَ مُوكَّلٌ بالمنطقِ

غيره

لَعَمرُكَ ماشىءٌ عَلِمتَ مكانَهُ * أحقُّ بسِجنٍ مِن لِسانٍ مُذَلَّلِ

على فيكَ ممّا ليس يَعنيكَ قولُهُ * بقُفلٍ شديدٍ حيثُ ما كنتَ فاقفِلِ

قيل ، تكلم أربعة من الملوك باربع كلمات كانما رميت عن قوس واحد قال كسرى . أنا

على رد مالم أقل أقدر منى على رد ماقلت ، وقال ملك الهند . اذا تكلمت بكلمة ملكتنى وان كنت أملكها ، وقال قيصر ، لا أندم على مالم اقل وقد ندمت على ماقلت ، وقال ملك الصين عاقبة ماقد جرى به القول أشد من الندم على ترك القول ، وقال بعضهم ، من حصافة الانسان أن يكون الاستماع أحب اليه من النطق اذا وجد من يكفيه فانه لن يعدم الصمت والاستماع سلامة و زيادة فى العلم ، وقال بعض الحكماء ، من قدر على أن يقول فيحسن فانه قادر على أن يصمت فيحسن ، وقال بعضهم ، كان ابن عبيدة الريحانى المتكلم الفصيح صاحب التصانيف يقول . الصمت أمان من تحريف اللفظ وعصمة من زيغ المنطق وسلامة من فضول القول وقال أبو عبيد الله كاتب المهدى ، كن على الناس الحظ بالسكوت أحرص منك على الناس بالكلام ، وكان يقال ، من سكت فسلم كان كمن قال فغنم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ان الله تعالى يكره الانبعاق فى الكلام برحم الله امرأ أوجز فى كلامه واقتصر على حاجته قيل وكلم رجل سقراط عند قتله بكلام أطاله فقال ، أنسانى أول كلامك طول عهده فارق آخره فهمى لتفاوته ، ولما قدم ليقتل بكت امرأته فقال ، لها ما يبكيك قالت تقتل ظلما قال وكنت تحبين أن أقتل حقا أو أقتل ظالما ، وشتم رجل المهلب فلم يجبه فقيل له حلمت عنه فقال ما أعرف مساويه وكرهت أن أبهته بما ليس فيه ، وقال سلمة بن القاسم عن الزبير قال ، حملت الى المتوكل وأدخلت عليه فقال يا أبا عبد الله الزم أبا عبد الله ـ يعنى المعتز ـ حتى تعلمه من فقه المدنيين فادخلت حجرة فاذا أنا بالمعتز قد أتى فى رجله نعل من ذهب وقد عثر به فسال دمه فجعل يغسل الدم ويقول

يُصابُ الفَتى مِنْ عَثْرَةٍ بِلسانِهِ * وليس يُصابُ المرءُ من عثرةِ الرِّجلِ
فعثرتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمي برأسِهِ * وعَثْرتُهُ بالرِّجلِ تَبْرا على مَهَلِ

فقلت فى نفسى ضممت الى من أريد أن أتعلم منه

﴿ ضده ﴾

سئل بعض الحكماء عن المنطق فقال . انك تمدح الصمت بالمنطق ولا تمدح المنطق بالصمت وما عُبر به عن شىء فهو أفضل منه ، وسئل آخر عنهما فقال أخزى الله المساكتة ما أفسدها للسان وأجلبها للعى و والله للمماراة فى استخراج حق أهدم للعى من النار فى يابس العرفج فقيل له قد عرفت ما فى المماراة من الذم فقال ما فيها أقل ضررا من السكتة التى تورث عللا وتولد داء أيسره العى ، وقال بعض الحكماء ، اللسان عضو فان مرنته مرن وان تركته حرن ، وممن أفرط فى قوله فاستقبل بالحلم ، ما حكى عن شهرام المروزى فانه جرى بينه و بين أبى مسلم صاحب الدولة كلام فما زال أبو مسلم يحاوره الى ان قال له شهرام يالقطة فصمت أبو مسلم وندم شهرام على

ماسبق به لسانه واقبل معتذراً خاضعا ومتنصلا فلما رأى ذلك أبو مسلم قال لسان سبق ووهم اخطأ وانما الغضب شيطان والذنب لي لا نى جرأتك على نفسي بطول احتمالي منك فان كنت معتمداً للذنب فقد شركتك فيه وان كنت مغلوباً فالعذر يسعك وقد غفرنالك على كل حال قال شهرام أيها الملك عفو مثلك لا يكون غروراً قال أجل قال وان عظيم ذنبي لن يدع قلبي يسكن ولج فى الاعتذار فقال أبو مسلم يا عجباً كنت تسيء وانا أحسن فاذا أحسنتُ اسأت

﴿ محاسن كتمان السر ﴾

قال كان المنصور يقول . الملك يحتمل كل شيء من أصحابه إلا ثلاثاً افشاء السر والتعرض للحرم والقدح فى الملك ، وكان يقول سرك من دمك فانظر من تملكه ، وكان يقول سرك لا تطلع عليه غيرك وان من انفذ البصائر كتمان السر حتى يبرم المبروم ، وقيل لابى مسلم باى شيء أدركت هذا الامر قال . ارتديت بالكتمان واتزرت بالحزم وحالفت الصبر وساعدت المقادير فادركت طلبتي وحزت بغيتي . وانشد فى ذلك

أدركتُ بالحزمِ والكتمانِ ما عجزتْ * عنهُ ملوكُ بنى مروانَ إذْ حشدُوا
مازلتُ أسعى عليهمْ فى ديارِهم * والقومُ فى مُلكِهمْ بالشام قدْ رقدُوا
حتّى ضربْتُهمْ بالسّيفِ فانتبهُوا * منْ نومةٍ لم ينمْها قبلَهُمْ أحدُ
ومنْ رعى غنماً فى أرضِ مَسْبَعةٍ * ونامَ عنها تولى رَعْيَها الأسدُ

قال ،، وقال عبد الملك بن مروان للشعبي لما دخل عليه ،، جنبني خصالا أربعا لا تطريني فى وجهي ولا تجربن على كذبة ولا تغتابن عندي أحداً ولا تفشين لى سرا .. وقال النبي صلى الله عليه وسلم ، استعينوا على إنجاح حوائجكم بكتمان السر فان كل ذى نعمة محسود .. وأنشد اليزيدي فى ذلك

النَّجمُ أقربُ منْ سِرّ إذا اشتملتْ * مِنّي على السّرِّ أضلاعٌ وأحشاءُ

غيره

ونفسَكَ فاحفظْها ولا تُفشِ لِلعدى * مِنَ السّرِّ ما يطوِى عليهِ ضميرُها
فما يحفَظُ المكتُومَ مِنْ سِرِّ أهلِهِ * إذا عُقَدُ الأسْرارِ ضاعَ كثيرُها
مِنَ القَوْمِ إلاّ ذُو عَفافٍ يُعينُهُ * على ذاكَ منهُ صِدْقُ نفسٍ وخيرُها

قال معاوية ابن أبى سفيان ،، أعنتُ على علي بن أبى طالب بأربع خصال كان رجلا ظُهرةً عُبلةً لا يكتم سراً وكنت كتوما للسر وكان لا يسعى حتى يفاجئه الامر مفاجاةً وكنت

أبادر الى ذلك وكان فى أخبث جند وأشدهم خلافا وكنت فى أطوع جند وأقلهم خلافا وكنت أحب الى قريش منه فنلت ماشئت فالله من جامع الى ومفرق عنه . . وكان يقال ،، الكاتم سره من كتمانه احدى فضيلتين الظفر بحاجته والسلام من شره فمن أحسن فليحمد الله وله المنة عليه ومن أساء فليستغفر الله ، وقال بعضهم : كتمانك سرك يعقبك السلامة وافشاؤك سرك يعقبك الندامة والصبر على كتمان السر أيسر من الندم على افشائه ، وقال بعضهم ما اقبح بالانسان ان يخاف على ما فى يده من اللصوص فيخفيه و يمكن عدوه من نفسه باظهاره ما فى قلبه من سر نفسه وسر أخيه ومن عجز عن تقويم أمره فلا يلومن الا نفسه ان لم يستتم له . وقال معاوية ما أفشيت سرى الى أحد الا أعقبنى طول الندم وشدة الاسف ولا أودعته جوانح صدرى فحكمته بين اضلاعى الا اكسبنى مجدا وذكرا وسناء ورفعة فقيل ولا ابن العاص قال ولا ابن العاص . وكان يقول ، ما كنت كاتمه من عدوك فلا تظهر عليه صديقك ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتم سره كانت الخيرة فى يده ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن وضع أخيك على أحسنه ولا تظنن بكلمة خرجت منه سوءا ما كنت واجدا لها فى الخير مذهبا وما كافأت من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع الله جل اسمه فيه وعليك باخوان الصدق فانهم زينة عند الرخاء وعصمة عند البلاء ، وحدث ابراهيم بن عيسى قال ،، ذاكرت المنصور ذات يوم فى أبى مسلم وصونه السر وكتمه حتى فعل ما فعل ، فأنشد

تقسمنى أمرانِ لم أفتتحهما * بحزمٍ ولم تَرْكَبْهما لى الكراكرُ
وما ساورَ الأحشاءَ مِثلُ دفينةٍ * مِنَ الهمّ ردّتها اليك المعاذرُ
وقد علمتْ أفناءُ عدنانَ أننى * على مثلها مِقدامةٌ متجاسرُ

وقال آخر

فَإِنِ السِّرَّ بالكتمانِ يُرضيكَ غِبُّهُ * فقد يَظْهَرُ السِّرُّ المُضيعُ فيندمُ
ولا تُفشينْ سِرًّا إلى غيرِ أهلِهِ * فَيظهرُ خَرْقُ الشرِّ من حيثُ يكتمُ
وما زِلتُ فى الكتمانِ حتى كأنَّنى * برَجْعِ جوابِ السائلِ عنهُ أعجمُ
لِتَسلمَ مِنْ قولِ الوُشاةِ وتَسلمى * سَلِمتِ وهل حَىٌّ على الدهرِ يَسلَمُ

وقال آخر

أمِنّى تخافُ انتشارَ الحديثِ * وحظّى فى سَترِهِ أوفرُ
ولو لمْ أصُنهُ لِبُقيا عليكَ * نظرتُ لِنفسى كما تنظرُ

وقال أبو نواس

لا تُفشِ أسرارك للناسِ * وداوِ أحزانك بالكاسِ
فإنَّ إبليسَ على ما بهِ * أرأفُ بالناسِ من الناسِ

وقال المبرد .. أحسن ما سمعت في حفظ اللسان والسر ما روى لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

لعمرُكَ إنَّ وشاةَ الرجا * ل لا يتركون أديماً صحيحا
فلا تُبدِ سرَّكَ إلا إليكَ * فإنَّ لكلِّ نصيحٍ نصيحا

وقال العتبي

ولي صاحبٌ سرى المكتَّمِ عندَهُ * مخاريقُ نيرانٍ بليلٍ تُحرَّقُ
غدوْتُ على أسرارِهِ فكسوتُها * ثياباً من الكتمانِ ما تتخرَّقُ
فمنْ كانتِ الأسرارُ تطفوا بصدْرِهِ * فأسرارُ صدري بالأحاديث تُغرَّقُ
فلا تُودعنَّ الدهرَ سرَّكَ أحمقاً * فإنكَ إنْ أودعتَهُ منهُ أحمقُ
وحسبُكَ في سترِ الأحاديثِ واعظاً * منَ القولِ ما قالَ الأديبُ الموفَّقُ
إذا ضاقَ صدرُ المرءِ عن سرِّ نفسهِ * فصدرُ الذي يستودَعُ السرَّ أضيقُ

وقال آخر

لا يكتمُ السرَّ إلا كلُّ ذي خطرٍ * والسرُّ عندَ كرامِ الناسِ مكتومُ
والسرُّ عندي في بيتٍ له غَلَقٌ * قدْ ضاعَ مفتاحُهُ والبابُ مردومُ

قيل .. دخل أبو العتاهية على المهدي وقد ذاع شعره في عُتبة فقال ما أحسنت في حبك ولا أجملت في إذاعة سرك .. فقال

منْ كانَ يزعمُ أنْ سيكتُمُ حبَّهُ * أوْ يستطيعُ السترَ فهوَ كذوبُ
الحبُّ أغلبُ للرجالِ بقهرِهِ * منْ أنْ يُرى للسرِّ فيه نصيبُ
وإذا بدا سرُّ اللبيبِ فإنهُ * لمْ يبدُ إلا والفتى مغلوبُ
إني لأحسُدُ ذا هوىً مستحفِظاً * لمْ تتهمْهُ أعينٌ وقلوبُ

فاستحسن المهدي شعره وقال .. قد عذرناك على إذاعة سرك و وصلناك على حسن شعرك ان كتمان السر أحسن من اذاعته .. وقال زياد لكل مستشير ثقة وان الناس قد ابتدعت

بهم خصلتان اذاعة السر وترك النصيحة وليس للسر موضع الى أحد رجلين إما آخرى يرجو ثواب الله أو دنياوى له شرف فى نفسه وعقل يصون به حسبه وهما معدومان فى هذا الدهر . وقال المهلب . . ماضاقت صدور الرجال عن شيء كما تضيق عن السر . . كما قال الشاعر

ولرُبما كتمَ الوَقورُ فصرّحتْ * حركاتُهُ للناسِ عنْ كِتمانِهِ
ولرُبما رُزقَ الفتى بسكوتِه * ولرُبما حُرِمَ الفتى ببيانِه

وقال آخر

إذا أنتَ لم تحفظ لنفسكَ سرَّها * فسرُّكَ عندَ الناسِ أفشى وأضيع

وقال آخر

لِسانى كتُومٌ لأسرارِكمْ * ودمعى نمُومٌ لِسرّى مُذيعُ
فلولا الدُموعُ كتمتُ الهوىْ * ولولا الهوىْ لمْ تكنْ لى دُموعُ

﴿محاسن المشورة﴾

يقال . اذا استخار الرجل ربه واستشار نصيحه واجتهد فقد قضى ما عليه ويقضى الله فى أمره ما يحب . . وقال آخر حسن المشورة من المشير قضاء حق النعمة . . وقيل اذا استشرت فانصح واذا قدرت فاصفح . . وقيل من وعظ أخاه سرا زانه ومن وعظه جهرا شانه . . وقال آخر الاعتصام بالمشورة نجاة . وقال آخر نصف عقلك مع أخيك فاستشره . وقال آخر اذا أراد الله لعبد هلاكا أهلكه برأيه . وقال آخر المشورة تقوم اعوجاج الرأى . وقال آخر إياك ومشورة النساء فان رأيهن الى أفن وعزمهن الى وهن

﴿ ضده ﴾

قال بعض أهل العلم ، لو لم يكن فى المشورة الا استضعاف صاحبك لك وظهور فقرك اليه لوجب اطّراح ما تفيده المشورة والقاء ما يكسبه الامتنان وما استشرت أحداً الا كنت عند نفسى ضعيفاً وكان عندى قوياً وتصاغرتُ له ودخلته العزة فاياك والمشورة وان ضاقت بك المذاهب واختلفت عليك المسالك وأداك الاستبهام الى الخطأ الفادح فان صاحبها أبداً مستذل مستضعف وعليك بالاستبداد فان صاحبه أبداً جليل فى العيون مهيب فى الصدور ولن تزال كذلك ما استغنيت عن ذوى العقول فاذا افتقرت اليها حقرتك العيون ورجفت بك أركانك وتضعضع بنيانك وفسد تدبيرك واستحقرك الصغير واستخف بك الكبير وعُرفتَ بالحاجة

اليهم . وقيل نعم المستشار العلم ونعم الوزير العقل . وممن اقتصر على دون المشورة الشعبي فانه خرج مع ابن الاشعث فقدم به على الحجاج فلقيه يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج فقال له أشر على فقال لا أدري بما أشير ولكن اعتذر بما قدرت عليه وأشار بذلك عليه كافة أصحابه ، قال الشعبي فلما دخلت خالفت مشورتهم ورأيت والله غير الذي قالوا فسلمت عليه بالامرة ثم قلت أيد الله الامير ان الناس قد أمروني ان أعتذر بغير ما يعلم الله انه الحق ولك الله أن لا أقول في مقامي هذا الا الحق قد جهدنا وحرصنا فما كنا بالاقوياء الفجرة ولا الاتقياء البررة ولقد نصرك الله علينا وأظهرك بنا فان سطوت فبذنوبنا وان عفوت فبحلمك والحجة لك علينا . فقال الحجاج أنت والله أحب الينا قولا ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دمائنا ويقول والله ما فعلت ولا شهدت أنت آمن يا شعبي فقلت أيها الامير اكتحلت والله بعدك السهر واستحلست الخوف وقطعت صالح الاخوان ولم أجد من الامير خلفا . قال صدقت وانصرفت

﴿ محاسن الشكر ﴾

قال بعض الحكماء . صن شكرك عمن لا يستحقه واستر ماء وجهك بالقناعة . وقال الفضل ابن سهل من أحب الازدياد من النعم فليشكر ومن أحب المنزلة فليكف ومن أحب بقاء عزه فليسقط دالته ومكره . ومن ذلك قول رجل لرجل شكره في معروف

لقد ثبتت في القلب منك مودة * كما ثبتت في الراحتين الاصابع

قال . واصطنع رجل رجلا فسأله يوما أتحبني يا فلان قال نعم أحبك حبا لو كان فوقك لاظلك أو كان تحتك لاقلك . وقال كسرى أنوشروان المنعم أفضل من الشاكر لانه جعل له السبيل الى الشكر . واختصر حبيب بن أوس هذا في مصراع واحد فقال

لهان علينا أن نقول وتفعلا

الباهلي عن أبي فروة قال ،، مكتوب في التوراة اشكر من انعم عليك وانعم على من شكرك فانه لا زوال للنعم اذا شكرت ولا اقامة لها اذا كفرت والشكر زيادة في النعم وامان من الغير وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . . خمس تعاجل صاحبهن بالعقوبة البغي والغدر وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم ومعروف لا يشكر ،، وانشد الحطيئة عمر وكعب الاحبار عنده

مَن يفعلِ الخيرَ لا يعدَم جوازيَه * لا يذهبُ العُرفُ بين اللهِ والناسِ

فقال كعب ،، يا أمير المؤمنين من هذا الذي قال هذا فانه مكتوب في التوراة فقال عمر كيف ذلك قال في التوراة مكتوب . . من يصنع الخير لا يضيع عندي لا يذهب العرف بيني

وبين عبدى .. وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما هذا الاجتهاد فقال .. أفلا أكون عبداً شكوراً .. وفى الحديث ان رجلا قال فى الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم .. اللهم ربنا لك الحمد حمداً مباركا طيباً زكياً فلما انصرف صلى الله عليه وسلم قال ايكم صاحب الكلمة قال أحدهم انا يارسول الله فقال لقد رأيت سبعة وثلاثين ملكا يبتدرون أيهم يكتبها أولا .. وقيل نسيان النعمة أول درجات الكفر ،، وقال أمير المؤمنين على رضى الله عنه المعروف يكفر من كفره لانه يشكرك عليه أشكر الشاكرين وقد قيل فى ذلك

يدُ المعرُوفِ غُنمٌ حيث كانتْ * تحمَّلها كفورٌ أمْ شكُورُ
فعنــدَ الشاكِرين لها جزاءٌ * وعنــدَ اللهِ ما كفرَ الكفُورُ

وقال بعض الحكماء ما أنعم الله على عبد نعمة فشكر عليها إلا ترك حسابه عليها . وقال بعض الحكماء عند التراخى عن شكر النعم تحل عظائم النقم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يقول لعائشة مافعل بيتك فتنشده

يجزيكَ أوْ يثني عليكَ وإنّ منْ * أثنى عليكَ بمافعلتَ كمنْ جزَى

فيقول صلى الله عليه وسلم صدق القائل ياعائشة ان الله اذا أجرى على يد رجل خيراً فلم يشكره فليس لله بشاكر . وقيل لذى الرمة لِمَ خصصت بلال بن أبى بردة بمدحك قال .. لانه وطأ مضجعى وأكرم مجلسى وأحسن صلتى فحق لكثير معروفه عندى أن يستولى على شكرى .. ومنهم من يُقدّم ترك مطالبة الشكر وينسبه الى مكارم الاخلاق . من ذلك ماقاله بزرجمهر من انتظر بمعروفه شكرك عاجل المكافاة . وقال بعض الحكماء ان الكفر يقطع مادة الانعام فكذلك الاستطالة بالصنيعة تمحق الاجر ، وقال على بن عبيدة من المكارم الظاهرة وسنن النفس الشريفة ترك طلب الشكر على الاحسان ورفع الهمة عن طلب المكافاة واستكثار القليل من الشكر واستقلال الكثير مما يبذل من نفسه . وفى فصل من كتاب ولست أقابل أياديك ولا أستديم احسانك الا بالشكر الذى جعله الله للنعم حارساً وللحق مؤديا وللمزيد سببياً

﴿ ضده ﴾

قال بعض الحكماء ، المعروف الى الكرام يعقب خيراً والى اللئام يعقب شراً ومثل ذلك مثل المطر يشرب منه الصدف فيعقب لؤلؤا وتشرب منه الافاعى فيعقب سُماً . وقال سفيان

وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام وقال اثار جماعة من الاعراب ضبعاً
فدخلت خباء شيخ منهم فقالوا أخرجها فقال ما كنت لافعل وقد استجارت بي فانصرفوا
وقد كانت هزيلا فاحضر لها لقاحا وجعل يسقيها حتى عاشت فنام الشيخ ذات يوم فوثبت عليه
فقتلته فقال شاعرهم في ذلك

وَمَنْ يَصنعِ المعرُوفَ مع غيرِ أهلِهِ * يُلاقِ الذى لاقى مُجيرُ أمّ عامرِ
أقامَ لها لما أناخت ببابهِ * لِتَسْمَنَ ألبانَ اللقاحِ الدَّرائرِ
فأسْمنَها حتى إذا ما تمكّنتْ * فرتْهُ بأنيابٍ لها وأظافرِ
فقلْ لذوى المعرُوفِ هذا جزاءُ منْ * يجودُ باحسانٍ الى غيرِ شاكرِ

قيل .. وأصاب اعرابي جرو ذئب فاحمله الى خبائه وقرب له شاة فلم يزل يمص من لبنها
حتى سمن وكبر ثم شد على الشاة فقتلها فقال الاعرابي بذكر ذلك

غذتكَ شُوَيهتى ونشأتَ عندى * فمنْ أدراكَ أنَّ أباكَ ذيبُ
فجعتَ نُسيّةً وصغارَ قومٍ * بشاتِهمْ وأنت لها ربيبُ
اذا كان الطباعُ طباعَ سوْءٍ * فليس بنافعٍ أدبُ الاديبُ

وفي المثل سَمّنْ كلبك يأكلك .. وأنشد

همْ سمَّنوا كلباً ليأكلَ بعضَهُمْ * ولوْ عمِلوا بالحزمِ ماسمَّنوا كلباً

وقال اخر

وإني وقيسا كالمُسمّنِ كلبَهُ * تخدّشهُ أنيابُهُ وأظافرُهْ

ويضرب المثل بسنمار ، وكان بنى للنعمان بن المنذر الخورنق فاعجبه وكره أن يبنى لغيره مثله
فرمى به من أعلاه فمات فقيل فيه

جزَينا بنى سعدٍ بحسنِ بلائِهم * جزاءَ سنمارٍ وما كانَ ذاذنبِ

وقال بشار(١)

أُثني عليكَ ولى حالٌ تكذّبني * فيما أقولُ فأستحيي منَ الناسِ
قدْ قلتُ إن أباحفصٍ لأكرمُ منْ * يمشي فخاصمنى فى ذاك إفلاسى
حتى اذا قيل ما أعطاك منْ صفدٍ * طأطأتُ من سوءِ حالى عندَها راسى

---

(١) المشهور ان الابيات لابي العتاهية .. وأولها

يا ابن العلاء ويا ابن القرمِ مرداسِ * اني أتيتك في صحبي وجلاسي

ولابى الهول

كانى إذ مدحتك يابن معن * رآنى الناس فى رمضان أزنى
فإن أك رحت عنك بغير شىء * فلا تفرح كذلك كان ظنى

وقال آخر

لحى الله قوم أعجبتهم مدائحى * فقالوا مقالاً فى ملام وفى عتب
أبا حازم تمدح فقلت معذرا * هبونى امرأ جربت سيفى فى كلب

وقال آخر

عثمان يعلم أن الحمد ذو ثمن * لكنه يشتهى حمداً بمجان
والناس أكيس من أن يمدحوا رجلا * حتى يروا عنده آثار إحسان

وقال آخر

يحب المديح أبو خالد * ويفضب من صلة المادح
كبكر تحب لذيذ النكاح * وتجزع من صولة الناكح

وقال آخر

ولو كان يستغنى عن الشكر سيد * لعزة ملك أو علو مكان
لما أمر الله العباد بشكره * فقال اشكرونى أيها الثقلان

﴿ محاسن الصدق ﴾

قال بعض الحكماء . عليك بالصدق فى السيف القاطع فى كف الرجل الشجاع باعز من الصدق والصدق عز وان كان فيه ما تكره والكذب ذل وان كان فيه ما تحب ومن عرف بالكذب اتهم فى الصدق . وقيل الصدق ميزان الله الذى يدور عليه العدل والكذب مكيال الشيطان الذى يدور عليه الجور . وقال ابن السماك ما أحسبنى أوجر على ترك الكذب لانى أتركه انفة . وقال آخر لو لم يترك العاقل الكذب الا مروءة لكان بذلك حقيقاً فكيف وفيه المأثم والعار . وقال الشعبى عليك بالصدق حيث ترى انه يضرك فانه ينفعك واجتنب الكذب حيث ترى انه ينفعك فانه يضرك . وقال بعضهم الصدق عز والكذب خضوع ومدح قوم بالصدق منهم أبو ذر رضى الله عنه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ولا طلعت الشمس على ذى لهجة أصدق من أبى ذر ، ومنهم العباس

ابن عبد المطلب رضي الله عنه فانه روى انه اطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل فقال له جبريل هذا عمك العباس قال نعم قال ان الله تعالى يأمرك أن تقرأ عليه السلام وتعلمه ان اسمه عند الله الصادق وان له شفاعة يوم القيامة فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فتبسم فقال ان شئت أخبرتك مما به تبسمت وان شئت أن تقول فقل فقال بل تعلمني يارسول الله فقال . لانك لم تحلف يمينا في جاهلية ولا اسلام برة ولا فاجرة ولم تقل لسائل لا ،، قال والذي بعثك بالحق نبيا ما تبسمت الا لذلك . وروى أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ، اني استسر بخلال الزنا والسرقة وشرب الخمر والكذب فأيهن أحببت تركته ، قال دع الكذب فمضى الرجل فهم بالزنا فقال يسألني رسول الله صلى الله عليه وسلم فان جحدت نقضت ما جعلته له وان أقررت حددت فلم يزن فهم بالسرقة وشرب الخمر ففكر في ذلك فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قد تركتهن أجمع . فأما من رخص له في الكذب فيروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ، لا يصلح الكذب الا في ثلاث كذب الرجل لاهله ليرضيها وكذب في اصلاح ما بين الناس وكذب في حرب . وروى عن المغيرة بن ابراهيم انه قال لم يرخص لاحد في الكذب الا للحجاج ابن علاط فانه لما فتحت خيبر قال يارسول الله ان لي عند امرأة من قريش وديعة فاذن لي يارسول الله أن أكذب عليك كذبة لعلي أستل وديعتي فرخص له في ذلك فقدم مكة فأخبرهم أنه ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيرا في أيديهم يأتمرون فيه فقائل يقول يقتل وقائل يقول لا بل يبعث به الى قومه فتكون منة فجعل المشركون يتباشرون بذلك ويسيئون العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس يريهم التجمل وأخذ الرجل وديعته فاستقبله العباس وقال ويحك ما الذي أخبرت به فاعلمه السبب ثم أخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر ونكح صفية بنت حيي بن أخطب وقتل زوجها وأباها ، ثم قال اكتم علي اليوم وغدا حتى أمضي ففعل ذلك فلما مضى يومان أخبرهم العباس بالذي أخبره فقالوا ومن أخبرك بهذا قال من أخبركم بضده

﴿ ضده ﴾

قيل . وجد في بعض كتب الهند ليس لكذوب مروءة ولا لضجور رياسة ولا لملول وفاء ولا لبخيل صديق . وقال قتيبة بن مسلم لا تطلبن الحوائج من كذوب فانه يقربها وان كانت بعيدة ويبعدها وان كانت قريبة ولا الى رجل قد جعل المسألة مأكلة فانه يقدم حاجته قبلها ويجعل حاجتك وقاية لها ولا الى أحمق فانه يريد نفعك فيضرك . وقيل أمران لا ينفكان من كذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار . . وقيل كفاك موبخا على الكذب علمك بانك كاذب

وقال رجل لابى حنيفة ما كذبت قط قال أما هذه فواحدة • وفى المثل هو أكذب من أخيذ السند،، وذلك انه يؤخذ الخسيس منهم فيزعم انه ابن الملك • وكذلك يقال أكذب من سيّاح خراسان،لانهم مجتازون فى كل بلد و يكذبون للسؤال والمسألة و يقال هو أكذب من الشيخ الغريب، وذلك انه يتزوج فى الغربة وهو ابن سبعين سنة فيزعم انه ابن أربعين • و يقال هو أكذب من مسيلمة و به يضرب المثل * ومما قيل فى ذلك من الشعر

حَسْبُ الكذوبِ من البليّـــة بعضُ ما يحكى عليــهِ
ما إنْ سَمِعْتُ بكِـذْبَةٍ * منْ غيرِه نُسِبتْ اليــهِ

وقال آخر

لقدْ أخلَفتني وحلفتَ حتى * إخالكَ قدْ كذبْتَ و إنْ صدقتا
ألا لاتحلفَنَّ على كلامٍ * فأكذبُ ماتكونُ إذا حلفتا

وقال آخر

قدْ كنتُ أُنجزُ دهراً ماوعدتُ إلى * أنْ أتلفَ الوعدُ ما جمَعتُ من نَشَبِ
فإنْ أكنْ صرتُ فى وعدى أخا كذِبٍ * فنُصْرةُ الصدقِ أفضتْ بى الى الكذبِ

قال الاصمعى — قال الخليل بن سهل،، يا أبا سعيد أعلمت أن طول رمح رستم كان سبعين ذراعا من حديد مُصمَتَ فى غلظ الراقود فقلت هاهنا اعرابى له معرفة فاذهب بنا اليه فحدثه بهذا فذهبت به الى الاعرابى فحدثه فقال الاعرابى،، قد سمعت بذلك و بلغنا أن رستم هذا كان هو واسفنديار أتيا لقمان بن عاد بالبادية فوجداه نائما ورأسه فى حجر أمه فقالت لهما ماشأنكما فقالا بلغنا شدة هذا الرجل فاتيناه فانتبه فزعا من كلامهما فنفخهما فألقاهما الى أصبهان فقبرهما اليوم بها،، فقال الخليل قبحك الله ما أكذبك قال يا ابن أخى ما بيننا شيئاً الا وهو دون الراقود • قيل وقدم بعض العمال من عمل فدعا قوما الى طعامه وجعل يحدثهم بالكذب فقال بعضهم،، نحن كما قال الله عزوجل (سَمّاعونَ للكَذِبِ أكّالُونَ للسُّحتِ) * قيل وكان رجال من أهل المدينة من بين فقيه وراوية وشاعر يأتون بغداد فيرجعون بحظوة وحال حسنة فاجتمع عدة منهم فقالوا لصديق لهم لم يكن عنده شىء من الادب . لو أتيت العراق فلعلك أن تصيب شيئاً قال أنتم أصحاب آداب تلتمسون بها فقالوا نحن نحتال لك فأخرجوه فلما قدم بغداد طلب الاتصال بعلى ابن يقطين وشكا اليه الحاجة فقال ماعندك من الادب فقال ليس عندى من الادب شىء غير انى أكذب الكذبة وأخيل الى من يسمعها انى صادق وكان ظريفا مليحا اذا نجب به وعرض

عليه مالا فابى أن يقبله وقال ما أريد منك الا أن تسهل أذنى وتدنى مجلسى قال ذاك لك وكان من أقرب الناس اليه مجلساً حتى عرف بذلك ، وكان المهدى قد غضب على رجل من القواد واستصفى ماله وكان يختلف الى على بن يقطين رجاء أن يكلم له المهدى وكان يرى قرب المدينى ومكانه من على فاتى المدينى القائد عشيا فقال ما البشرى قال لك البشرى وحكمك قال أرسلنى على بن يقطين اليك وهو يقرؤك السلام ويقول قد كلمت أمير المؤمنين فى أمرك ورضى عنك وأمر برد مالك وضياعك ويأمرك بالغدو اليه لتغدو معه الى أمير المؤمنين متشكراً فدعا له الرجل بالف دينار وكسوة وحملان وغدا على على مع جماعة من وجوه العسكر متشكراً فقال له على وما ذاك قال أخبرنى أبو فلان — وهو الى جنبه — كلامك أمير المؤمنين فى أمرى ورضاه عنى فالتفت الى المدينى وقال ما هذا فقال أصلحك الله هذا بعض ذلك المتاع نشرناه فضحك على وقال على بدابتى وركب الى المهدى وحدثه الحديث فضحك المهدى . وقال إنا قد رضينا عن الرجل ورددنا عليه ماله . وأجرى على المدينى رزقا واسعا واستوصى به خيرا ثم وصله . . وكان يعرف بكذاب أمير المؤمنين

﴿ محاسن العفو ﴾

قيل . أسر مصعب بن الزبير رجلا من أصحاب المختار فامر بضرب عنقه . فقال أيها الامير ما أقبح بك ان أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة فاتعلق باطرافك وأقول رب سل مصعباً فيم قتلنى فقال أطلقوه فقال . أيها الامير اجعل لى ما وهبت لى من عمرى فى خفض عيش فقال اعطوه مائة ألف درهم قال . بأبى أنت وأمى أشهدك أن لابن قيس الرقيات منها خمسين ألفا قال لم قال لقوله فيك

إنما مصعب شهاب من الله — تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رافة ليس فيه * جبروت ولا له كبرياء

فضحك مصعب وقال . لقد تلطفت وان فيك لموضعا للصنيعة وأمر له بالمائة ألف ولابن قيس الرقيات بخمسين ألف درهم قيل وأمر الرشيد بحيى بن خالد بحبس رجل جنى جناية فحبسه ثم سال عنه الرشيد فقيل هو كثير الصلاة والدعاء فقال للموكل به عرض له بان تكلمنى وتسألنى اطلاقه فقال له الموكل ذلك فقال قل لامير المؤمنين ان كل يوم يمضى من نعمتك ينقص من محنتى والامر قريب والموعد الصراط والحاكم الله فخر الرشيد مغشيا عليه ثم أفاق وأمر باطلاقه . وقيل ظفر المأمون برجل كان يطلبه فلما دخل عليه قال يا عدو الله أنت الذى تفسد

فى الارض بغير الحق ياغلام خذه اليك فاسقه كاس المنية فقال ياأمير المؤمنين ان رأيت أن تبقينى حتى أؤ بدك بتال قال لا سبيل الى ذلك فقال ياأمير المؤمنين فدعنى أنشدك أبياتا قال هات فانشده

زعموا أن الباز عاق مرة * عصفور بر ساقه المقدور
فتكلم العصفور تحت جناحه * والباز منتفض عليه بطير
مابى لما يغنى لمثلك شبعة * ولئن أكلت فاننى لحقير
فتبسم الباز المدل بنفسه * كرما وأطلق ذلك العصفور

فقال له المأمون أحسنت ماجرى ذلك على لسانك الا لبقية بقيت من عمرك فاطلقه وخلع عليه ووصله * وعن بعضهم ان واليا أتى برجل جنى جناية فأمر بضربه فلما مد قال بحق رأس أمك الا ماعفوت عنى قال أوجع فقال بحق خدها ونحرها قال أضرب قال بحق ثديها قال أضرب قال بحق سرتها قال ويلكم دعوه لا ينحدر قليلا * وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال إن الرجل اذا ظلم فلم ينتصر ولم يجد من ينصره فرفع طرفه الى السماء ودعا قال الله له لبيك عبدى أنصرك عاجلا وآجلا * وقال صلى الله عليه وسلم فى قولهم انصر أخاك ظالما أومظلوما .. وقد سئل عن ذلك فقيل .. أنصره مظلوما فكيف أنصره ظالما فقال تمنعه من الظلم فذلك نصرك اياه * وقال .. فضيل بن عياض بكى أبى فقلت ما يبكيك فقال أبكى على ظالمى ومن أخذ مالى أرحمه غدا اذا وقف بين يدى الله عز وجل وسأله فلا تكون له حجة .. وقال الحسن البصرى أيها المتصدق على السائل يرحمه ارحم أولا من ظلمت وروى عن عبد الله بن سلام قال قرأت فى بعض الكتب قال الله عز وجل اذا عصانى من يعرفنى سلطت عليه من لا يعرفنى قال .. خالد بن صفوان اياكم ومجانيق الضعفاء يعنى الدعاء

﴿ ضده ﴾

قيل لما قالت التغلبية للجحاف بن حكيم السلمى فى وقعته بالبشر فوض الله عمادك وأطال سهادك وأقل رقادك والله ان قتلت الا نساء أسافلهن دمى وأعاليهن ثدى فقال لمن حوله لولا أن تلد مثلها لخليت سبيلها فبلغ ذلك الحسن البصرى فقال .. أما الجحاف فجذوة من نار جهنم قال ولما بنى زياد بناء البصرة أمر أصحابه ان يسمعوا من أفواه الناس فأتى برجل تلا آية ﴿ أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ﴾ قال وما دعاك الى هذا قال آية من كتاب الله عز وجل خطرت على بالى فتلوتها قال والله لأعملن فيك بالآية الثانية ﴿ واذا بطشتم بطشتم جبارين ﴾ ثم أمر به فبنى عليه ركن من أركان القصر * قال و بعث زياد الى رجل من بنى تميم

فقال اخبر وني بصلحاء كل ناحية فأخبروه فاختار منهم رجالا فضمنهم الطريق. وقال لوضاع بيني و بين خراسان حبل لعلمت من لقطه. وكان يدفن الناس أحياء و ينزع اضلاع اللصوص. قال وقال عبد الملك للحجاج كيف تسير في الناس،، قال انظر الى عجوز أدركت زياداً فاسئلها عن سيرته فاعمل بها، فاخذ والله بسنته حتى ماترك منها شيئاً. وذكروا ان الحجاج لما أتى المدينة أرسل الى الحسن بن الحسن رضي الله عنه فقال هات سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه قال لا أفعل قال فجاء الحجاج بالسيف والسوط فقال والله لاضربنك بهذا السوط حتى اقطعه ثم لاضربنك بهذا السيف حتى تبرد أو تأتيني بهما فقال الناس يا أبا محمد لا تعرض لهذا الجبار قال فجاء الحسن بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه فوضعهما بين يدي الحجاج فأرسل الحجاج الى رجل من بني أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له هل تعرف سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فخلطه بين أسيافه ثم قال اخرجه ثم جاء بالدرع فنظر اليهاثم قال هناك علامة كانت على الفضل بن العباس يوم اليرموك فطعن بحربة فخرقت الدرع فعرفناها فوجد الدرع على ماقال فقال الحجاج أما والله لولم تجئني به وجئت بغيره لضربت به رأسك.. وذكروا ان الحجاج قال ذات ليلة لحاجبه،، أعسس بنفسك فمن وجدته فجئني به فلما أصبح أتاه بثلاثة فقال، أصلح الله الامير ما وجدت الا هؤلاء الثلاثة، فقال الحجاج لواحد منهم ما كان سبب خروجك بالليل وقد نادى المنادي ان لا يخرج أحد بالليل قال، أصلح الله الامير كنت سكران فغلبني السكر فخرجت ولا أعقل، ففكر ساعة ثم قال، سكران غلبه سكره خلوا عنه لا تعودن، ثم قال للآخر فانت ماسبب خروجك قال.. أصلح الله الامير كنت مع قوم في مجلس يشربون فوقعت بينهم عربدة فخفت على نفسي فخرجت. ففكر الحجاج ساعة فقال. رجل أحب المسالمة خلوا عنه. ثم قال للآخر ما كان سبب خروجك فقال لي والدة عجوز وأنا رجل حمال فرجعت الى بيتي فقالت والدتي ماذقت الى هذا الوقت طعاما ولا ذواقا فخرجت التمس لها ذلك فاخذني العسس. ففكر ساعة ثم قال. ياغلام اضرب عنقه فاذا رأسه بين رجليه

﴿ محاسن الصبر على الحبس ﴾

قال الكسروي.. وقع كسرى بن هرمز الى بعض المحبسين من صبر على النازلة كان كمن لم تنزل به ومن طوّل في الحبل كان فيه عطبة ومن أكل بلا مقدار تلفت نفسه.. قيل ودخل ابن الزيات على الافشين وهو محبوس.. فقال يخاطبه

إصبرْ لها صبرَ أقوامٍ نفوسُهُمُ * لا تستريحُ الى عذلٍ ولا قَوَدِ

فقال الافشين . من صحب الزمان لم ينج من خيره أو شره و وجد الكرامة والهوان . ثم قال

لم يَنجُ من خيرِها أو شرِّها أحدٌ * فذ كرْ شوائبها إن كنتَ من أحدِ

خاضتْ بكَ المَنيةُ الحمقاءُ غمرتَها * فتلك أمواجُها ترميكَ بالزَّبدِ

ولعليّ بن الجهم لما حبسه المتوكل

قالت حُبستَ فقلتُ ليس بضائري * حَبسي وأيُّ مهنّدٍ لا يُغمَدُ

أوَ ما رأيتِ الليثَ يألفُ غيلَهُ * كِبرًا وأوباشُ السباعِ تَرَدَّدُ

والنارُ في أحجارِها مخبوءةٌ * لا تصطلى إن لم تُثِرْها الازنُدُ

والبدرُ يُدرِكُهُ الظلامُ فتنجلي * أيامهُ وكأنهُ متجدِّدُ

والزاعبيةُ لا يُقيمُ كعوبَها * إلا الثِقافُ وجذوةٌ تتوقَّدُ

غِيَرُ الليالي بادئاتٌ عوَّدٌ * والمالُ عاريةٌ يُفادُ وينفدُ

لا يُؤيسنَّكَ من تفرُّجِ كُربةٍ * خطبٌ أتاكَ به الزمانُ الانكدُ

فلكلِّ حالٍ مُعقِبٌ ولرُبَّما * أجلى لكَ المكروهُ عمّا تحمَدُ

كم من عليلٍ قد تخطّاهُ الردى * فنجا وماتَ طبيبُهُ والعُوَّدُ

صبرًا فإنَّ اليومَ يعقبُهُ غدٌ * ويدُ الخلافةِ لا تُطاوِلُها يدُ

والحبسُ مالم تغشَهُ لدنيّةٍ * شنعاءَ نِعمَ المنزلُ المتورَّدُ

لو لم يكنْ في الحبسِ إلا أنهُ * لا يستذِلُّكَ بالحجابِ الاعبُدُ

بيتٌ يُجدِّدُ للكريمِ كرامةً * ويُزارُ فيه ولا يَزورُ ويُحمَدُ

أبلغْ أميرَ المؤمنينَ ودونهُ * خوفُ العِدى ومَخاوِفٌ لا تَنفَدُ

أنتم بنو عمِّ النبيِّ محمدٍ * أولى بما شرعَ النبيُّ محمدُ

ما كانَ من حسنٍ فأنتم أهلُهُ * كَرُمتْ مغارسُكم وطابَ المَحتِدُ

أمِنَ السويَّةِ يا ابنَ عمِّ محمدٍ * خصمٌ تُقرِّبُهُ وآخرُ يبعَدُ

يا أحمدَ بنَ أبي دُؤادٍ إنما * تُدعى لكلِّ كريهةٍ يا أحمدُ

إنّ الذين سعَوا اليكَ بباطلٍ * أعداءُ نعمتِكَ التي لا تُجحَدُ

شهدوا وغبنا عنهمُ فتحكموا * فينا وليس كغائبٍ من يشهد
لو يجمع الخُصماءُ عندك منزلٌ * يوماً لبان لك الطريقُ الارشدُ
والشمسُ لولا أنها محجوبةٌ * عن ناظرَيك لما أضاء الفرقدُ

﴿ ضده ﴾

أنشدنا عاصم بن محمد الكاتب لنفسه لما حبسه احمد بن عبد العزيز بن أبي دلف. قوله

قالتْ حُبستَ فقلتُ خطبٌ أنكدُ * أنحى عليَّ به الزمانُ المُرصدُ
لو كنتُ حرًّا كان سرّي مطلقاً * ما كنتُ أُحبسُ عنوةً وأُقيدُ
لو كنتُ كالسيفِ المهنَّدِ لم يكنْ * وقتَ الكريهةِ والشدائدِ يُغمدُ
لو كنتُ كالليثِ الهصورِ لما رعتْ * فيَّ الذئابُ وجذوتي تتوقدُ
من قال إنَّ الحبسَ بيتُ كرامةٍ * فمكاشرٌ في قولهِ متجلدُ
ما الحبسُ الا بيتُ كلِّ مهانةٍ * ومذلةٍ ومكارهٍ لا تنفدُ
إن زارني فيه العدوُّ فشامتٌ * يبدي التوجعَ تارةً ويفندُ
أو زارني فيه المحبُّ فموجعٌ * يذري الدموعَ بزفرةٍ تترددُ
يكفيك أن الحبسَ بيتٌ لا يُرى * أحدٌ عليه من الخلائقِ يُحسدُ
تمضي الليالي لا أذوقُ لرقدةٍ * طعماً وكيف يذوقُ من لا يرقدُ
في مُطبقٍ فيه النهارُ مشاكلٌ * لليلِ والظلماتُ فيه سرمدُ
فالى متى هذا الشقاءُ مؤكدٌ * وإلى متى هذا البلاءُ مجددُ
مالي مجيرٌ غيرُ سيديَ الذي * ما زال يكفلني فنعمَ السيدُ
غُذيتُ حُشاشةُ مُهجتي بنوافلٍ * من سيبهِ وصنائعٍ لا تجحدُ
عشرين حولاً عشتُ تحت جناحهِ * عيشَ الملوكِ وحالتي تتزيدُ
فخلا العدوُّ بموضعي من قلبهِ * فحشاه جمراً نارهُ تتوقدُ
فاغفر لعبدك ذنبهُ متطولاً * فالحمدُ منك سجيةٌ لا تعهدُ
واذكرْ خصائصَ خدمتي ومقاومي * أيامَ كنتَ جميعَ أمري تحمدُ

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها * فلسنا من الاموات فيها ولا الاحيا
إذا دخل السجان يوما لحاجة * عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا فجلّ حديثنا * إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
فان حسنت كانت بطيئا مجيئها * وإن قبحت لم تنتظر وأتت سعيا

وقال آخر

ألا أحد يدعو لاهل محلة * مقيمين فى الدنيا وقد فارقوا الدنيا
كأنهم لم يعرفوا غير دارهم * ولم يعرفوا غير الشدائد والبلوى

وقال ابن المعتز

تعلمت فى السجن نسج التكك * وكنت امرأ قبل حبسى ملك
وقيدت بعد ركوب الجياد * وماذاك الا بدور الفلك
ألم تبصر الطير فى جوها * تكاد تلاصق ذات الحبك
إذا أبصرته خطوب الزمان * أوقعنه فى حبال الشرك
فهذاك من حالق قد يصاد * ومن قعر بحر يصاد السمك

ووجد فى البيت الذى قتل فيه مكتوب بخطه على الارض

يانفس صبراً لعل الخير عقباك * خانتك بعد طوال الامن دنياك
مرت بنا سحراً طير فقلت لها * طوباك ياليتنى إياك طوباك

وقال اعرابى

ولما دخلت السجن كبر أهله * وقالوا أبو ليلى الغداة حزين
وفى الباب مكتوب على صفحاته * بانك تنزو ثم سوف تلين

وفى الحديث المرفوع ان يوسف عليه السلام شكى الى الله تعالى طول الحبس فأوحى اليه أنت حبست نفسك حين قلت (رب السجن أحب الىّ مما يدعوننى اليه) ولو قلت العافية أحب الى لعوفيت قال وكتب يوسف عليه السلام على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء

محاسن المودة

قال بعض الحكماء ليس للانسان نعم الا مودات الاخوان * وقال آخر الازدياد من

الاخوان زيادة فى الاجال وتوفير لحسن الحال وقيل عاشروا الناس معاشرة ان عشتم حنوا اليكم وان متم بكوا عليكم وقال

قد يمكث الناسُ حيناً ليس بينهم * ودٌّ فيزرعهُ التسليمُ واللطفُ
يسلي الشقيقين طولُ النأي بينهما * وتلتقي شُعبٌ شتّى فتأتلف

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه لابنه الحسين ،، ابذل لصديقك كل المودة ولا تطمئن اليه كل الطمأنينة واعطه كل المواساة ولا تفش اليه كل الاسرار وقال العباس بن جرير .. المودة تعاطف القلوب وائتلاف الارواح وانس النفوس ووحشة الاشخاص عند تنائى اللقاء وظهور السرور بكثرة التزاور وعلى حسب مشاكلة الجواهر يكون الاتفاق فى الخصال . وقال بعضهم من لم يواخ من الاخوان الا من لا عيب فيه قل صديقه ومن لم يرض من صديقه الا بايثاره إياه على نفسه دام سخطه ومن عاتب على غير ذنب كثر عدوه . وكان يقال أعجز الناس من فرط فى طلب الاخوان . وقال الشاعر فى مثله

لعمركَ ما مالُ الفتى بذخيرةٍ * ولكنَّ إخوانَ الثقاتِ الذخائرُ

— ضده —

قال المأمون ،، الاخوان ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه وطبقة كالدواء يحتاج اليه أحيانا وطبقة كالداء الذى لا يحتاج اليه . وكتب بعض الكتاب ان فلانا أولانى جميلا من البشر مقرونا بلطيف من الخطاب فى بسط وجهه ولين كنف فلما كشفه الامتحان بيسير الحاجة كان كالتابوت المطلى عليه بالذهب المملوء بالعذرة أعجبك حسنه مادام مطبقا فلما فتحنا ذاك نتنه فلا أبعد الله غيره .. ومما قيل فى ذلك

والله لو كرِهتْ كفى مُنادمتى * لقلتُ للكفِ بينى إذ كرِهتنى

وقال آخر

ولوْ أنى تُخالِفُنى شمالى * لَما أتبعتها أبداً يمينى
إذاً لقطعتها ولقُلتُ بينى * كذلك أجتوى من يجتوينى

وقال آخر

منْ لم يُرِدكَ فلا تُرِدْهُ * لكنْ كنْ لم تستفِدْهُ
باعِدْ أخاكَ ببعدِهِ * فإذا نأى شبراً فزِدْهُ

وقال آخر

تودّ عدوّى ثم تزعم أننى * أودّك إنّ الرأى منك لعازبُ
وليس أخى من ودّنى رأى عينه * ولكن أخى من ودّنى وهو غائبُ

وقال آخر

إنّ اختيارك لا عن خبرة سلفت * إلا الرجاء ومما يخطئ النظرُ
كالمستغيث ببطن السيل يحسبهُ * حرزاً يبادرهُ إذ بلّهُ المطرُ

وقال آخر

وصاحبٍ كان لى وكنت لهُ * أشفق من والدٍ على ولدِ
وكان لى مؤنساً وكنتُ لهُ * ليست بنا وحشةٌ إلى أحدِ
كنا كساق مشت بها قدمٌ * أو كذراعٍ نيطت إلى عضد
حتى إذا أمكن الحوادث من * حظى وحلّ الزمانُ من عقدى
ازورّ عنّى وكان ينظر من * عينى ويرمى بساعدى ويدى
حتى إذا استرفدت يدى يده * كنت كمسترفدٍ يد الاسدِ

وقال آخر

فياعجباً لمن ربّيت طفلاً * ألقمه بأطراف البنانِ
أعلّمه الرماية كلّ يوم * فلما اشتدّ ساعدهُ رمانى
أعلمه الفتوّة كلّ حين * فلما طرّ شاربهُ جفانى
أعلمه الرواية كلّ وقتٍ * فلما صار شاعرها هجانى

﴿ محاسن الولايات ﴾

سئل عمار بن ياسر رضى الله عنه عن الولاية فقال ،، هى حلوة الرضاع مرة الفطام وذكروا انه كان سبب عزل الحجاج بن يوسف عن المدينة وقد وفد من أهل المدينة منهم عيسى بن طلحة بن عبيد الله على عبد الملك بن مروان فاثنوا على الحجاج وعيسى ساكت فلما قاموا ثبت عيسى حتى خلا له وجه عبد الملك فقام فجلس بين يديه فقال . ياأمير المؤمنين من أنا قال . عيسى بن طلحة بن عبيدالله قال فمن أنت قال عبد الملك بن مروان قال أفجهلتنا أو تغيرت بعدنا قال وماذاك قال وليت علينا الحجاج بن يوسف يسير بالباطل و يحملنا على ان نثنى عليه بغير الحق والله لئن أعدته علينا لنعصينك وان قاتلتنا وغلبتنا وأسأت الينا قطعت أرحامنا ولئن قوينا عليك لنغصبنك ملكك

فقال له عبد الملك انصرف والزم بيتك ولا تذكرن من هذا شيأ قال فقام الى منزله وأصبح الحجاج غاديا الى عيسى بن طلحة فقال جزاك الله عن خلوتك بأمير المؤمنين خيرا فقد أبدلني بكم خيرا وأبدلكم بي غيري وولاني العراق ،، وعن معمر بن وهيب قال . كان عبد الملك عندما استعفى أهل العراق من الحجاج قال لهم اختاروا أي هذين شئتم – يعني أخاه محمد بن مروان وابنه عبد الله ابن عبد الملك – مكان الحجاج فكتب اليه الحجاج ،، يا أمير المؤمنين ان أهل العراق استعفوا عثمان بن عفان من سعيد بن العاص فاعفاهم منه فساروا اليه من قابل وقتلوه . . فقال صدق ورب الكعبة وكتب الى محمد وعبد الله بالسمع والطاعة له

﴿ ضده ﴾

كتب . عبد الصمد بن المعذل الى صديق له ولي النفاطات فأظهر تيهاً

لَعَمري لقدْ أظهرتَ تِيهاً كأنما * توَلّيتَ للفضل بن مَرْوان عُكبَرا
دَعِ الكِبرَ واستبقِ التَواضعَ إنه * قبيحٌ بوالي النفطِ أن يتغيّرا
لحفظِ عيونِ النفطِ أحدثتَ نخوةً * فكيف به لو كان مِسكاً وعنبرا

وقال ابن المعتز

كمْ تائهٍ بولايةٍ * وبعزلِهِ يعدُو البريدُ
سُكرُ الولايةِ طيّبٌ * وخُمارُهُ صَعبٌ شديدُ

وقال لبيد

لا تفرحَنَّ فكلُّ والٍ يُعزَلُ * وكما عُزِلتَ فمنْ قريبٍ تُعزَلُ
وكذا الزّمانُ بما يسرُّكَ تارةً * وبما يسوءُكَ تارةً يتنقّلُ

﴿ محاسن الصحبة ﴾

قيل . قال علقمة بن لبيد لابنه يا بني ان نازعتك نفسك الى الرجال يوما لحاجتك اليهم فاصحب من إن صحبته زانك وان تخففت له صانك وان نزلت بك مؤنة مانك وان قلت صدّق قولك وان صلت شدّ صولك اصحب من اذا مددت اليه يدك لفضل مدها وان رأى منك حسنة عدها وان بدت منك ثلمة سدّها واصحب من لا تأتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق ،، وقال آخر اصحب من خولك نفسه وملكك خدمته وتخيرك لزمانه فقد وجب عليك حقه وذمامه . . وكان يقال من قبل صلتك فقد باعك مروءته وأذل لقدرك عزه وقال

بعضهم لصاحبه أنا أطوع لك من اليد وأذل من النعل . وقال بعضهم اذا رأيت كلبا ترك صاحبه وتبعك فارجمه فانه تاركك كما ترك صاحبه . وقال ابن أبي داود لرجل انقطع الى محمد بن عبد الملك الزيات . ماخبرك مع صاحبك فقال . لا يقصر في الاحسان الى فقال : ياهذا ان لسان حالك يكذب لسان مقالك

﴿ ضده ﴾

قيل كان يوسف بن عمر الثقفي يتولى العراقين لهشام بن عبد الملك وكان مذموما في عمله. أخبرني المدائني قال «و زن يوسف بن عمر درهما فنقص حبة فكتب الى دور الضرب بالعراق يضرب أهلها مائة . قيل وخطب في مسجد الكوفة فتكلم انسان مجنون فقال «يا أهل الكوفة ألم أنهكم ان تدخلوا مساجدكم المجانين اضربوا عنقه فضربت عنقه . قال وقال لهمام بن يحيي وكان عاملا له «يافاسق خربت مهرجانقذق قال انى لم أكن عليها انما كنت على ماه دينار وعمرت البلاد فأعاد ذلك عليه مرارا فقال همام قد أخبرتك انى كنت على ماه دينار وتقول خربت مهرجانقذق فلم يزل يعذبه حتى مات . قال وقال لكاتبه وقد احتبس عن ديوانه يوما «ما حبسك قال اشتكيت ضرسي قال تشتكي ضرسك وتقعد عن الديوان ودعا الحجام وأمره ان يقلع ضرسين من أضراسه «وعن المدائني قال . حدثني رضيع كان ليوسف بن عمر من بني عبس قال كنت لا أحجب عنه وعن خدمته فدعا ذات يوم بجوار له ثلاث ودعا بخصي له يقال له حديج فقرب اليه واحدة فقال لها انى أريد الشخوص أفأخلفك أو أشخصك معي فقالت صحبة الامير أحب الى ولكني أحسب ان مقامي وتخلفي اعفى وأخف على قلبه فقال أحببت التخلف للفجور ياحديج أضرب فضربها حتى أوجعها ثم أمر ان يأتيه بالثانية وقد رأت مالقيت صاحبتها فقال لها انى أريد الشخوص أفأخلفك أم أخرجك فقالت ما أعدل بصحبة الامير شيئا بل تخرجني قال أحببت الجماع مالك بد من ان يفوتك ليلة ياحديج أضرب فضربها حتى أوجعها ثم أمر ان يأتيه بالثالثة وقد رأت مالقيت المتقدمتان فقال لها انى أريد الشخوص أفأخلفك أم أخرجك قالت الامير أعلم لينظر أخف الامرين عليه فليفعله قال اختاري لنفسك قالت ماعندي اختيار فليختر الامير قال قد فرغت من كل عمل فلم يبق لى الا ان اختار لك أوجعها ياحديج فضربها حتى أوجعها قال الرجل فكانما أوجعني من شدة غيظي عليه فتولت الجارية فتبعها الخادم فلما بعدت قالت الخيرة والله في فراقك ما تقر عين احد بصحبتك فلم يفهم يوسف كلامها فقال ماتقول ياحديج قال قالت كذا وكذا فقال يا ابن الخبيثة من امرك ان تعلمني ياغلام خذ السوط من يده فاوجع رأسه فمازال يضربه حتى اشتفى فتعرف من الغلام الآخر كم ضربت قال لا أدرى قال ياعدو الله

أخرج حاصلي من بيت مالي من غير حساب اقتلوه فقتلوه (١)

﴿ محاسن التطير ﴾

عن عكرمة قال ، كنا جلوساً عند ابن العباس وابن عمر فطار غرابٌ بصيح فقال رجل من القوم خير خير فقال ابن العباس لا خير ولا شر. والذي حضرنا من الشعر في مثله لابي الشيص

مافرَّق الاحبابَ بَعـدَ اللهِ إلا الإبلُ
والناسُ يلحونَ غُرا * بَ البين لما جهلوا
وما على ظهر غرا * بِ البين تُطوى الرحلُ
ولا إذا صاح غُرا * بٌ في الديار ارتحلوا
وما غُرابُ البـين إ * لاَّ ناقةٌ أو جمـلُ

وقال آخر

أزحـلُ عمَّنْ أنتَ صبٌّ بشلهِ * وتلحى غُرابَ البين إنكَ تظلمُ
أقمْ فغُرابُ البـين غيرُ مفرّقٍ * ولا يأتي إلاَّ على الفصـلِ يحكمُ

وقال آخر

غلطَ الذين رأيتهمْ بجهـالةٍ * يلحونَ كلُّهمُ غُراباً ينعقُ
ماالذنبُ إلاَّ للجمـالِ فإنها * مما يُشتّتُ شملهُمْ ويُفرّقُ
إن الغرابَ بيُمنهِ يُدْني النَّوى * وتُشتّتُ الشملَ الجميعَ الاينقُ

وقال آخر

لا يعلمُ المرءُ ليلاً ما يُصبّحُهُ * إلاَّ كواذبُ مما يُخبرُ الفالُ
والفالُ والزَّجرُ والكهَّانُ كلهمُ * مُضـلّلون ودون الغيبِ أقفالُ

(ضده)

حُكي عن النعمان بن المنذر ، انه خرج متصيِّداً ومعه عدي بن زيد العبادي فر بآرام وهي القبور — فقال عدي ، أبيت اللعن أندري ماتقول هـذه الآراء قال لا قال أنها تقول

أيُّها الرَّكبُ المخبُّو * نَ على الارضِ مُجِدُّونَ
لكما كنتم فكنا * وكما كنا تكونون

(١) هكذا في الاصل مسند الي يوسف بن عمر : والظاهر انه اخبار الحجاج كما في غير هذا الكتاب

فقال أعد فأعادها فترك صيده ورجع كئيباً . وخرج معه مرة أخرى فوقف على آرام بظهر الحيرة فقال عدي ، ايبت اللعن أتدري ماتقول هذه الآرام قال لا قال انها تقول .

رُبَّ رَكبٍ قد أناخوا عندنا * يشربونَ الخمرَ بالماءِ الزُّلالْ
ثمَّ أضحوا عصفَ الدهرُ بهم * وكذاكَ الدهرُ حالاً بعدَ حالْ

فانصرف وترك صيده . قال ولما خرج خالد بن الوليد الى أهل الردة انتهى الى حي من بني تغلب فاغار عليهم وقتلهم ، وكان رجل منهم جالساً على شراب له وهو يغني بهذا البيت

ألا علّلاني قبل جيش أبي بكرِ * لعلّ منايانا قريبٌ وما ندري

فوقف عليه رجل من أصحاب خالد فضرب عنقه فاذا رأسه في الجفنة التي كان يشرب منها . وهذا كقولهم

﴿ إنّ البلاءَ مُوكَّلٌ بالمنطِقِ ﴾

﴿ محاسن الوفاء ﴾

قيل في المثل ، أوفى من فُكَيهة ، وهي امرأة من بني قيس بن ثعلبة كان من وفائها ان السليك بن سلكة غزا بكر بن وائل فلم يجد غفلة يلتمسها فخرج جماعة من بكر فوجدوا أثر قدم على الماء فقالوا . ان هذا الاثر لاثر قدم ورد الماء فقعدوا له فلما وافاهم حملوا عليه فعدا حتى ولج قبة فُكيهة فاستجار بها فادخلته تحت درعها فانتزعوا خمارها فنادت اخوتها فجاؤا عشرة فمنعوهم منها . قال وكان سليك يقول . كأني أجد خشونة شعر استها على ظهري حين أدخلتني تحت درعها . وقال

لعمرُ أبيكَ والانباءُ تنمى * لنعمَ الجارُ أختُ بني عُوارا
من الخفرات لم تفضحْ أخاها * ولم ترفعْ لوالدِها شَنارا
عَنيتُ به فُكَيهةَ حين قامتْ * لنصلِ السيفِ فانتزعوا الخمارا

ويقال أيضاً ، هو أوفى من أم جميل ، وهي من رهط ابن أبي بردة من دوس وكان من وفائها ان هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي قتل رجلاً من الازد فبلغ ذلك قومه بالسراة فوثبوا على ضرار بن الخطاب الفهري ليقتلوه فعدا حتى دخل بيت أم جميل وعاذ بها فقامت في وجوههم ودعت قومها فمنعوه لها فلما ولي عمر بن الخطاب ظنت أنه أخوه فأتته بالمدينة فلما انتسبت له عرف القصة فقال اني لست بأخيه الا في الاسلام وهو غاز وقد عرفنا منتك عليه واعطاها على أنها ابنة سبيل . ويقال أوفى من السموءل بن عادياء ، وكان من وفائه أن امرأ القيس بن حجر لما أراد الخروج الى قيصر استودع السموءل دروعه فلما مات امرؤ القيس غزاه ملك من ملوك الشام

فتحرزمنه السموءل فاخذ الملك ابناله خارج الحصن وصاح به ياسموءل هذا ابنك فى يدى وقد علمت ان امرأ القيس ابن عمى وأنا أحق بميراثه فان دفعت الى الدروع والا ذبحت ابنك فقال . أجلنى فأجله فجمع أهل بيته فشاورهم فكلهم أشاروا بدفع الدروع وان يستنقذ ابنه فلما اصبح أشرف عليه . وقال ليس لى الى دفع الدروع سبيل فاصنع ما أنت صانع فذبح الملك ابنه وهو ينظر اليه وكان يهوديا وانصرف الملك ووافى السموءل بالدروع الموسم فدفعها الى ورثة امرئ القيس . وقال فى ذلك

وفيتُ بأذرُعِ الكِنديِّ إنى * إذا ما خانَ أقوامٌ وفيتُ
وقالوا عندَهُ كنز رَغيبٌ * فلا وأبيك أغدُرُ ما مشيت
بَنى لى عادياً حِصنا حَصيناً * وبئرا كلما شئتُ استقيتُ

وفى ذلك يقول الاعشى

كنْ كالسموْألِ إذْ طافَ الهمامُ به * فى جحفلٍ كسوادِ الليلِ جرَّارِ
بالابلقِ الفردِ من تيماءَ منزلُهُ * حِصنٌ حَصينٌ وجارٌ غيرُ غدَّارِ
خيِّرْهُ خُطتَىْ خسفٍ فقال لهُ * مهما تقولنْ فإنى سامعٌ حارِ
فقال ثُكْلٌ وغدْرٌ أنت بينهما * فاخترْ فما فيهما حظ لمختارِ
فشكَّ غيرَ طويلٍ ثمّ قال لهُ * أقتلْ أسيرَكَ إنى مانعٌ جارى

ويقال .. أوفى من الحارث بن عباد ، وكان من وفائه انه أسر عدىّ بن ربيعة ولم يعرفه فقال له دلنى : على عدى بن ربيعة ولك الامان فقال . أنا آمن ان دللتك عليه . قال نعم . قال . فانا عدى بن ربيعة فخلاه . وفى ذلك يقول الشاعر

لهفَ نفسى على عَدِيٍّ وقدْ شا * رَفَهُ الموتُ واحتوتهُ المنونُ

ويقال . هو أوفى من عوف بن مُحلّم ،، وكان من وفائه ان مروان القرظ غزا بكر بن وائل ففضوا جيشه وأسره رجل منهم وهو لا يعرفه فاتى به أمه فقالت . انك تختال باسيرك كانك جئت بمروان القرظ فقال . مروان وما ترجين من مروان قالت . عظم فدائه قال . وكم ترجين من فدائه قالت . مائة بعير قال . لك ذلك على ان تردّينى الى خماعة بنت عوف بن محلم قالت . ومن لى بالمائة فاخذ عودا من الارض وقال هذا لك فمضت به الى بيت عوف فاستجار بخماعة ابنته فبعثت به الى عوف ثم ان عمرو بن هند بعث الى عوف أن يأتيه بمروان وكان واجدا عليه فى شئ فقال عوف لرسوله . ان خماعة ابنتى قد أجارته ،، فقال ان الملك

قدآلى أن يعفو عنه أو يضع كفه فى كفه ،، فقال عوف ، يفعل ذلك على أن تكون كفى بين أيديهما ، فأجابه عمرو الى ذلك فجاء عوف بمروان فادخله عليه فوضع يده فى يده ووضع يده بين أيديهما فعفى عنه ،، ومنهم الطائى صاحب النعمان بن المنذر ، وكان من وفائه ان النعمان ركب فى يوم بؤسه وكان له يومان يوم بؤس و يوم نعيم لم يلقه أحد فى يوم بؤسه إلا قتله ولا فى يوم نعيمه الا أحياه وحباه وأعطاه فاستقبله فى يوم بؤسه اعرابى من طيء فقال ، حيا الله الملك ان لى صبية صغار الم أوص بهم أحدا . فان رأى الملك ان يأذن لى فى اتيانهم وأعطيه عهد الله ان ارجع اليه اذا أوصيت بهم حتى أضع يدى فى يده فرق له النعمان ، وقال له لا .. إلا أن يضمنك رجل ممن معنا فان لم تأت قتلناه وكان مع النعمان شريك بن عمرو بن شراحيل فنظر اليه الطائى وقال

يا شريكَ بنَ عمروٍ * هل من الموتِ محالهْ
يا أخا كلِّ مُضافٍ * يا أخا مَنْ لا أخا لهْ
يا أخا النعمانِ فُكَّ اليومَ عن شيخٍ غلالهْ
ابنُ شيبانَ قَبيلٌ * أصلحَ اللهُ فَعالهْ

فقال شريك . هو على أصلح الله الملك فمضى الطائى وأجل له أجلا يأتى فيه فلما كان ذلك اليوم أحضر النعمان شريكا وجعل يقول له . ان صدر هذا اليوم قد ولى وشريك يقول . ليس لك على سبيل حتى تمسى فلما أمسوا أقبل شخص والنعمان ينظر الى شريك . فقال شريك ليس لك على سبيل حتى يدنو الشخص فلعله صاحبي فبينماهما كذلك اذ أقبل الطائى فقال النعمان . والله ما رايت أكرم منكما وما أدرى أيكما أكرم أهذا الذى ضمنك وهو الموت أم أنت وقد رجعت الى القتل والله لا أكون ألأم الثلاثة فاطلقه وأمر برفع يوم بؤسه ، وأنشد الطائى

ولقدْ دعتنى للخلافِ عشيرتى * فأبيتُ عندَ تجهمِ الاقوالِ
إنى امرؤٌ منى الوفاء خليقةٌ * وفعالُ كلِّ مهذبٍ بذّالِ

فقال النعمان . ما حملك على الوفاء قال . دينى . قال . وما دينك قال . النصرانية قال أعرضها على فعرضها عليه فتنصر النعمان

﴿ ضده ﴾

قيل . كتب صاحب بريد همذان الى المأمون وهو بخراسان يعلمه ان كاتب صاحب البريد المعزول اخبره ان صاحبه وصاحب الخراج كانا تواطئا على اخراج مائتى ألف درهم من بيت المال واقتسماها بينهما . فوقع المأمون إنا نرى قبول السعاية شرا من السعاية لان السعاية

دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء كمن قبله واجازه فأنف الساعي عند ذلك وقال . يا أمير المؤمنين رضي الله عنك المعذرة فان الساعي وان كان في سعايته صادقا لقد كان في صدقه لئيما اذ لم يحفظ الحرمة ولم يف لصاحبه ، قال . ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين عندي نصيحة قال . وما نصيحتك هذه ، قال . فلان كان عاملا ليزيد بن معاوية وعبد الملك والوليد فخانهم فيما تولاه ثم اقتطع أموالا كثيرة جليلة فمر باستخراجها منه ، قال أنت شر منه واخون حيث اطلعت على أمره واظهرته ولولا اني انفر النصاح لعاقبتك ولكن اخترمني خصلة من ثلاث ، قال . اعرضهن يا أمير المؤمنين ، قال . ان شئت فتشنا عما ذكرت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان استقلت أقلناك ، فاستقاله الرجل

﴿ محاسن السخاء ﴾

روى عن نافع قال ، لقي يحيى بن زكريا عليه السلام ابليس لعنه الله فقال . أخبرني بأحب الناس اليك وأبغضهم اليك . قال ، أحبهم الي كل مؤمن بخيل وأبغضهم الي كل منافق سخي . قال . ولم ذلك . قال . لان السخاء خلق الله الاعظم فاخشى ان يطلع عليه في بعض سخائه فيغفر له . وقال النبي صلى الله عليه وسلم . السخي قريب من الله قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخي أحب الى الله عز وجل من عابد بخيل وأدوأ الداء البخل . وقال صلى الله عليه وسلم . ما أشرقت شمس الا ومعها ملكان يناديان يسمعان الخلائق غير الجن والانس وهما الثقلان اللهم عجل لمنفق خلفاً ولممسك تلفاً وملكان يناديان أيها الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى . وعن الشعبي قال ، قالت أم البنين ابنة عبد العزيز أخت عمر بن عبد العزيز وكانت تحت الوليد ابن عبد الملك . لو كان البخل قميصا ما لبسته أو طريقا ما سلكتها وكانت تعتق في كل يوم رقبة وتحمل على فرس في سبيل الله وكانت تقول ، البخل كل البخل من بخل على نفسه بالجنة . وقيل أعتقت هند بنت عبد المطلب في يوم واحد أربعين رقبة . وقال بعض الحكماء ثواب الجود خلف ومحبة ومكافأة وثواب البخل حرمان واتلاف ومذمة : وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه . يا علي كن شجاعا فان الله يحب الشجاع وكن سخيا فان الله يحب السخي وكن غيورا فان الله يحب الغيور يا علي وان انسان سألك حاجة ليس لها باهل فكن أنت أهلا لها وقال النبي صلى الله عليه وسلم . السخاء شجرة في الجنة من أخذ منها بغصن مده الى الجنة ، وقال عبد العزيز بن مروان لو لم يدخل على البخلاء في لؤمهم الا سوء ظنهم بالله عز وجل

لكان عظيما ، وقال صلى الله عليه وسلم . تجافوا عن ذنب السخي فان الله آخذ بيده كلما عثر ، وقال بهرام جور . من أحب أن يعرف فضل الجود على سائر الاشياء فلينظر الى ما جاد الله به على الخلق من المواهب الجليلة والرغائب النفيسة والنسيم والريح كما وعدهم الله فى الجنان فانه لولا رضاه الجود لم يصطفه لنفسه . وقال الموبذان لابرويز . أكنتم تمنون أنتم وآباؤكم بالمعروف وتترصدون عليه المكافأة ، قال . لا ولا نستحسن ذلك لخولنا وعبيدنا فكيف نرى ذلك وفى كتاب دينامن فعل معروفا خفيا وأظهره ليتطول به على المنعم عليه فقد نبذ الدين وراء ظهره واستوجب أن لا نعده من الابرار ولا نذكر فى الاتقياء والصالحين . قيل وسئل الاسكندر ما أكبر ما شيدت به ملكك ، قال ابتدارى الى اصطناع الرجال والاحسان اليهم * قال وكتب ارسطاطاليس فى رسالته الى الاسكندر . واعلم ان الايام تأتى على كل شيء فتخلقه وتخلق آثاره وتميت الافعال الا ما رسخ فى قلوب الناس فاودع قلوبهم محبة أبدة تبقى بها حسن ذكرك وكريم فعالك وشرف آثارك . قال ولما قدم بزرجمهر الى القتل قيل له . انك فى آخر وقت من أوقات الدنيا وأول وقت من أوقات الآخرة فتكلم بكلام تذكر به . فقال . أى شيء أقول الكلام كثير ولكن ان أمكنك أن تكون حديثا حسنا فافعل . قيل . وتنازع رجلان أحدهما من أبناء العجم والآخر اعرابى فى الضيافة فقال الاعرابى . نحن أقرى للضيف . قال وكيف ذلك . قال . لان أحدنا ربما لا يملك الا بعيرا فاذا حل به ضيف نحره له فقال له الاعجمى فنحن أحسن مذهبا فى القرى منكم ، قال . وماذاك . قال نحن نسمى الضيف مهمان ومعناه انه أكبر من فى المنزل وأملكنا به ، وقال بعض الحكماء . بلغ الجود من قام بالمجهود . وقيل . الجواد من لم يضن بالموجود . وقال المأمون . الجود بذل الموجود والبخل سوء الظن بالمعبود . قيل . وشكا رجل الى إياس بن معاوية كثرة ما يهب ويصل الناس وينفق . قال ان النفقة داعية الرزق وكان جالسا على باب فقال للرجل اغلق هذا الباب فاغلقه فقال . هل تدخل فيه الريح قال . لا . قال فافتحه ففتحه فجعلت الريح تخترق فى البيت فقال . هكذا الرزق اغلقت فلم تدخل الريح فكذلك اذا أمسكت لم يأتك الرزق . قيل ووصل المامون محمد بن عباد المهلبى بمائة ألف دينار ففرقها على اخوانه فبلغ ذلك المأمون فقال . يا أبا عبد الله ان بيوت الاموال لا تقوم بهذا . فقال يا أمير المؤمنين البخل بالموجود سوء الظن بالمعبود ، وعن أمية بن يزيد الاموى قال كنا عند عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية فجاءه رجل من أهل بيته فسأله المعونة على تزويج فقال له قولا ضعيفا فيه وعد وقلة اطماع ، فلما قام من عنده ومضى دعا صاحب خزانته فقال اعطه أربعمائة دينار . فاستكثرناها وقلنا . كنت رددت عليه ردا ظننا أنك تعطيه شيئا قليلا فاذا

أنت أعطيته أكثر مما أمل . فقال . انى أحب أن يكون فعلى أحسن من قولى ، وبحاتم يضرب المثل فى السخاء . نحدثنا عن بعض حالات حاتم قيل . كان حاتم جواداً شاعراً وكان حيثما نزل عرف منزله وكان ظفرا اذا قاتل غلب واذا غنم نهب واذا سئل وهب واذا ضرب بالقداح سبق واذا أسر أطلق ، وكان أقسم أن لا يقتل واحد أمه ، قيل : ولما بلغ حاتما قول المتلمس الضبعى

قليلُ المالِ تصلحهُ فيبقى * ولا يبقى الكثيرُ على الفسادِ
وحفظُ المالِ أيسرُ من بغاهُ * وضربٍ فى البلادِ بغيرِ زاد

فقال . ماله قطع الله لسانه يحرض الناس على البخل أفلا قال

فلا الجودُ يُفنى المالَ قبل فنائهِ * ولا البخلُ فى مال الشحيح يزيدُ
فلا تلتمسْ رزقا بعيش مُقتّرٍ * لكلّ غدٍ رزقٌ يعودُ جديدُ
ألمْ ترَ أن الرزقَ غادٍ ورائحٌ * وأن الذى أعطاك سوفَ يعيدُ

قيل . ونزل على حاتم ضيف ولم يحضره القرى فنحر ناقة الضيف وعشاه وغداه وقال . إنك قد أقرضتنى ناقتك فاحتكم على . قال . راحلتين . قال . لك عشرون أرضيت ؟ قال نعم وفوق الرضى . قال . لك أربعون . ثم قال لمن يحضره من قومه من أتانا بناقة فله ناقتان بعد الغارة فأتوه بأربعين فدفعها الى الضيف ، وحكوا عن حاتم انه خرج فى الشهر الحرام يطلب حاجة فلما كان بأرض عنزة ناداه أسير فيهم . يا أبا سفانة قد أكلنى الاسار والقمل . قال . والله ما أنا فى بلادى ولا معى شيء وقد أسأت إلى ان نوهت باسمى فذهب الى العنزيين فساومهم فيه واشتراه منهم وقال . خلوا عنه وأنا أقيم مكانه فى قيده حتى أؤدى فداه ، ففعلوا فأتاهم بفداء . قيل ولما مات حاتم خرج رجل من بنى أسد يعرف بأبى الخيبرى فى نفر من قومه وذلك قبل ان يعلم كثير من العرب بموته فأناخوا بقبره فقال . والله لا حلفن للعرب انى نزلت بحاتم وسألته القرى فلم يفعل وجعل يضرب القبر برجله ويقول

عجّلْ أبا سفانةٍ قراكا * فسوفَ أنبى سائلى ثناكا

فقال بعضهم . مالك تنادى رمة وباتوا مكانهم فقام صاحب القول من نومه مذعوراً فقال . ياقوم عليكم مطاياكم فان حاتماً أتانى فأنشدنى

أبا الخيبرىَّ وأنت امرؤٌ * ظلومُ العشيرةِ شتامُها
فماذا أردتَ إلى رمةٍ * بدويةٍ صخبتْ هامُها
تبغى أذاها وإعسارَها * وحولكَ طىٌّ وأنعامُها
وإنا لنُطعمُ أضيافنا * من الكومِ بالسيفِ نعتامُها

وقيل فى المثل . هو اجود من كعب بن مامة وكان من اياد و بلغ من جوده انه خرج فى ركب فيهم رجل من بنى النمر بن قاسط فى شهر ناجر والجأهم العطش فضلوا فاقتصفوا ماءهم فجعل النمرى يشرب نصيبه فاذا اراد كعب ان يشرب نصيبه قال . آثر اخاك النمرى فيؤثره حتى اضرّ به العطش فلما رأى ذلك استحث ناقته وبادر حتى رفعت له اعلام الماء وقيل له رد كعب فانك وارد فمات قبل ان يرد ونحاز فيه . ومن قول ابى تمام

هو البحر من اىّ النواحى أتيته * فلجّته المعروف والجود ساحله
كريم إذا ماجئت للعرف طالبا * حباك بما تحوى عليه أنامله
فلو لم يكن فى كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

وللبحترى

لو أنّ كفك لم تجد لمؤمّل * لكفاه عاجل وجهك المتهلل
ولو أنّ مجدك لم يكن متقادما * أغناك آخر سودد عن أوّل

ولبكر بن النطاح

بطل يصدّر حسامه وسنانه * أجلان من صدر ومن إيراد
ورث المكارم وانتهاها قاسمٌ * بصفائح وأسنة وجياد
ياعصمة العرب التى لولم تكن * حيا إذا كانت بغير عماد
إن العيون إذا رأتك حدادها * رجعت من الإجلال غير حداد
و إذا رميت الثغر منك بعزمة * فتحت منه مواضع الاسداد
وكأن رمحك منبع فى عصفر * وكأن سيفك سلّ من فرصاد
لو صال من غضب أبو دلف على * بيض السيوف لذبن فى الاغماد
أورى ونوّر للعداوة والهوى * نارين نار دم ونار زناد

قال أبو هفان . انشدت هذه الابيات عبد العزيز بن أبي دلف بسرمن راى . فقال هل سمعت بمثل هذه الابيات . قلت . لا . قال . ولغيره فى ابى دلف

ولو يجوز لقال الناس كلهم * لولا أبو دلف ما أورق الشجر

قال ابن يحيى النديم . دعانى المتوكل ذات يوم وهو مخمور فقال . انشدنى قول عمارة فى اهل بغداد . فانشدته

من يشترى منى ملوك مخرّم * أبع حسنا وابنى هشام بدرهم
وأعطى رجاء بعد ذاك زيادة * وأمنح دينارا بغير تندم

فان طلبوا مني الزيادة زدتهم * أبا دلف والمستطيل بن أكثم

فقال المتوكل . ويلي على ابن البوال على عتبيه يهجو شقيق دولة العباس قال فهل عندك من المدح في أبي دلف القاسم بن عيسى شيء . قلت نعم يا أمير المؤمنين قول الاعرابي الذي يقول فيه

أبا دلف إن السماحة لم تزل * معلقة تشكو إلى الله غلها

فبشرها ربي بميلاد قاسم * فأرسل جبريلا إليها فحلها

وقال غيره

حر إذا جئته يوما لتسأله * أعطاك ما ملكت كفاه واعتذرا

يخفي صنائعه والله يظهرها * إن الجميل إذا أخفيته ظهرا

وقال آخر

فتى عاهد الرحمن في بذل ماله * فليس يراه الدهر إلا على العهد

فتى قصرت آماله عن فعاله * وليس على الحر الكريم سوى الجهد

وقال آخر

إذا ما أتاه السائلون توقدت * عليه مصابيح الطلاقة والبشر

له في ذرى المعروف نعمى كأنها * مواقع ماء المزن في البلد القفر

وقال آخر

عاد السرور إليك في الأعياد * وسعدت من دنياك بالإسعاد

رفقا بعبد جل ما أوليته * رفقا فقد أثقلته بأيادي

ملأ النفوس مهابة ومحبة * بدر بدا متغمرا بسواد

ما إن أرى لك مشبها فيمن أرى * إن الكرام قليلة الانداد

وقال في ابن أبي دواد

بدا حين أثرى بإخوانه * ففلل عنهم شباة العدم

وحذره الحزم صرف الزمان * فبادر قبل انتقال النعم

فليس وإن بخل الباخلو * ن بمزرع سئاله من ندم

ولا ينكت الارض عند السؤال * ليمنع سؤاله عن نعم

ولكن يرى مشرقا وجهه * ليرغم في ماله من رغم

ويروى في الحديث انه لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد صالح أبدا . ويقولون .

الشحيح أغدر من الظالم اقسم الله بعزته لا يساكنه بخيل في جنته وقال النبي صلى الله عليه وسلم من فتح له باب من الخير فلينتهزه فانه لا يدري متى يغلق عنه . وقال الشاعر في ذلك

ليس في كل ساعة وأوان * تتهيا صنائع الإحسان
فاذا أمكنت تقدمت فيها * حذراً من تعذر الإمكان

وذكر عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه أن امير المؤمنين علياً صلوات الله عليه بعثه الى حكيم بن حزام بن خويلد يسأله مالا فانطلق به الى منزله فوجد في الطريق صوفا فاخذه ومر بقطعة كساء فاخذها فلما صار الى المنزل أعطاه طرف الصوف فجعل يفتله حتى صيره خيطاً ثم دعا بغرارة مخرقة فرقعها بالكساء وخيطها بالخيط وصر فيها ثلاثين الف درهم فحملت معه قال وأتى قوم قيس بن سعد بن عبادة الانصاري رحمه الله يسألونه في حمالة فصادفوه في حائط له يتتبع ما يسقط من التمر فيعزل جيده ورديئه على حدة فهموا بان يرجعوا عنه وقالوا . ما نظن عنده خيراً ثم كلموه فاعطاهم فقال رجل من القوم . لقد رأيناك تصنع شيئاً لا يشبه فعالك فقال وماذاك فاخبروه فقال . ان الذي رأيتم يؤول الى اجتماع ما ينفع وينمو . ومنها قيل . الذود الى الذود إبل . وانشد

رب كبير هاجه صغير * وفي البحور تغرق البحور

وقال آخر

قد يلحق الصغير بالجليل * وإنما القرم من الافيل
وسحق النخل من الفسيل

قال وأتى رجل طلحة بن عبيد الله فسأله حمالة فرآه يهنأ بعيراً له فقال يا غلام اخرج اليه بدرة فقبضها وقال أردت ان انصرف حين رأيتك تهنأ البعير فقال انا لا نضيع الصغير ولا يتعاظمنا الكبير

﴿ مساوي البخل ﴾

المثل السائر في البخل . هو ابخل من مادر . وهو رجل من بني هلال بن عامر بلغ من بخله انه كان سقى ابله فبقي في اسفل الحوض ماء قليل فسلح فيه ومدر الحوض به فسمي مادراً .. وذكروا ان بني هلال وبني فزارة تنافروا الى انس بن مدرك وتراضوا به . فقالت بنو هلال يا بني فزارة أكلتم ايرالحمار فقالت بنو فزارة . لم نعرفه . وكان سبب ذلك ان ثلاثة اصطحبوا فزاري وثعلبي وكلابي فصادفوا حمار وحش ومضى الفزاري في بعض حوائجه فطبخوا وأكلوا وخبأوا للفزاري ايرالحمار فلما رجع قالا . قد خبأنا لك حتك فكل . فأقبل يأكل ولا يسيغه فجعلا

يضحكان فقطن وأخذ السيف وقام اليهما وقال : لما كان منه أولا قتلتكما فامتنعا فضرب أحدهما فقتله وتناوله الآخر فاكل منه ، فقال فيهم الشاعر

نشدتك يافزار وأنت شيخ * إذا خيرت تخطئ في الخيار
أصيحانية أدمت بسمن * أحب اليك أم ابر الحمار
بلى ابر الحمار وخصيتاه * أحب إلى فزارة من فزاري

فقالت بنو فزارة : منكم يابني هلال من سقى ابله فلما روين سلح في الحوض ومدره بخلا فنفرهم أنس بن مدرك على الهلاليين فاخذ الفزاريون منهم مائة بعير وكانوا تراهنوا عليها ، وفي بني هلال يقول الشاعر

لقد جللت خزياً هلال بن عامر * بني عامر طراً بسلحة مادر
فأف لكم لاتذكروا الفخر بعدها * بني عامر أنتم شرار العشائر

وفي المثل ، هو أبخل من أبي حباحب . وهو رجل في الجاهلية بلغ من بخله أنه كان يسرج السراج فاذا أراد أحد أن يأخذ منه أطفاه ، فضرب به المثل ، ومنه صاحب نجيح بن سلكة اليربوعي فانه ذكر : ان نجيحا اليربوعي خرج يوما يتصيد فعرض له حمار وحش فاتبعه حتى دفع الى أكمة فاذا هو برجل أعمى اسود قاعد في اطمار بين يديه ذهب وفضة ودر وياقوت فدنا منه فتناول بعضها ولم يستطع أن يحرك يده حتى القاه فقال : ياهذا ماهذا الذي بين يديك وكيف يستطاع أخذه وهل هولك أم لغيرك فاني أعجب مما ارى اجوادانت فتجود لنا أم بخيل فاعذرك فقال الاعمى : اطلب رجلا فقد منذ سنين وهو سعد بن خشرم بن شماس فأتني به نعطك ماتشاء . فانطلق نجيح مسرعاً قد استطير فؤاده حتى وصل الى قومه ودخل خباءه ووضع رأسه فنام لما به من الغم لايدري من سعد بن خشرم فاتاه آت في منامه فقال له . يانجيح ان سعد بن خشرم في حي بني محلم من ولد ذهل بن شيبان . فسأل عن بني محلم ثم سأل عن خشرم بن شماس فاذا هو بشيخ قاعد على باب خبائه فحياه نجيح فرد عليه السلام ، فقال له نجيح من أنت ، قال أنا خشرم بن شماس قال له فاين ولدك سعد قال خرج في طلب نجيح اليربوعي وذلك ان آتيا أتاه في منامه فحدثه ان مالاله في نواحي بني يربوع لا يعلم به الانجيح اليربوعي فضرب نجيح فرسه ومضى وهو يقول

أيطلبني من قد عناني طلابه * فياليتني ألقاك سعد بن خشرم
أتيت بني يربوع تبغي لقاءنا * وجئت لكي ألقاك حي محلم

فلما دنا من محلته استقبله سعد فقال له نجيح . أيها الراكب هل لقيت سعدا في بني يربوع قال أنا سعد فهل تدل على نجيح . قال ، أنا نجيح وحدثه بالحديث ، فقال ، الدال على الخير كفاعله

وهو أول من قالها – فانطلقا حتى أتيا ذلك المكان فتوارى الرجل الأعمى عنهما وترك المال فأخذه سعد كله فقال نحيح يا سعد قاسمني . فقال له ، أطوعني وعن مالي كشحا . وأبى أن يعطيه شيئاً فانتضى نحيح سيفه فجعل يضربه حتى برد فلما وقع قتيلا تحول الرجل الحافظ للمال سعلاة فاسرع في أكل سعد وعاد المال الى مكانه فلما رأى نحيح ذلك ولى هاربا الى قومه . قيل وكان أبو عبس بخيلا وكان اذا وقع الدرهم في يده نقره باصبعه ثم يقول . كم من مدينة قد دخلتها و يد قد وقعت فيها فالآن استقر بك القرار واطمأنت بك الدار ثم يرمى به في صندوقه فيكون آخر العهد به . قيل ، ونظر سليمان بن مزاحم الى درهم فقال في شق ، لا اله الا الله ، و في شق ، محمد رسول الله ما ينبغي أن تكون الا معاذة وقذفه في صندوقه . وذكروا انه كان بالري عامل على الخراج يقال له المسيب فأتاه شاعر يمتدحه فلم يعطه شيئا ثم سعل سعلة فضرط ، فقال الشاعر

أتيتُ المسيَّبَ في حاجةٍ * فما زال يَسعَلُ حتى ضَرَطْ

فقال غلطنا حسابَ الخراجِ * فقلتُ من الضرطِ جاء الغلطْ

فما زالوا يتداولون ذلك حتى هرب منها من غير عزل . قال ، وكتب ارسطاطاليس الى رجل بشيء فلم يفعل فكتب اليه ، ان كنت أردت فلم تقدر فمعذور وان كنت قدرت ولم ترد فسيأتيك يوم تريد فيه فلا تقدر ، قال . وسمع أبو الاسود الدؤلي رجلا يقول من يعشي الجائع ، فعشاه ثم قام الرجل ليخرج فقال . هيهات تخرج فتؤذي الناس كما آذيتني ، ووضع رجله في الادهم حتى أصبح ، قال وكان رجل يأتي ابن المقفع فيلح عليه ويسأله أن يتغدى عنده ويقول لعلك تظن اني أتكلف لك شيئا والله لا أقدم لك الا ما عندي فلما أتاه لم يجد في بيته الا كسراً يابسة وملح جريش ، وجاء سائل الى الباب فقال له ، وسع الله عليك ، فلم يذهب فقال ، والله لئن خرجت اليك لادق رأسك . فقال ابن المقفع للسائل . ويحك لو عرفت من صدق وعيده ما أعرف من صدق وعده لم ترد كلمة ولم تقم طرفة عين ، قال ، وكتب ابراهيم بن سيابة الى صديق له كثير المال يستسلفه . فكتب اليه ، العيال كثير والدخل قليل والمال مكذوب عليه فكتب اليه ، ان كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وان كنت صادقا فجعلك الله معذوراً . وكتب آخر الى آخر يصف رجلا ، أما بعد فانك كتبت تسال عن فلان كأنك هممت به أو حدثتك نفسك بالقدوم اليه فلا تفعل فان حسن الظن به لا يقع في الوهم الا بخذلان الله والطمع فيما عنده لا يخطر على القلب الا بسوء التوكل على الله والرجاء فيما في يده لا ينبغي الا بعد اليأس من رحمة الله انه يرى الايثار الذي رضي به التبذير الذي يعاقب عليه والاقتصاد الذي أمر به الاسراف الذي يعاقب عليه وان بني اسرائيل لم يستبدلوا العدس والبصل بالمن والسلوى الا لفضل أخلاقهم

وقديم علمهم وان الصنيعة مرفوعة والصلة موضوعة والهبة مكروهة والصدقة منحوسة والتوسع ضلالة والجود فسوق والسخاء من همزات الشياطين وان مواساة الرجال من الذنوب الموبقة والافضال عليهم من احدى الكبائر وأيم الله انه يقول ان الله لا يغفر أن يؤثر المرء فى خصاصة على نفسه و يغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن آثر على نفسه فقد ضل ضلالا بعيدا كانه لم يسمع بالمعروف الا فى الجاهلية الذين قطع الله أدبارهم ونهى المسلمين عن اتباع آثارهم وان الرجفة لم تاخذ أهل مدين الا لسخاء كان فيهم ولا أهلكت الريح عادا الا لتوسع كان منهم فهو يخشى العقاب على الانفاق و يرجو الثواب على الاقتار و يعد نفسه خاسرا أو يعدها الفقر و يامرها بالبخل خيفة أن تمر به قوارع الدهر وأن يصيبه ما أصاب القرون الاولى فاقم رحمك الله مكانك واصطبر على عسرك عسى الله أن يبدلنا واياك خيرا منه زكاة وأقرب رحما . ولبعض الكتاب أما بعد فان كثير المواعيد من غير نجح عار على المطلوب اليه وقلما مع نجح الحاجة مكرمة من صاحبها وقد رددتنا فى حاجتنا هذه فى كثرة مواعيدك من غير نجح لها حتى كانا قد رضينا بالتعلل لها دون النجاح ، كقول القائل :

لا تجعلنّا ككمّون بمزرعةٍ * إن فاته الماءُ أروته المواعيدُ

وكتب آخر ، مارأيت مثل طيب قولك أمرّ دسوء فعالك ولا مثل بسط وجهك خالفه طول تنكيدك ولا مثل قرب عدتك باعدها افراط مطلك ولا مثل أنس مذاهبك أوحش منه اختبار عواقبك حتى كان الدهر أوعدك لطيف الحيلة بالمكر باهل الخلة وكانه زينك فيهم بالخديعة لتدرك منهم فرصة الهلكة . وقد قيل : وعد الكريم نقد وتعجيل و وعد اللئيم مطل وتأجيل . وقال بعضهم : وعدتنا مواعيد عرقوب ومطلتنا مطل نعاس الكلب وغررتنا غرور السراب ومنيتنا أمانى الكمون . ولبعضهم أما بعد فلا تدعنى معلقاً بوعدك فالعذر الجميل أحسن من المطل الطويل فان كنت تريد الانعام فانجح وان تعذرت الحاجة فاوضح واعلمنى ذلك لاصرف وجه الطلب الى غيرك . وذكروا ان فتى من مراد كان يختلف الى عمرو بن العاص فقال له ذات يوم : ألك امرأة . قال ، لا . قال ، فتزوج وعلىّ المهر . فرجع الى أمه فاخبرها الخبر فقالت :

إذا حدّثتكَ النفسُ إنك قادرٌ * على ماحوت أيدى الرجال فكذّبِ

فتزوج وأتى عمرو بن العاص فاعتلّ عليه ولم ينجز وعده فشكى ذلك الى أمه فقالت

لا تغضبنّ على امرىءٍ فى مالهِ * وعلى كرائمِ حُرّ مالكَ فاغضبِ

ووصف اعرابى رجلا فقال ، له بشر مطمع ومطل مؤيس وكنت منه أبداً بين الطمع واليأس لابذل سريع ولا مطل مريح ، وقال اعرابى ، أنا من فلان فى أمانى تهبط العصم وخلف

يذكر العدم ولست بالحريص الذي اذا وعده الكذوب علق نفسه لديه وأتعب راحلته اليه،، وذكر اعرابى رجلا فقال، له مواعيد عواقبها المطل وثمارها الخلف ومحصولها اليأس ، ويقال سرعة اليأس أحد النجحين ، وقال بعضهم مواعيد فلان مواعيد عرقوب ولمع الآل وبرق الخلّب وأمانى الكمون ونار الحباحب وصلف تحت الراعدة ، ومما قيل فى ذلك

أروحُ وأغدُو نحوكم فى حوائجى * فأُصبِحُ فيها غدوةً كالذى أُمسى
وقد كنتُ أرجو للصديقِ شفاعتى * فقد صرتُ أرضى أن أشفَعَ فى نفسى

ولابى نواس

وعدتنى وعدك حتى إذا * أطمعتنى فى كنزِ قارُونِ
جئتَ من الليل بمسألةٍ * تغسلُ ما قلتَ بصابون

ولابى تمام

يحتاجُ مَن يرتجى نوالكم * إلى ثلاثٍ من غيرِ تكذيبِ
كنوزِ قارونَ أن تكونَ له * وعمرِ نوحٍ وصبرِ أيوبِ

وقال آخر

إنى رأيتُ من المكارمِ حسبكم * أنْ تلبَسوا خزَّ الثيابِ وتشبعوا

وقال حسان بن ثابت

إنى لأعجبُ من قولٍ غُررتَ به * حلوٍ يمدُّ اليه السمعُ والبصرُ
لو تسمعُ العُصمُ من صُمِّ الجبالِ به * ظلّت من الراسياتِ العُصمُ تنحدرُ
كالخمرِ والشهدِ يجرى فوق ظاهره * وما لباطنه طعمٌ ولا خبرُ
وكالسرابِ شبيهاً بالغديرِ وإن * تبغِ السرابَ فلا عينٌ ولا أثرُ
لا ينبتُ العشبُ عن برقٍ وراعدةٍ * غرّاءَ ليس لها سيلٌ ولا مطرُ

وقال آخر

رأيتُ أبا عثمانَ يبذلُ عرضهُ * وخبزُ أبى عثمانَ فى أحرزِ الحرزِ
يحنُّ الى جاراتهِ بعدَ شبعهِ * وجاراتُهُ غرثى تحنُّ الى الخبزِ

وقال آخر

ما كنتُ أحسبُ أنَّ الخبزَ فاكهةٌ * حتى نزلتُ على أوفى بن منصورِ
الحابسُ الروثَ فى أعفاج بغلتهِ * خوفاً على الحبِّ من لقطِ العصافيرِ

وقال آخر

نوالك دونه خرط القتاد * وخبزك كالثريا فى البعاد
ترى الاصلاح صومك لا للنسك * وكسر الخبز من عمل الفساد
أرى عمر الرغيف يطول جداً * لديك كأنه من قوم عاد

وقال آخر

اللؤم منك على الطعام طباع * فعيال بيتك ما حييت جياع
وإذا يمر بباب دارك سائل * حملت عليه نوابح وسباع
وعلى رغيفك حية مسمومة * وعلى خوانك عقرب وشجاع

وقال آخر

يا تارك البيت على الضيف * وهارباً عنه من الخوف
ضيفك قد جاء بخبز له * فارجع وكن ضيفاً على الضيف
إذا اشتهى الضيف طبيخ الشتا * أتاه بالشهوة فى الصيف
وإن دنا المسكين من بابه * شد على المسكين بالسيف

وقال آخر

أرى ضيفك بالدار * وكرب الجوع يغشاه
على خبزك مكتوب * سيكفيكهم الله

وقال آخر

لأبى نوح رغيف * أبداً فى حجر دايه
أبداً يمسحه الدهر * بكم ووقايه
وله كاتب سر * خط فيه بعنايه
فسيكفيكهم الله إلى آخر الآيه

وقال آخر

الخبز يبطى حين يدعو به * كأنه يقدم من قاف
ويمدح الملح لأصحابه * يقول هذا ملح سيراف
سيان أكل الخبز فى داره * وقلع عينيه بخطاف

وقال آخر

فتى لا يغارُ على عِرسه * ولكن يغارُ على خبزه
فمنه يدُ الجودِ مقبوضةٌ * وكفُّ السماحةِ في عجزه

وقال آخر

يصونون أثوابهم في التخوتِ * وأزواجهم بذلةٌ في السكك
ينحّون من رام رُغفانهم * ويدنون من رام حلّ التكك

وقال آخر

أما الرغيفُ على الخوا * نِ فمن حماماتِ الحرمْ
ما إن يُجسّ ولا يُمسـ * ـسُ ولا يُذاقُ ولا يُشمْ
فتراهُ أخضرَ يابساً * بالي النقوشِ من الهرمْ

وقال آخر

أتينا أبا طاهرٍ مفطرين * إلى داره فرجعنا صياما
وجاءَ بخبزٍ له حامضٍ * فقلت دعوه وموتوا كراما

وقال آخر

يبخلُ بالماء ولو أنهُ * منغمسٌ في وسطِ النيل
شحاً فلا تطمع في خبزهِ * ولو تشفعت بجبريل

وعن حذيفة بن محمد الطائي قال . قال الرشيد ما لاحد من المولدين ما لابي نواس في الهجاء

وما روّحتنا لتذبّ عنا * ولكن خفت مرزئة الذباب
شرابك كالسرابِ إذا التقينا * وخبزك عند منقطع التراب

وقال آخر

خان عهدي عمرٌو وما خنتُ عهده * وجفاني وما تغيّرتُ بعده
ليس لي ما جنيتُ ذنبٌ إليهِ * غير أني يوماً تغديتُ عنده

وقال الخليل بن احمد العروضي الازدي

كفّاهُ لم تُخلقا للندى * ولم يكُ بخلُهما بدعه
فكفٌّ على الخبز مقبوضةٌ * كما نقصت مائةٌ تسعه
وكفٌّ ثلاثةُ آلافها * وتسعُ مِئيها شرعه[1]

---

(١) قلت في هامش الاصل ما نصه وذكر جعفر بن محمد التميمي في كتابه الجامع في اللغة شرعة المثل يقال هذا شرعة ذاك أي مثله وعلى هذا أولوا قول الخليل رحمه الله فكف وذكر الابيات الثلاثة ثم قال يريد مثلها أي مثل

وقال ابن ابی البغل

وكلُّ منْ أجتديه فى بلدٍ * أرُومُ مما لديه فى صفدِ
يعقدُ لى باليسارِ أربعةً * منقوصةً تسعةً الى العددِ

وقال آخر

أتيتُ أبا عمرو أرجّى نوالهُ * فزاد أبو عمرو على حزنى حزنا
فكنتُ كباغى القرنِ أسلمَ أذنهُ * فآبَ بلا أذن ولم يستفد قرنا

ـ محاسن الشجاعه ـ

قيل ، كان باليمامة رجل من بنى حنيفة يقال له جحدر بن مالك وكان لسنا فاتكا شجاعا شاعرا وكان قد أبر على أهل هجر وناحيتها فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فكتب الى عامل اليمامة يوبخه بتلاعب جحدر به ويأمره بالتجرد فى طلبه حتى يظفر به فبعث العامل الى فتية من بنى يربوع بن حنظلة فجعل لهم جعلا عظيما ان هم قتلوا جحدرا أو أتوه به أسيرا ووعدهم ان يوفدهم الى الحجاج ويسنى فرائضهم فخرج الفتية فى طلبه حتى اذا كانوا قريبا منه بعثوا اليه رجلا منهم يريه انهم يريدون الانقطاع اليه والتحرم به فوثق بهم واطمأن اليهم فبينما هم على ذلك اذ شدوه وثاقا وقدموا به الى العامل فبعث به معهم الى الحجاج وكتب يثنى على الفتية فلما قدموا على الحجاج قال له أنت جحدر . قال ، نعم : قال . ما حملك على ما بلغنى عنك ، قال ، جراءة الجنان وجفوة السلطان وكلب الزمان ، قال ، وما الذى بلغ من أمرك فيجترئ جنانك ويصلك سلطانك ولا يكلب زمانك ، قال لو بلانى الامير لوجدنى من صالحى الاعوان وبهم الفرسان وممن أوفى على أهل الزمان قال : الحجاج انا قاذفوك فى قبة فيها أسد فان قتلك كفانا مؤنتك وان قتلته خليناك ووصلناك ، قال : قد أعطيت أصلحك الله الامنية وأعظمت المنة وقربت المحنة . فأمر به فاستوثق منه بالحديد وألقى فى السجن وكتب الى عامله بكسكر يأمره ان يصيد له أسدا ضاريا فلم يلبث العامل ان بعث اليه باسود ضاريات قد ابرت على أهل تلك الناحية ومنعت عامة مراعيهم ومسارح دوابهم فجعل منها واحدا فى تابوت يجر على عجلة فلما قدموا به على الحجاج أمر فالقى فى حير واجيع ثلاثا ثم بعث الى جحدر فاخرج وأعطى سيفا ودلى عليه فمشى الى الاسد ،، وأنشأ يقول

ليثٌ وليثٌ فى مكانٍ ضنكِ * كلاهما ذو أنفٍ ومحكِ
وصولةٍ فى بطشةٍ وفتكِ * إن يكشفِ اللهُ قناعَ الشكِّ

الاولى وأنا أرى أن تكون شرعة هاهنا دينا وسنة قال هذا الهاديا

وظفراً بجؤجؤ وبركِ * فهو أحقُّ منزل بترك
الذئبُ يعوى والغرابُ يبكى

حتى اذا كان منه على قدر رمح تمطى الاسد وزأر وحمل عليه فتلقاه جحدر بالسيف فضرب هامته ففلقها وسقط الاسد كانه خيمة قوضتها الريح فانثنى جحدر وقد تلطخ بدمه لشدة حملة الاسد عليه فكبر الناس ، فقال: الحجاج ياجحدر ان احببت ان ألحقك ببلادك وأحسن صحبتك وجائزتك فعلت بك وان أحببت أن تقيم عندنا أقمت فاستنافر بضبتك . قال: اختار صحبة الامير ففرض له ولجماعة أهل بيته: وأنشأ جحدر يقول

يا جُملُ إنك لو رأيتِ بسالتى * فى يوم هيجٍ مُرْدِفٍ وعجاج
وتقدُّمى لليثِ أرسُفُ نحوهُ * حتى أكابدهُ على الإحراجِ
جهْمٌ كأنَّ جبينهُ لما بدا * طبقُ الرَّحا متفجرُ الأثباج
يرنوا بناظرتين تحسبُ فيهما * منْ ظنَّ خالهما شعاعُ سراج
شثنٌ براثنهُ كأنَّ نيوبهُ * زُرقُ المعاولِ أوشذاة زجاج
وكأنما خيطتْ عليهِ عباءةٌ * برقاء أوخلقٌ منَ الديباج
قرنانِ محتضرانِ قدْ ربَّتهما * أمُّ المنيةِ غيرُ ذاتِ نتاج
وعلمتُ أنى إنْ أبيتُ نزالهُ * أنى من الحجّاج لستُ بناج
فمشيتُ أرسُفُ فى الحديدِ مكبّلا * بالموتِ نفسى عندَ ذاك أناجى
والناسُ منهمْ شامتٌ وعصابةٌ * عبراتُهمْ لى بالحلوقِ شواجى
ففلقتُ هامتهُ فخرَّ كأنهُ * أُطمٌ تقوَّضَ مائلَ الابراج
ثمَّ انثنيتُ وفى قميصى شاهدٌ * مما جرى من شاخبِ الاوداج
أيقنتُ أنى ذو حفاظٍ ماجدٌ * منْ نسلِ أملاكٍ ذوى أتواج
فلئنْ قذفتُ إلى المنيةِ عامداً * إنى لخيرك بعدَ ذلكَ راجى
علمَ النساءُ بأننى لاأنثنى (١) * إذ لايثقنَ بغيرةِ الازواج

وحكى عن الطفيل بن عامر العمرى قال . خرجت ذات يوم أريد الغارة وكنت رجلا أحب الوحدة فبينما أنا أسير اذ ضللت الطريق الذى أردته فسرت أياما لاأدرى أين أتوجه حتى نفد زادى فجعلت آكل الحشيش وورق الشجر حتى أشرفت على الهلاك ويئست من الحياة

١ المشهور فى رواية البيت من بنار على النساء محيظة البيت الخ

فبينا أنا أسير اذ أبصرت قطيع غنم فى ناحية من الطريق فملت اليها واذا شاب حسن الوجه فصيح اللسان قال لى . ياابن العم أين تريد . فقلت . أردت حاجة لى فى بعض المدن وما أظنني الا قد ضللت الطريق . فقال . أجل ان بينك وبين الطريق مسيرة أيام فانزل حتى تستريح وتطمئن وتريح فرسك فنزلت فرمى لفرسى حشيشا وجاء الى بثريد كثير ولبن ثم قام الى كبش فذبحه وأجج نارا وجعل يكبب لى ويطعمني حتى اكتفيت فلما جننا الليل قام وفرش لى وقال . قم فارم بنفسك فان النوم أذهب لتعبك وأرجع لنفسك فقمت ووضعت رأسي فبينا أنا نائم اذ أقبلت جارية لم ترعيناى مثلها قط حسنا وجمالا فقعدت الى الفتى وجعل كل واحد منهما يشكو الى صاحبه ما يلقى من الوجد به فامتنع على النوم لحسن حديثهما فلما كان فى وقت السحر قامت الى منزلها فلما أصبحنا دنوت منه فقلت له . ممن الرجل . قال أنا فلان بن فلان . فانتسب لى فعرفته فقلت له . ويحك ان أباك لسيد قومه فما حملك على وضعك نفسك فى هذا المكان . فقال ، أنا والله أخبرك كنت عاشقا لابنة عمى هذه التى رأيتها وكانت هى أيضا لى وامقة فشاع خبرنا فى الناس فأتيت عمى فسألته أن يزوجنيها فقال . يابنى والله ما سألت شططا وما هى بآثر عندى منك ولكن الناس قد تحدثوا بشىء وعمك يكره المقالة القبيحة ولكن أنظر غيرها فى قومك حتى يقوم عمك بالواجب لك . فقلت . لا حاجة لى فيما ذكرت وتحملت عليه بجماعة من قومى فردهم وزوجها رجلا من ثقيف له رئاسة وقدر فحملها الى ههنا ــ وأشار بيده الى خيم كثيرة بالقرب منا ــ فضاقت على الدنيا برحبها وخرجت فى أثرها فلما رأتنى فرحت فرحا شديدا فقلت لها . لا تخبرى أحدا انى منك بسبيل ثم أتيت زوجها وقلت . أنا رجل من الازد أصبت دما وأنا خائف وقد قصدتك لما أعرف من رغبتك فى اصطناع المعروف ولى بصر بالغنم ان رأيت ان تعطينى من غنمك شيئا فأكون فى جوارك وكنفك فافعل . قال . نعم وكرامة فاعطانى مائة شاة وقال لى . لا تبعد بها من الحى وكانت ابنة عمى تخرج الى كل ليلة فى الوقت الذى رأيت وتنصرف فلما رأى حسن حال الغنم أعطانى هذه فرضيت من الدنيا بما ترى . قال ، فأقمت عنده أياما فبينا أنا نائم اذ نبهنى وقال ، يا أخا بنى عامر ، قلت له ، ما شأنك ، قال ، ان ابنة عمى قد ابطأت ولم تكن هذه عادتها والله ما أظن ذلك الا لامر حادث فحدثنى . فجعلت احدثه ، فأنشأ يقول

مابالُ مَيَّةَ لاتأتى كعادتِها * هل هاجها طربٌ أو صدَّها شغلُ
لكنَّ قلبيَ لايعنيهِ غيرُكمُ * حتى المماتِ ولالى غيرَكم أملُ
لو تعلمين الذى بى منْ فراقكمُ * لمااعتذرتِ ولاطابت لكِ العللُ

نفسي فداؤك قد أحللت بي حُرقاً * تكاد من حرّها الاحشاء تنفصل
لو كان عاديةٌ منهُ على جبل * لزلّ وانهدّ من أركانه الجبلُ

فوالله ما اكتحل بغمض حتى انفجر عمود الصبح وقام ومر نحو الحي فابطأ عني ساعة ثم أقبل ومعه شيء وجعل يبكي عليه . فقلت له ، ماهذا ، قال هذه ابنة عمي افترسها السبع فاكل بعضها ووضعها بالقرب مني فاوجع والله قلبي ثم تناول سيفه ومر نحو الحي فابطأ هنيهة ثم أقبل الي وعلى عاتقه ليث كانه حمار فقلت له . ماهذا . قال . صاحبي . قلت . وكيف علمته . قال . اني قصدت الموضع الذي أصابها فيه وعلمت انه سيعود الى ما فضل منها فجاء قاصداً الى ذلك الموضع فعلمت انه هو فحملت عليه فقتلته ثم قام فحفر في الارض فامعن واخرج ثوباً جديداً وقال . ياأخا بني عامر اذا نامت فادرجني معها في هذا الثوب ثم ضعنا في هذه الحفرة وهل التراب واكتب هذين البيتين على قبرنا وعليك السلام

كنا على ظهرها والعيش في مَهَلٍ * والدّهرُ يجمعنا والدارُ والوطنُ
فخاننا الدّهرُ في تفريقِ الفتنا * واليومَ يجمعُنا في بطنها الكفنُ

ثم التفت الى الاسد وقال

ألا أيها الليثُ المدلُّ بنفسه * هُبلتَ لقد جرّت يداك لنا حزنا
وغادرتني فرداً وقد كنتُ آلفاً * وصيّرتَ آفاق البلادِ لنا سِجنا
أأصحبُ دهراً خانني بفراقها * معاذَ إلهي أنْ أكون له خِدْنا

ثم قال . ياأخا بني عامر اذا فرغت من شاننا فصح في أدبار هذه الغنم فردها الى صاحبها ثم قام الى شجرة فاختنق حتى مات فقمت فادرجتهما في ذلك الثوب ووضعتهما في تلك الحفرة وكتبت البيتين على قبرهما ورددت الغنم الى صاحبها وسألني القوم فاخبرتهم الخبر فخرج جماعة منهم فقالوا والله لننحرن عليه تعظيماله فخرجوا واخرجوا مائة ناقة وتسامع الناس فاجتمعوا الينا فنحرت ثلاثمائة ناقة ثم انصرفنا . وقيل لما كان من أمر عبد الرحمن بن الاشعث الكندي ما كان قال الحجاج اطلبوا الي شهاب بن حرقة السعدي في الاسرى أو القتلى فطلبوه فوجدوه في الاسرى فلما ادخل على الحجاج قال له من أنت قال أنا شهاب بن حرقة قال والله لاقتلنك قال لم يكن الامير بالذي يقتلني قال ولم قال لان في خصالا يرغب فيهن الامير قال وماهن قال ضروب بالصفيحة هزوم للكتيبة أحمي الجار وأذب عن الذمار وأجود على العسر واليسر غير بطيء عن النصر قال الحجاج ما أحسن هذه الخصال فاخبرني باشد شيء مر عليك قال نعم أصلح الله الامير

بينا أنا أسير * ومركبي وثير
في عصبة من قومي * في ليلتي ويومي
يمضون كالاجادل * في الحرب كالبواسل
أنا المطاع فيهم * في كل ما يليهم
فسرت خمساً عوماً * وبعد خمس يوما
حتى وردت أرضا * ما ان ترام عرضا
من بلد البحرين * عند طلوع العين
فهجتهم نهارا * ألتمس المغارا
حتى اذا كان السحر * من بعد ما غاب القمر
اذا أنا بعير * يقودها خفير
موقرة متاعا * مقبلة سراعا
فصلت بالسنان * مع سادة فتيان
فسقتها جميعا * احثها سريعا
أريد رمل عالج * امعج بالعناجج
أسير في الليالي * خرقاً بعيداً خالي
وقد لقينا تعباً * وبعد ذاك نصبا
حتى اذا هبطنا * من بعد ما صعدنا
عنت لنا بيدانه * قد كان فيها عانه
رميتها بقوسي * في مهمه كالترس
حتى اذا ما أمعنت * بالقفر ثم درمت
وردت قصراً منهلا * في جوفه طام حلا
وعنده خيمه * في جوفها نعيمه
عزيزة كالشمس * فاقت جميع الانس
فعجت مهري عندها * حتى وقفت معها
حييت ثم ردت * في لطف وحيت
فقلت يا لعروب * والطفلة العروب
هل عندكم قراء * اذ نحن بالعراء
قال نعم برحب * في لطف وقرب
أربع هنا عتيدا * ولا تكن بعيداً
حتى يجيئك عامر * مثل الهلال زاهر
فعجت عن قريب * في باطن الكثيب
حتى رأيت عامراً * يحمل ليثا خادرا
على عتيق سابح * كمثل طود اللامح

قال . وكان الحجاج متكئاً فستوى جالساً ثم قال . ويحك دعنا من السجع والرجز وخذ في الحديث . قال . نعم أيها الامير ثم نزل فربط فرسه وجمع حجارة وأوقد عليها ناراً وشق عن بطن الاسد والقى مراقه في النار فجعلت أصلح الله الامير استمع لحم الاسد لشيشاً فقالت له نعيمة قد جاءنا ضيف وانت في الصيد . قال . فافعل ، قالت . هاهو ذاك بظهر الكثيب والخيمة فأومأت الى فاتيتها فاذا أنا بغلام أمرد كان وجهه دارة القمر فربط فرسي الى جنب فرسه ودعاني الى طعامه فلم امتنع من أكل لحم الاسد لشدة الجوع فأكلت أنا ونعيمة منه بعضه وأتى الغلام على آخره ثم مال الى رق فيه خمر فشرب ثم سقاني فشربت ثم شرب الغلام حتى أتى على آخره فبينا نحن كذلك اذ سمعت وقع حوافر خيل أصحابي فقمت وركبت فرسي وتناولت رمحي وصرت معهم ثم قلت يا غلام خل عن الجارية ولك ما سواها ، فقال ، ويلك احفظ الممالحة ، قلت لا بد من الجارية

فالتفت اليها وقال لها قفى ثم قال يافتيان هل لكم فى العافية والا فارس وفارس فبرز اليه رجل من أصحابى فقال له الغلام ، من أنت فلست أقاتل من لا أعرفه ولا أقاتل الا كفؤا أعرفه فقال أنا عاصم بن كلبة السعدى فشد عليه . وأنشأ يقول

إنكَ ياعاصمُ بى لجاهلْ * إذ رُمْتَ أمراً أنت عنهُ ناكلْ
إنى كَمِيٌّ فى الحروبِ باسِلْ * ليثٌ إذا اصطكَّ الليوثُ بازلْ
ضرَّابُ هاماتِ العدى مُنازلْ * قتَّالُ أقرانِ الوغا مُقاتِلْ

ثم طعنه فقتله وقال يافتيان هل لكم فى العافية والا فارس وفارس فتقدم اليه آخر من أصحابى فقال له الغلام . من أنت فقال أنا صابر بن حرقة فشد عليه وأنشأ يقول

إنك والإله لستَ صابراً * على سِنانٍ يجلبُ المقادرا
ومُنصُلٍ مثلَ الشهابِ باترا * فى كفِّ قَرْمٍ يمنعُ الحرائرَ
إنى إذا رُمتُ امرأً فاسراً * يكونُ قرنى فى الحروبِ بائرا

ثم طعنه فقتله وقال . يافتيان هل لكم فى العافية والا فارس لفارس فلما رأيت ذلك هالنى أمره وأشفقت على أصحابى فقلت . احملوا عليه حملة رجل واحد فلما رأى ذلك أنشأ يقول

الآنَ طابَ الموتُ ثم طابا * إذ تطلبون رخصة كعابا
ولا نُريد بعدها عتابا

فركبت نعيمة فرسها وأخذت رمحها فمازال يجالدنا ونعيمة حتى قتل منا عشرين رجلا فأشفقت على أصحابى فقلت . ياغلام قد قبلنا العافية والسلامة . فقال . ما كان أحسن هذا لو كان أولا ونزلنا وسالمنا فقلت ياعامر بحق المما لحة من أنت قال أنا عامر بن حرقة الطائى وهذه ابنة عمى ونحن فى هذه البرية منذ زمان ودهر مامر بنا أنسى غيركم فقلت من أين طعامكم قال حشرات الطير والوحش والسباع قلت فمن أين شرابكم قال الخمر أجلبها من بلاد البحرين كل عام مرة أو مرتين قلت ان معى مائة من الابل موقرة متاعا فخذ منها حاجتك فقال لا أرب لى فيها ولو أردت ذلك لكنت أقدر عليه فارتحلنا عنه منصرفين . فقال الحجاج الآن ياعدو الله طاب قتلك لغدرك بالفتى قال . . كان خروجى على الامير أصلحه الله أعظم من ذلك فان عفى عنى الامير رجوت أن لا يؤاخذنى بغيره فاطلقه ووصله ورده الى بلده

﴿ ضده ﴾

قال . دخل أبو زبيد الطائى على عثمان بن عفان فى خلافته وكان نصرانيا فقال له بلغنى انك

بجيد وصف الاسد . فقال له . لقد رأيت منه منظراً أو شهدت منه مخبراً لا يزال ذكره يتجدد
على قلبى . قال هات ما مر على رأسك منه . قال خرجت يا أمير المؤمنين فى صُبابة من افناء
قبائل العرب ذوى شارة حسنة ترتمى بنا المهارى باكسائها القزوانيات ومعنا البغال عليها العبيد
يقودون عتاق الخيل نريد الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك الشام فاخروّط بنا المسير فى حمارة
القيظ حتى اذا عصبت الافواه وذبلت الشفاه وشالت المياه واذكت الجوزاء المعزاء وذاب
الصيخد وصرّ الجندب وضاق العصفور الضب فى وجاره ، قال قائلنا : أيها الركب غوّروا بنا
فى دوح هذا الوادى فاذا واد كثير الدغل دائم الغلل شجراؤه مغنة وأطياره مرنة فحططنا
رحالنا بأصول دوحات كنهبلات فاصبنا من فضلات المزاود واتبعناها بالماء البارد فانا لنصف
حرّ يومنا ومماطلته ومطاولته اذ صرّ أقصى الخيل أذنيه وفحص الارض بيديه ثم مالبث أن جال
فحمحم وبال فهمهم ثم فعل فعله الذى يليه واحد بعد واحد فتضعضعت الخيل وتكعكعت الابل
وتقهقرت البغال فمن نافر بشكاله وناهض بعقاله فعلمنا أن قد أتينا وانه السبع لا شك فيه ففزع
كل امرىء منا الى سيفه واستله من جربانه ثم وقفنا له رزدقا فأقبل يتظالع فى مشيته كانه مجنوب
أو فى هجار لصدره نحيط ولبلاعيمه غطيط ولطرفه وميض ولارساغه نقيض كانما يخبط
هشيما أو يطأ صريما واذا هامة كالمجن وخد كالمسن وعينان سجراوان كانهما سراجان يقدان
وقصرة ربلة ولهزمة رهلة وكتد مغبط وزور مفرط وساعد مجدول وعضد مفتول وكف شثنة
البراسن الى مخالب كالمحاجن ثم ضرب بذنبه فارهج وكشر فافرج عن أنياب كالمعاول مصقولة
غير مفلولة وفم أشدق كالغار الاخرق ثم تمطى فاسرع بيديه وحفز وركيه برجليه حتى صار ظله
مثليه ثم أقعى فاقشعر ثم مثل فاكفهر ثم تجهم فازبأر فلا والذى بيته فى السماء ما اتقيناه باول
من أخ لنا من بنى فزارة كان ضخم الجزارة فوهصه ثم أقعصه فقضقض متنه وبقر بطنه فجعل
يلغ فى دمه فذمرت أصحابى فبعد لاى ما استقدموا فاكر مقشعر الزبرة كان به شيهما حوليا
فاختلج من دونى رجلا أعجر ذا حوايا فنفضه نفضة فزايلت أوصاله وانقطعت أوداجه ثم نهم
فقرقر ثم زفر فبربر ثم زأر فجرجر ثم لحظ فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه عن شماله ويمينه
فارتعشت الايدى واصطكت الارجل وأطت الاضلاع وارتجت الاسماع وحملجت العيون
وانخزلت المتون ولحقت الظهور البطون ثم ساءت الظنون . وأنشأ يقول

عَبُوسٌ شَمُوسٌ مُصْلَخِدٌّ خنابِسٌ * جَرِىءٌ على الارواحِ لِلقِرْنِ قاهِرُ
مَنِيعٌ ويحمى كلَّ وادٍ يرُومهُ * شديدُ أصولِ الماضغينَ مُكابِرُ
بَراثِنهُ شَثْنٌ وعيناهُ فى الدُّجى * كجمرِ الغضا فى وجههِ الشرُّ ظاهِرُ

يُدِلُّ بأنيابٍ حدادٍ كأنها * إذا قلَّصَ الاشداقَ عنها خناجرُ

فقال عثمان . اكفف لا أم لك فلقد أرعبت قلوب المسلمين ولقد وصفته حتى كانى أنظر اليه يريد يواثبنى . وقيل فى المثل هو أجبن من هجرس ـ وهو القرد ـ وذلك انه لا ينام الا وفى يده حجر مخافة أن يأكله الذئب ، وحدثنا رجل بمكة قال . اذا كان الليل رأيت القرود تجتمع فى موضع واحد ثم تبيت مستطيلة واحداً فى أثر واحد فى يد كل واحد منهم حجر لئلا ترقد فيأتيها الذئب فيأكلها وان نام واحد وسقط الحجر من يده فزع فتحرك الآخر فصار قدامه فلا تزال كذلك طول الليل فتصبح وقد صارت مع الموضع الذى باتت فيه على ثلاثة أميال او اكثر جبناً ، وقيل . هو أجبن من صافر ، وهو طائر يتعلق برجليه و ينكس رأسه ثم يصفر ليلته كلها خوفاً من أن ينام فيؤخذ ، وقيل ايضاً هو أجبن من المنزوف ضرطاً ، وكان من حديثه أن نسوة من العرب لم يكن لهن رجل فتزوجت واحدة منهن برجل كان ينام الى الضحى فاذا انتبه ضربنه وقلن له قم فاصطبح و يقول لو لعادية نبهتننى ـ أى خيل عادية عليكن مغيرة فادفعها عنكن فلما رأين ذلك فرحن وقلن ان صاحبنا الشجاع ثم أقبلن وقلن تعالين نجربه فاتينه كما كن يأتينه فأيقظنه فقال لو لعادية نبهتننى . فقلن له . نواصى الخيل معك ، فجعل يقول الخيل الخيل و يضرط حتى مات فضرب به المثل . وقيل لجبان انهزمت فغضب الامير عليك ، قال يغضب الامير وأنا حىّ أحب الىّ من أن يرضى وأنا ميت ، وقيل لبعض المجان مالك لا تغزوا ، قال والله انى لابغض الموت على فراشى فكيف أمرّ اليه ركضاً ، قال . وقال الحجاج لحميد الارقط وقد أنشده قصيدة يصف فيها الحرب ياحميد هل قاتلت قط ، قال لا أيها الامير الا فى النوم قال وكيف كانت وقعتك ، قال انتبهت وأنا منهزم ، ومما قيل فى ذلك من الشعر

ظلت تُشجّعنى هندٌ بتضليلٍ * وللشجاعةِ خطبٌ غيرُ مجهولِ
هانى شجاعاً لغيرِ القتلِ مَصْرَعُهُ * أَوَجَدْكِ أَلفَ جبانٍ غيرِ مقتول
الحربُ توسعُ مَنْ يَصْلى بها حَرَبا * يُتْمَ العيالِ و إثكالَ المثاكيل
اسمُ الوغى اُشتُقَّ من غوغاءِ نحرِ بها * يَعْدُون للموتِ كالطيرِ الابابيل
والله لو أنَّ جبريلاً تكفَّلَ لى * بالنصر ماخاطرَتْ نفسى لجبريل
هل غيرُ أنْ يَعذِرونى أننى فشلٌ * فكلٌّ هذا نعَمْ فاغرُوا بتعزيلى
إنْ أعتذرْ منْ فِرارى فى الوغى أبداً * كانَ اعتذارى رَديداً غيرَ مقبول
إسمعْ أُخبِّرْكَ عنْ بأسى بذى سَلَبٍ * خِلافَ بأسِ المساعيرِ البهاليل

لما بدت منهمْ نحوى عشوزنةٌ * شمّاء تشرعُ فى عرضى وفى طولى
فقلتُ ويحكمُ لا ترهبوا جلدى * رمحى كسيرٌ وسيفى غيرُ مصقولِ
لما اتقيتهمُ طوعاً بذاتِ يدى * واصعتُ أطوى الفلا ميلاً الى ميل
الله خلّصنى منهمْ وفلسفتى * حتى تخلّصتُ مخضوبَ السّراويل

وقال آخر

أضحتْ تشجّعنى هندٌ فقلتُ لها * إنّ الشّجاعةَ مقرونٌ بها العطبُ
لا والذى حجّتِ الانصارُ كعبتَه * ما يشتهى الموتَ عندى منْ له أربُ
للحربِ قومٌ أضلَّ اللهُ سعيَهمُ * إذا دعتهمْ إلى حوماتها وثبوا
ولستُ منهمْ ولا أهوى فِعالهمُ * لا القتلُ يعجبنى منهم ولا السلبُ

وقال آخر

يقولُ لىَ الاميرُ بغيرِ جرمٍ * تقدّمْ حين حلّ بنا المراسُ
فمالى إنْ أطعتُكَ فى حياةٍ * ولا لى غير هذا الرّاسُ راسُ

﴿محاسن حب الوطن﴾

قال عمر بن الخطاب لولا حب الوطن لخرب بلد السوء ، وكان يقال بحب الاوطان عمرت البلدان ، وقال جالينوس يتروح العليل بنسيم أرضه كما تتروح الارض الجدبة ببل المطر ، وقال بقراط يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فان الطبيعة تنزع الى غذائها ، ومما يؤكد ذلك قول اعرابى وقد مرض بالحضر فقيل له ما تشتهى . فقال مخيضاً رويا وضباً مشويا ، وقد قيل أحق البلدان بنزاعك اليها بلد أمصك حلب رضاعه ، وقيل احفظ أرضاً ارسخك رضاعها واصلحك غذاؤها وارع حمى أكتنفك فناؤه ، وقيل لا تشك بلداً فيه قبائلك ، وقيل من علامة الرشد أن تكون النفس الى أوطانها مشتاقة والى مولدها تواقة ، وحدثنا بعض بنى هاشم قال . قلت لاعرابى من أين اقبلت قال من هذه البادية قلت وأين تسكن منها قال مساقط الحمى حمى ضرية ما إن لعمر الله أريد بها بدلا ولا ابتغى عنها حولا حفتها الفلوات فلا يملولح ماؤها ولا تحمى تربتها ليس فيها أذى ولا قذى ولا وعك ولا موم ونحن بأرفه عيش وأوسع معيشة وأسبغ نعمة ، قلت مما طعامكم قال بخ بخ الهبيد والضباب واليرابيع مع القنافذ والحيات وربما والله أكلنا القد واشتوينا الجلد فلا نعلم أحداً أخصب منا عيشاً فالحمد لله على ما رزق من السعة وبسط من حسن الدعة ، وقيل

لاعرابى كيف تصنع بالبادية اذا انتصف النهار وانتعل كل شىء ظله فقال وهل العيش الا ذاك يمشى أحد ناميلا فيرفض عرقا كانه الجمان ثم ينصب عصاه و يلقى عليها كساه وتقبل الرياح من كل جانب فكانه فى ايوان كسرى ، وقال بعض الحكماء عسرك فى بلدك خير من يسرك فى غربتك . وقيل لاعرابى ما الغبطة قال الكفاية ولزوم الاوطان والجلوس مع الاخوان ، وقيل فما الذل قال التنقل فى البلدان والتنحى عن الاوطان ، وقال بعض الادباء الغربة ذلة والذلة قلة وقال الآخر لا تنهضن عن وطنك ووكرك فتنقصك الغربة وتضمك الوحدة ، وشبهت الحكماء الغريب باليتيم اللطيم الذى ثكل أبويه فلا أم ترأمه ولا اب يحدب عليه ، وكان يقال الغريب عن وطنه ومحل رضاعه كالغرس الذى زايل أرضه وفقد شربه فهو ذاو لا يثمر وذابل لا ينضر ، وكان يقال الجالى عن مسقط رأسه كالعير الناشز عن موضعه الذى هو لكل سبع فريسة ولكل كلب قنيصة ولكل رام رمية . وأحسن من ذلك واصدق قول الله عز وجل (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) وقال تعالى (ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم) فقرن جل ذكره الجلاء عن الوطن بالقتل . وقال تقدست أسماؤه (ومالنا أن لا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) فجعل القتال بازاء الجلاء وقال النبى صلى الله عليه وسلم الخروج عن الوطن عقوبة . ومما قيل فى ذلك من الشعر

إذا ما ذكرتُ الثغرَ فاضت مدامعى * وأضحى فؤادى نهبةً للهماهم
حنيناً إلى أرضٍ بها اخضرَّ شاربى * وحُلَّتْ بها عنّى عقودُ التمائم
وألطفُ قومٍ بالفتى أهلُ أرضهِ * وأرعاهمُ للمرءِ حقَّ التقادم

وقال آخر

أحِنُّ الى أرضِ الحجاز وحاجتى * خيامٌ بنجدٍ دونها الطرفُ يقصرُ
وما نظرى من نحوِ نجدٍ بنافعى * أجلْ لا ولكنى على ذاكَ أنظرُ
ففى كلِّ يومٍ نظرةٌ ثم عَبرةٌ * لعينيكَ يجرى ماؤها يتحدّر
متى يستريحُ قلبٌ فاما مُحاذرٌ * حزينٌ وإما نازحٌ يتذكّرُ

وقال آخر

نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحبُّ إلا للحبيبِ الاوّلِ
كم منزلٍ فى الارض يألفه الفتى * وحنينه أبداً لاوّل منزلِ

وقال ابن ابى السرح قرأت على حائط بيتى شعر . . وهما

إنَّ الغريبَ ولوْ يكونُ ببلدة * يجبي إليه خراجُها لغريبُ
وأقلُّ ما يلقى الغريبُ منَ الاذى * أنْ يستذلَّ وأنْ يُقالَ كذوبُ

قال وقرأ على حائط بعسكر مكرم

إنَّ الغريبَ إذا يُنادى موجعاً * عندَ الشدائدِ كانَ غيرَ مجابِ
فاذا نظرتَ إلى الغريبِ فكنْ له * مُترحماً لتباعدِ الاحبابِ

وقال وقرأت على حائط ببغداد

غريبَ الدّارِ ليسَ لهُ صديقُ * جميعُ سُؤالهِ أينَ الطريقُ
تعلّقَ بالسُّؤالِ لكلّ شيء * كما يتعلقُ الرّجلُ الغريقُ
لاتجزعْ فكلُّ فتىً سيأتى * على حالاته سَعةٌ وضيقُ

قال وجدت على حائط باب مكتوب

عليكَ سلامُ اللهِ ياخيرَ منزلٍ * رحلنا وخلّفناكَ غيرَ ذميمِ
فإنْ تكُنِ الأيّامُ فرّقنَ بيننا * فما أحدٌ منْ ربها بسليم

وقال آخر

وإنَّ اغتراب المرءِ منْ غير حاجةٍ * ولا فاقةٍ يسمو لها لعجيبُ
فحسبُ امرىءٍ ذُلا ولوْ أدركَ الغنى * ونالَ ثراهُ أنْ يُقالَ غريبُ

وقال اخر

إنَّ الغريبَ وإنْ يكنْ في غبطةٍ * لمعذبٌ وفؤادُه محزونُ
ومتى يكونُ معَ التغرُّبِ عاشقاً * ومُفارقاً ياربِّ كيفَ يكونُ

وقال آخر

إنَّ الغريبَ ذليلٌ أينَ ماسلكا * لوْ أنهُ ملكٌ كلَّ الورى ملكا
إذا تغنى حمامُ الايكِ في غُصنٍ * حنَّ الغريبُ إلى أوطانهِ فبكى

وقال آخر

سلِ اللهَ الإيابَ منَ المغيبِ * فكمْ قدْ ردَّ مثلكَ منْ غريبِ
وسلِّ الحُزنَ منك بحسن ظنّ * ولا تيأسْ من الفرج القريبِ

وقال آخر

تصبرْ ولا تعجلْ وُقيتَ من الرّدى * لعلَّ إيابَ الظاعنينَ قريبُ

فقلتُ وفي قلبي جوًى لفراقها * ألا لا تُصبّرني فلستُ أجيبُ

وقال آخر

أعاذلَ حبي للغريب سجيّةٌ * وكلُّ غريبٍ للغريب حبيبُ
لئن قلتُ لم أجزع من البين إن مضوا * لطيّتهم إني اذاً لكذوبُ
بلى غمراتُ الشوقِ أضرمتِ الحشا * ففاضتْ لها من مقلتيّ غروبُ

وقال آخر

إذا اغترب الكريم رأى أموراً * مجللة يشيبُ لها الوليدُ

وقال آخر

ما كنتُ أحسبُ أن يكو * نَ كذا تفرُّقنا سريعا
بخلَ الزمانُ علىّ أنْ * نبقى كما كنا جميعا
فأحلّني في بلدةٍ * وأحلّكَ البلدَ الشسيعا
قد كنتُ أنتظرُ الوصا * لَ فصرتُ أنتظرُ الرجوعا

وقال آخر

نسيمُ الخزامى والرياحُ التى جرتْ * بنجدٍ على نجدٍ تذكّرني نجدا
أتاني نسيم النّدِّ رطيبا إلى الحمى * فذكّرني نجداً فقطّعني وجدا

وفي معناه (الدعاء للمسافر) بأيمن طالع وابشر طائر. ولا كبا بك مركب ولا اشتت بك مذهب ولا تعذر عليك مطلب.. سهل الله لك السير وأنالك القصد وطوى لك البعد بميسرة الظفر وكرامة المدخر.. على الطائر الميمون والكوكب السعد الى حيث تتقاصر أيدي الحوادث عنك وتتقاعس نوائب الايام دونك بسهولة المطلب ونجاح المنقلب.. كان الله لك في سفرك خفيرا وفي حضرك ظهيرا بسعي نجيح واوب سريع.. بصّرك الله محلّك وهداك رحلك وسرباو بتك أهلك ولا زلت آمنا مقيما وظاعنا باسعد جدوانجح مطلب واسر منقلب وأكرم بدأة وأحمد عاقبة.. شخص مصحوبا بالسلامة والكلاءة آيبا بالنجح والغبطة محوطا في تطالعه بالعناية والشفقة.. في ودائع الله وكنفه وجواره وستره وأمانه وحفظه وذمامه،، وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم.. اني أريد سفراً، فقال: في كنف الله وستره زودك الله التقوى ووجهك الى الخير حيث ما كنت استخلف الله فيك واستخلفه منك،، وقال الشاعر

فى كنفِ الله وفى سِترِه * من ليس يخلوا القلب من ذكرِهِ

وقال آخر

إرحلْ أبا بشرٍ بأيمنِ طائر * وعلى السعادة والسلامة فانزلِ

﴿ ضــد ﴾

قال بعض حكماء الفلاسفة اطلبوا الرزق فى البعد فانكم ان لم تكسبوا مالا غنمتم عقلا كثيرا، وقال آخر لا يألف الوطن الا ضيق العطن ، وقيل لا توحشنك الغربة اذا آنستك النعمة ، وقيل الفقير فى الاهل مصروم والغنى فى الغربة موصول ، وقال لا تستوحش من الغربة اذا أنست مصروما ، وقيل أوحش قومك ما كان فى ايحاشهم انسك واهجر وطنك ما نبت عنه نفسك ، وأنشد

لا يمنعنكَ خفضُ العيش فى دعةٍ * نزُوعُ نفسٍ إلى أهلٍ وأوطانِ

تلقى بكلّ بلادٍ إن حللتَ بها * أهلاً بأهلٍ وجيرانا بجيرانِ

وقال آخر

نبتْ بكَ الدّارُ فسِرْ آمناً * فللفتى حيثُ انتهى دارُ

وفى معناه (الدعاء على المسافر) بالبارح الاشام والسانح الاعضب والصرد الانكد والسفر الابعد . لا استقرت به مطيته ولا استتبت به امنيته ولا راخت منيته . بنحس مستقر وعيش مر . لا قرى اذا استضاف ولا أمن اذا خاف ، ويقال ان عليا عليه السلام لما اتصل به مسير معاوية قال لا أرشد الله قائده ولا أسعد رائده ولا أصاب غيثا ولا سار الا ريثا ولا رافق الا لينا أبعده الله واسحقه واوقد على أثره وأحرقه . لا حط الله رحله ولا كشف محله ولا بشر به أهله . لا زكى له مطلب ولا رحب له مذهب ولا يسر له مراما الا فرج الله له غمه ولا سرى همه . لا سقاه الله ماء ولا حل عقده ولا اورى زنده . جعله الله سفر الفراق وعصى الشقاق . وانشد

بانكد طائرٍ وبشرّ فال * لابعدِ غايةٍ وأخسّ حالِ

يجدّ السيرَ حيثُ يكونُ منى * كما بين الجنوبِ إلى الشمالِ

غريباً تمتطى قدميكَ دهراً * على خوفٍ تحنُّ الى العيالِ

وقال آخر

اذا استقلتْ بكَ الركابُ * فحيثُ لا درّتِ السحابُ

وحيثُ لا نبتغي فلاحاً * وحيثُ لا يُرتجى اياب
وحيثُ مادُرتَ فيهِ يوماً * قاتلكَ الذئبُ والغرابُ

وقال آخر —

فسرْ بالنحوسِ الى بلدةٍ * تُعمّرُ فيها ولا تُرزقُ
ولا تمرعِ الارضُ من زهرةٍ * ولا يثمرُ الشجرُ المورقُ
تغيضُ البحارُ بها مرةً * ويكدي السحاب بها المغدق

وقال آخر

أدنى خطاك الهندُ والصينُ * وكلُّ نحسٍ بك مقرونُ
بحيثُ لا يانسُ مستوحشٌ * وحيثُ لا يفرحُ محزونُ
تهوي بكَ الارضُ الى بلدةٍ * ليسَ بها ماءٌ ولا طينُ

— محاسن الدهاء والحيل —

الهيثم بن الحسن بن عمار قال، قدم شيخ من خزاعة أيام المختار فنزل على عبد الرحمن بن أبان الخزاعي فلما رأى ما تصنع سوقة المختار من الاعظام جعل يقول . ياعباد الله أبا المختار يصنع هذا والله لقد رأيته يتتبع الاماء بالحجاز فبلغ ذلك المختار فدعا به وقال ماهذا الذي بلغني عنك . قال الباطل، فأمر بضرب عنقه ، فقال، لا والله لا تقدر على ذلك . قال، ولم . قال . اما دون ان أنظر اليك وقد هدمت مدينة دمشق حجراً حجراً وقتلت المقاتلة وسبيت الذرية ثم تصلبني على شجرة على نهر والله اني لاعرف الشجرة الساعة وأعرف شاطيء ذلك النهر فالتفت المختار الى اصحابه فقال لهم . ان الرجل قد عرف الشجرة فحبس حتى اذا كان الليل بعث اليه فقال، يا اخا خزاعة اومزاح عند القتل . قال ، انشدك الله ان اقتل ضياعاً . قال، وما تطلب ههنا . قال، اربعة آلاف درهم اقضي بها ديني . قال، ادفعوها اليه واياك ان تصبح بالكوفة فقبضها وخرج عنه ، قال كان سراقة البارقي من ظرفاء اهل الكوفة فاسره رجل من اصحاب المختار فاتى به المختار فقال له اسرك هذا قال سراقة كذب والله ما اسرني الا رجل عليه ثياب بيض على فرس ابلق فقال المختار الا ان الرجل قد عاين الملائكة خلوا سبيله فلما افلت منه انشأ يقول

ألا أبلغ أبا إسحاق أنى * رأيت البلق دهماً مصمتات
أرى عينى مالم ترأياه * كلانا عالم بالترّهات
كفرت بوحيكم وجعلت نذراً * علىّ قتالكم حتى الممات

وعنه قال ، كان الاحوص بن جعفر المخزومى يتغدى فى دير اللج فى يوم شديد البرد ومعه حمزة بن بيض وسراقة البارقى فلما كان على ظهر الكوفة وعليه الوبر والخز وعليهما الاطمار قال حمزة لسراقة : أين يذهب بنا فى البرد ونحن فى أطمار . قال : سأكفيكه فبينما هو يسير إذ دنا منهم راكب مقبل فحرك سراقة دابته نحوه وواقفه ساعة ولحق بالاحوص فقال له ما خبر الراكب . قال : زعم ان خوارج خرجت بالقطقطانة قال بعيد . قال ان الخوارج تسير فى ليلة ثلاثين فرسخا وأكثر وكان الاحوص أحد الجبناء فثنى رأس دابته وقال ردوا طعامنا نتغدى فى المنزل فلما حاذى منزله قال لاصحابه : ادخلوا ومضى الى خالد بن عبد الله القسرى فقال خرجت خارجة بالقطقطانة فنادى خالد فى العسكر فجمعهم ووجه خيلا تركض نحو اللج لتعرف الخبر فاعلموه انه لا أصل للخبر فقال للاحوص من أعلمك بهذا قال سراقة قال وأين هو قال فى منزلى فارسل اليه من أتاه به قال أنت أخبرته عن الخارجة قال ما فعلت أصلح الله الامير قال له الاحوص أتكذبنى بين يدى الامير قال خالد ويحك أصدقنى قال نعم أخرجنا فى هذا البرد وقد ظاهر الخز والوبر ونحن فى أطمارنا هذه فاحببت أن أرده فقال له خالد ويحك وهذا مما تلاعب به وسراقة هذا هو القائل

قالوا سراقة عنين فقلت لهم * الله يعلم أنى غير عنين
فإن ظننتم بى الشىء الذى زعموا * فقربونى من بنت ابن ياسين

وذكروا أن شبيب بن يزيد الخارجى مر بغلام مستنقع فى الفرات فقال له يا غلام اخرج انى أسألك ففرفه الغلام فقال له انى أخاف أفآمن أنا اذا خرجت حتى ألبس ثيابى قال نعم فخرج وقال والله لا ألبسها اليوم فضحك شبيب وقال خدعتنى ورب الكعبة ووكل به رجلا من أصحابه يحفظه أن لا يصيبه أحد بمكروه قال وكان رجل من الخوارج يقول

فمنا يزيد والبطين وقعنب * ومنا أمير المؤمنين شبيب

فسار البيت حتى سمعه عبد الملك بن مروان فامر بطلب قائله فأتى به فلما وقف بين يديه قال . أنت القائل (ومنا أمير المؤمنين شبيب)

قال لم أقل هكذا يا أمير المؤمنين انما قلت * ومنا أمير المؤمنين شبيب *

فضحك عبد الملك وأمر بتخلية سبيله فتخلص بدهائه وفطنته لازالة الاعراب من الرفع

الى النصب،، و زعموا أن عمرو بن معدى كرب هجم فى بعض غاراته على شابة جميلة منفردة وأخذها فلما أمعن بها بكت فقال ، ما يبكيك . قالت أبكي لفراق بنات عمى هن مثلى فى الجمال وأفضل منى خرجت معهن فانقطعنا عن الحى قال وأين هن قالت خلف ذلك الجبل ووددت اذ أخذتنى انك أخذتهن معى فامض الى الموضع الذى وصفته فمضى الى هنالك فاشعر بشىء حتى هجم عليه فارس شاك فى السلاح فعرض عليه المصارعة فصرعه الفارس ثم عرض عليه ضرو با من المناوشة فغلبه الفارس فى كلها فسأله عمرو عن اسمه فاذاهو ربيعة بن مكدم الكنانى فاستنقذ الجارية . وعن عطاء ان مخارق بن عفان ومعن بن زائدة تلقيا رجلا ببلاد الشرك ومعه جارية لم ير يا أحسن منها شبابا وجمالا فصاحا به خل عنها ومعه قوس فرمى بها وهابا الاقدام عليه ثم عاد ليرمى فانقطع وتره وسلم الجارية وأسند فى جبل كان قريبا منه فابتدراه وأخذا الجارية وكان فى أذنها قرط فيه درة فانتزعاه من أذنها فقالت وماقدر هذه لو رأيتما درتين معه فى قلنسوته وفى القلنسوة وترقد اعده ونسيه من الدهش فلما سمع قول المرأة ذكر الوتر فاخذه وعقده فى قوسه فوليا ليست لهما همة الا النجاة وخليا عن الجارية ،، وعن الهيثم قال كان الحجاج حسودا لا يتم له صنيعة حتى يفسدها فوجه عمارة بن تميم اللخمى الى عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فظفر به وصنع ما صنع ورجع الى الحجاج بالفتح ولم ير منه ما أحب وكره منافرته وكان عاقلا رفيقا فجعل يرفق به و يقول أيها الامير أشرف العرب أنت من شرفته شرف ومن وضعته اتضع وما ينكر ذلك لك مع رفقك ويمنك ومشورتك ورأيك وما كان هذا كله الا بصنع الله وتدبيرك وليس أحد أشكر لبلائك منى ومن ابن اشعث وما خطرة حتى عزم الحجاج على المسير الى عبد الملك فاخرج عمارة معه وعمارة يومئذ على اهل فلسطين أمير فلم يزل يلطف بالحجاج فى مسيره و يعظمه حتى قدموا على عبد الملك فلما قامت الخطباء بين يديه واثنت على الحجاج قام عمارة فقال يا أمير المؤمنين سل الحجاج عن طاعتى ومناصحتى و بلائى قال الحجاج يا أمير المؤمنين صنع وصنع ومن باسه ونجدته وعفافه كذا وكذا وهو أيمن الناس نقيبة واعلمهم بتدبير وسياسة ولم يبق فى الثناء عليه غاية فقال عمارة قد رضيت يا امير المؤمنين قال نعم فرضى الله عنك حتى قالها ثلاثا فى كلها يقول قد رضيت قال عمارة فلا رضى الله عن الحجاج يا امير المؤمنين ولا حفظه ولا عافاه فهو والله السيء التدبير الذى قد افسد عليك اهل العراق والب الناس عليك وما أتيت الا من قبله ومن قلة عقله وضعف رايه وقلة بصره بالسياسة فلك والله امثالها ان لم تعزله فقال الحجاج مه يا عمارة فقال لا مه ولا كرامة كل امرأة له طالق وكل مملوك له حر ان سار تحت راية الحجاج ابدا قال انى اعلم انه ما خرج هذا منك الا عن معتبة ولك عندى العتبى وارسل اليه ارجع اليه فقال ما كنت اظن ان عقلك على هذا

ارجع اليه بعد الذى كان من طعنى عليه وقولى عند امير المؤمنين ماقلت فيه لا ولا كرامة

﴿ ضده ﴾

قيل فى المثل ،، هو احمق من عجـل ، وهو عجل بن لجيم وذلك انه قيل له ما سميت فرسك ففقأ عينه وقال سميته الاعور ، فقال الشاعر فيه

رَمتنى بنُو عِجْلٍ بداء أبيهمْ * وأى امرىء فى الناس أحمق من عجلِ
أليسَ أبوهمْ عارَ عينَ جوادِه * فصارتْ به الامثالُ تُضرَبُ فى الجهلِ

وقيل ، هو احمق من هَبنَّقَة وبلغ من حمقه انه ضل له بعير فجعل ينادى من وجد بعيرى فهو له فقيل له ولم تنشده قال واين حلاوة الظفر والوجدان ، واختصمت اليه الطفاوة وبنو راسب فى رجل ادعى هؤلاء وهؤلاء فيه فقالوا قد رضينا بحكم أول طالع يطلع علينا فطلع عليهم هبنقة فلما رأوه قالوا انظروا بالله من طلع علينا فلما دنا قصوا عليه القصة فقال هبنقة الحكم فى هذا بين اذهبوا به الى نهر البصرة فالقوه فيه فان كان راسبيا رسب وان كان طفاوياً طفا فقال الرجل لا أريد ان أكون من أحد هذين الحيين ولا حاجة لى فى الديوان : وقيل هو أحمق من دغة وهى مارية بنت معنج تزوجت فى بنى العنبر وهى صغيرة فلما ضربها المخاض ظنت انها تريد الخلاء فخرجت تتبرز فصاح الولد فجاءت منصرفة فصاحت ياامّاه هل يفتح الجعر فاه قالت نعم ويدعو أباه فسبت بنو العنبر بذلك فقيل بنو الجعراء . وقيل هو أحمق من باقل وكان اشترى عنزا باحد عشر درهما فسئل بكم اشتريت العنز ففتح كفيه وفرق أصابعه واخرج لسانه يريد أحد عشر درهما ففر وبذلك قال الشاعر

يلومون فى حُمقِه باقلا * كأنّ الحماقة لم تخلقِ
فلا تكثروا العذلَ فى عيّهِ * فللصمتُ أجملُ بالاموقِ
خُروجُ اللسانِ وفتح البنانِ * أحبُّ الينا منَ المنطقِ

ومما قيل فيه أيضا من الشعر

يا نابتَ العقلِ كم عاينتَ ذا حُمقٍ * الرزقُ أغرى به من لازم الجربِ
فإنّنى واجدٌ فى الناس واحدةً * الرزقُ أروغُ شىءٍ عن ذوى الادبِ
وخصلةً ليس فيها منْ يخالفنى * الرزقُ والنوكُ مقرونانِ فى سببِ

وقال آخر

أرى زمناً نوكاهُ أسعدُ خلقهِ * على أنهُ يشقى به كلُّ عاقلٍ

علا فوقه رجلاه والرأس تحته * فكب الاعالى بارتفاع الاسافل

وقال آخر

كم من قوى قوى فى تقلبه * مهذب اللب عنه الرزق منحرف
ومن ضعيف ضعيف العقل مختلط * كأنه من خليج البحر يغترف

﴿ محاسن المفاخرة ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر . وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ينشد بيتا من شعر

إنى امرؤ حميرى حين تنسبنى * لا من ربيعة آبائى ولا مضر

فقال له ذلك ألأم لك وأبعد من الله ورسوله . وقال بعضهم

إذا مضر الحمراء كانت أرومتى * وقام بنصرى خازم وابن خازم
عطست بأنف شامخ وتناولت * يداى الثريا قاعدا غير قائم

شعيب بن ابراهيم عن على بن زيد عن عبد الله بن الحارث عن عبد المطلب بن ربيعة قال مر العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه بنفر من قريش وهم يقولون انما محمد فى أهله مثل نخلة نبتت فى كناسة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد منه فخرج حتى قام فيهم خطيبا ثم قال أيها الناس من أنا . قالوا أنت رسول الله . قال أفانا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ان الله عز وجل خلق خلقه فجعلنى من خير خلقه ثم جعل الخلق الذى أنا منهم فريقين فجعلنى من خير الفريقين من خلقه ثم جعل الخلق الذى أنا منهم شعوبا فجعلنى فى خيرهم شعبا ثم جعلهم بيوتا فجعلنى من خيرهم بيتا فانا خيركم بيتا وخيركم والداوانى مباهلكم قم ياعباس فقام عن يمينه ثم قال قم ياسعد فقام عن يساره فقال يقرب امرؤ منكم عما مثل هذا وخالا مثل هذا ، وحدثنا سنان بن الحسن التسترى عن اسماعيل بن مهران العسكرى عن أبان بن عثمان عن عكرمة عن ابن عباس رحمهما الله تعالى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على القبائل خرج وأنا معه وأبو بكر وكان عالما بانساب العرب فوقفنا على مجلس من مجالس العرب عليهم الوقار والسكينة فتقدم أبو بكر فسلم عليهم فردوا عليه السلام فقال ممن القوم فقالوا من ربيعه ، قال من هامتها أم لهازمها . قالوا بل من هامتها العظمى ، قال وأى هامتها قالوا ذهل ، قال ذهل الاكبر أم ذهل الاصغر قالوا بل الاكبر ، قال فمنكم عوف الذى كان يقال لاحر بوادى عوف قالوا لا ، قال أفمنكم بسطام بن قيس صاحب اللواء ومنتهى الاحياء قالوا لا

قال أفمنكم جساس بن مرة حامى الذمار ومانع الجار . قالوا لا قال أفمنكم المزدلف صاحب العمامة قالوا لا ، قال أفأنتم أخوال الملوك من كندة قالوا لا ، قال أفأنتم أصهار الملوك من لخم قالوا لا ، قال فلستم من ذهل الاكبر اذاً أنتم من ذهل الاصغر . فقام اليه اعرابى غلام حين بقل وجهه فاخذ بزمام ناقته ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته يسمع مخاطبته فقال

لنا على سائلنا أنْ نسألَه * والعبءُ لا تعرفُهُ أو تحملَهْ

ياهذا انك قد سألتنا أى مسألة شئت فلم نكتمك شيئاً فاخبرنا ممن أنت ، فقال ابو بكر من قريش فقال بخ بخ أهل الشرف والرئاسة فاخبرنى من أى قريش أنت . قال من بنى تيم بن مرة ، قال أفمنكم قصى بن كلاب الذى جمع القبائل من فهر فكان يقال له مجمع قال أبو بكر لا قال أفمنكم هاشم الذى يقول فيه الشاعر

عمرُو العلى هشمَ الثريدَ لقومهِ * ورجالُ مكةَ مسنتون عجافُ

قال أبو بكر لا ، قال أفمنكم شيبة الحمد الذى كان وجهه يضىء فى الليلة الداجية مطعم الطير قال لا ، قال أفمن المفيضين بالناس أنت ، قال لا ، قال أفمن اهل الرفادة أنت قال لا ، قال أفمن أهل السقاية أنت ، قال لا ، قال أفمن أهل الحجابة أنت . قال لا ، قال أما والله لو شئت لاخبرتك لست من أشراف قريش . فاجتذب أبو بكر زمام ناقته منه كهيئة المغضب ، فقال الاعرابى

صادفَ دَرَّ السيلِ دَرٌّ يدفعهُ * فى هضبةٍ ترفعهُ وتضعهُ

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال على كرم الله وجهه فقلت يا أبا بكر لقد وقعت من هذا الاعرابى على باقعة قال أجل ، يا أبا حسن مامن طامة الا وفوقها طامة وان البلاء موكل بالمنطق ، قال وأتى الحسن بن علىّ رضى الله عنهما معاوية بن أبى سفيان وقد سبقه ابن عباس رحمه الله فامر معاوية بانزاله فبينما معاوية مع عمرو بن العاص ومروان بن الحكم وزياد المدعى الى أبى سفيان يتحاورون فى قديمهم وحديثهم اذ قال معاوية قد أكثرتم الفخر ولو حضركم الحسن ابن علىّ وعبد الله بن عباس لقصروا من أعنتكم ، فقال زياد وكيف ذاك يا أمير المؤمنين وما يقومان لمروان بن الحكم فى غرب منطقه ولا لنا فى بواذخنا فابعث اليهما حتى نسمع كلامهما فقال معاوية لعمرو ما تقول فى هذا الليل فابعث اليهما فى غد فبعث معاوية بابنه يزيد اليهما فاتيا فدخلا عليه وبدأ معاوية فقال انى أجلكما وأرفع قدركما عن المسامرة بالليل ولا سيما أنت يا أبا محمد فانك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة فشكر له فلما استويا فى مجلسهما علم عمرو أن الحدة ستقع به فقال والله لا بد أن أتكلم فان قهرتُ فسبيل ذلك وان قهرت أكون قد ابتدأت فقال يا حسن إنا قد تفاوضنا فقلنا ان رجال بنى أمية أصبر على اللقاء وأمضى فى

الوغاء وأوفى عهداً وأكرم خيما وأمنع لما وراء ظهورهم من بنى عبد المطلب ، ثم تكلم مروان ابن الحكم فقال كيف لا يكون ذلك وقد قارعناهم فغلبناهم وحاربناهم فملكناهم فان شئنا عفونا وان شئنا بطشنا ، ثم تكلم زياد فقال ما ينبغى لهم أن ينكروا الفضل لاهله ويجحدوا الخير فى مظانه نحن الحملة فى الحروب ولنا الفضل على سائر الناس قديما وحديثا ، فتكلم الحسن ابن على رضى الله عنه فقال ليس من الحزم أن يصمت الرجل عند ايراد الحجة ولكن من الافك ان ينطق الرجل بالخنا ويصور الكذب فى صورة الحق يا عمرو افتخاراً بالكذب وجراءة على الافك مازلت أعرف مثالبك الخبيثة أبديها مرة بعد مرة أتذكر مصابيح الدجى وأعلام الهدى وفرسان الطراد وحتوف الاقران وأبناء الطعان وربيع الضيفان ومعدن العلم ومهبط النبوة وزعمتم أنكم احمى لما وراء ظهوركم وقد تبين ذلك يوم بدر حين نكصت الابطال وتساورت الاقران واقتحمت الليوث واعتركت المنية وقامت رحاها على قطبها وفرت عن نابها وطار شرار الحرب فقتلنا رجالكم ومن النبى صلى الله عليه وسلم على ذراريكم وكنتم لعمرى فى هذا اليوم غير مانعين لما وراء ظهوركم من بنى عبد المطلب ثم قال وأما أنت يا مروان فما أنت والاكثار فى قريش وأنت ابن طليق وأبوك طريد يتقلب فى خزاية الى سوءة وقد أوتى بك الى امير المؤمنين يوم الجمل فلما رأيت الضرغام قد دميت براثنه واشتبكت أنيابه كنت كما قال الاول

بصبصن ثم رمين بالابعار

فلما من عليك بالعفو وأرخى خناقك بعد ما ضاق عليك وغصصت بريقك لا تقعد منا مقعد اهل الشكر ولكن تساوينا وتجارينا ونحن من لا يدركنا عار ولا يلحقنا خزاية ثم التفت الى زياد وقال وما أنت يا زياد وقريش ما اعرف لك فيها أديما صحيحا ولا فرعا نابتا ولا قديما ثابتا ولا منبتاً كريما كانت أمك بغيا يتداولها رجالات قريش وفجار العرب فلما ولدت لم تعرف لك العرب والداً فادعاك هذا — يعنى معاوية — فمالك والافتخار تكفيك سمية ويكفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى سيد المؤمنين الذى لم يرتد على عقبيه وعماى حمزة سيد الشهداء وجعفر الطيار فى الجنة وأنا واخى سيدا شباب أهل الجنة ، ثم التفت الى ابن عباس فقال اعا اهى بغاث الطير انقض عليها البازى فاراد ابن عباس أن يتكلم فاقسم عليه معاوية أن يكف فكف ثم خرجا فقال معاوية أجاد عمرو الكلام أولا لولا ان حجته دحضت وقد تكلم مروان لولا أنه نكص ثم التفت الى زياد فقال ما دعاك الى محاورته ما كنت الا كالحجل فى كف العقاب . فقال عمرو أفلا رميت من ورائنا ، قال معاوية اذاً كنت شريككم فى الجهل أفأ فاخر رجلا رسول الله صلى الله عليه وسلم جده وهو سيد من مضى ومن بقى وأمه فاطمة سيدة نساء العالمين ثم قال لهم

والله لئن سمع أهل الشام ذلك انه للسوأة السوءاء فقال عمرو لقد أبقى عليك ولكنه طحن مروان وزيادا طحن الرحا بثفالها ووطئهما وطء البازل القراد بمنسمه . فقال زياد والله لقد فعل ولكنك يامعاوية تريد الاغراء بيننا وبينهم لا جرم والله لا شهدت مجلسا يكونان فيه الا كنت معهما على من فاخرهما فخلا ابن عباس بالحسن رضى الله عنه فقبل بين عينيه وقال افديك يا ابن عمى والله مازال بحرك يزخر وأنت تصول حتى شفيتني من أولاد البغايا ثم ان الحسن رضى الله عنه غاب اياما ثم رجع حتى دخل على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير فقال معاوية يا أبا محمد انى اظنك تعبا نصبا فأت المنزل فأرح نفسك فقام الحسن رضى الله عنه فخرج فقال معاوية لعبد الله بن الزبير لوافتخرت على الحسن فانت ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ولابيك فى الاسلام نصيب وافر ، فقال ابن الزبير أنا له ثم جعل ليلته يطلب الحجج فلما أصبح دخل على معاوية وجاء الحسن رضى الله عنه فحياه معاوية وسأله عن مبيته فقال خير مبيت وأكرم مستفاض فلما استوى فى مجلسه قال له ابن الزبير لولا انك خوار فى الحروب غير مقدام ماسلمت لمعاوية الامر وكنت لا تحتاج الى اختراق السهوب وقطع المراحل والمفاوز تطلب معروفه وتقوم ببابه وكنت حريا أن لا تفعل ذلك وأنت ابن على فى بأسه ونجدته فما أدرى ما الذى حملك على ذلك أضعف حال أم وهى نحيزة ما أظن لك مخرجا من هذين الحالين أما والله لو استجمع لى ما استجمع لك لعلمت أنى ابن الزبير وانى لا أنكص عن الابطال وكيف لا أكون كذلك وجدتى صفية بنت عبد المطلب وأبى الزبير حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشد الناس بأسا وأكرمهم حسبا فى الجاهلية وأطوعهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالتفت الحسن اليه وقال أما والله لولا أن بنى أمية تنسبنى الى العجز عن المقال لكففت عنك تهاونا بك ولكن سأبين ذلك لتعلم انى لست بالكليل ألبأى تعير وعلى تفتخر ولم تك لجدك فى الجاهلية مكرمة الا تزوجه عمتى صفية بنت عبد المطلب فبذخ بها على جميع العرب وشرف بمكانها فكيف تفاخر من فى القلادة واسطتها وفى الاشراف سادتها نحن أكرم اهل الارض زندا لنا الشرف الثاقب والكرم الغالب ثم تزعم أنى سلمت الامر لمعاوية فكيف يكون ويحك كذلك وأنا ابن أشجع العرب ولدتنى فاطمة سيدة النساء وخيرة الامهات لم أفعل ويحك ذلك جبنا ولا فرقا ولكنه بايعنى مثلك وهو يطلب بترة ويداجيني المودة فلم أثق بنصرته لانكم بيت غدر وأهل إحن ووتر فكيف لا تكون كما اقول وقد بايع أمير المؤمنين ابوك ثم نكث بيعته ونكص على عقبيه واختدع حشية من حشايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضل بها الناس فلما دلف نحو الاعنة ورأى بريق الاسنة قتل بمضيعة لا ناصر له وأتى بك اسيرا وقد وطئتك الكماة باظلافها والخيل بسنابكها واعتلاك الاشتر فغصصت بريقك واقعيت على عقبيك كالكلب اذا احتوشته

الليوث فنحن و يحك نور البلاد واملاكها وبنا تفتخر الأمة والينا تلقى مقاليد نصول وأنت تخدع النساء ثم تفتخر على بنى الانبياء لم تزل الاقاويل منا مقبولة وعليك وعلى أبيك مردودة دخل الناس فى دين جدى طائعين وكارهين ثم بايعوا أمير المؤمنين صلوات الله عليه فسار الى أبيك وطلحة حين نكثا البيعة وخدعا عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلا عند نكثهما بيعته وأتى بك أسيراً تبصبص بذنبك فناشدته الرحم الا يقتلك فعفى عنك فانت عتاقة أبى وأنا سيدك وأبى سيد ابيك فذق وبال امرك فقال ابن الزبير اعذرنا يا أبا محمد فانما حملنى على محاورتك هذا واشتهى الاغراء بيننا فهلا إذ جهلت أمسكت عنى فانكم اهل بيت سجيتكم الحلم ، قال الحسن يامعاوية انظر أأكع عن محاورة احد ويحك أتدرى من أى شجرة أنا والى من أنتمى انته قبل ان اسمك بسمة يتحدث بها الركبان فى آفاق البلدان ، قال ابن الزبير هو لذلك أهل فقال معاوية أما انه قد شفا بلابل صدرى منك ورمى مقتلك فبقيت فى يده كالحجل فى كف البازى يتلاعب بك كيف شاء فلا أراك تفتخر على احد بعد هذا ، وذكروا ان الحسن بن على صلوات الله عليهما دخل على معاوية فقال فى كلام جرى من معاوية فى ذلك

فِيما الكلامُ وقدْ سَبقْتُ مُبرِّزا * سَبْقَ الجوادِ مِنَ المَدىٰ والمِقوَسِ

فقال معاوية ، اياى تعنى والله لآتينك بما يعرفه قلبك ولا ينكره جلساؤك أنا ابن بطحاء مكة أنا ابن أجودها جوداً وأكرمها أبوة وجدوداً وأوفاها عهوداً انا ابن من ساد قريشا ناشئاً ، فقال الحسن ، أجل اياك أعنى افعلىّ تفتخر يامعاوية وأنا ابن ماء السماء وعروق الثرى وابن من ساد اهل الدنيا بالحسب الثاقب والشرف الفائق والقديم السابق وابن من رضاه رضى الرحمن وسخطه سخط الرحمن فهل لك أب كأبى او قديم كقديمى فان تقل لا تغلب وان تقل نعم تكذب فقال ، اقول لا تصديقاً لقولك ، فقال الحسن رضى الله عنه

ألحقُّ أبلجُ لاتزيغُ سبيلهُ * والحقُّ يعرفهُ ذوو الالباب

قال ، وقال معاوية ذات يوم وعنده أشراف الناس من قريش وغيرهم أخبرونى بأكرم الناس أباً واماً وعماً وعمة وخالا وخالة وجداً وجدة ، فقام مالك بن عجلان وأومى الى الحسن بن علىّ صلوات الله عليه فقال ، هوذا أبوه علىّ بن ابى طالب وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمه جعفر الطيار وعمته أم هانىء بنت أبى طالب وخاله القاسم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدته خديجة بنت خويلد ، فسكت القوم ونهض الحسن فأقبل عمرو بن العاص على مالك فقال . أحب بنى هاشم حملك على أن تكلمت بالباطل ، فقال ابن عجلان ماقلت الا حقا وما احد من الناس يطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق الا لم يعط أمنيته فى دنياه وختم له بالشقاء

في آخرنه بنوهاشم أنضركم عوداً وأوراكم زنداً أ كذلك هو يامعاوية ، قال اللهم نعم ، قال واستأذن الحسن بن علي رضي الله عنه على معاوية وعنده عبدالله بن جعفر وعمرو بن العاص فأذن له فلما اقبل قال عمرو قد جاءكم الفهه العيي الذي كان بين لحييه عقلة ، فقال عبدالله بن جعفر . مه والله لقد رمت صخرة ململمة تنحط عنها السيول وتقصر دونها الوعول لا تبلغها السهام فاياك والحسن اياك فانك لا تزال راتعا في لحم رجل من قريش ولقد رميت فما برح سهمك وقدحت فما أورى زندك فسمع الحسن الكلام فلما اخذ مجلسه قال يامعاوية لا يزال عندك عبد يرتع في لحوم الناس اما والله لئن شئت ليكونن بيننا ما يتفاقم فيه الامور وتحرج منه الصدور ثم أنشأ يقول

أتأمرُ يامعاوي عبدَ سهمٍ * بشتمي والملا منا شهودُ
إذا أخذتْ مجالسها قريشٌ * فقد علمتْ قريشٌ ما تريدُ
أأنتَ تظلُّ تشتمني سفاهاً * لضغنٍ ما يزولُ ولا يبيدُ
فهل لكَ من أبٍ كأبي تسامى * به مَنْ قد تسامى أو تكيدُ
ولا جدٌّ كجدّي يابن حربٍ * رسولِ الله إنْ ذُكِرَ الجدودُ
ولا أمٌّ كأمي من قريشٍ * إذا ما حُصِّلَ الحسبُ التليدُ
فما مثلي تَهكَّمَ يابنَ حربٍ * ولا مثلي يُنَهْنِهُهُ الوعيدُ
فهلا لا تهيج منا أموراً * يشيبُ لهولها الطفلُ الوليدُ

وذكروا أن عمرو بن العاص قال لمعاوية ابعث الى الحسن بن علي فأمره أن يخطب على المنبر فلعله يحصر فيكون في ذلك ما نعيره به فبعث اليه معاوية فأمره ان يخطب فصعد المنبر وقد اجتمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا الحسن بن علي بن أبي طالب ابن عم النبي أنا ابن البشير النذير السراج المنير أنا ابن من بعثه الله رحمة للعالمين أنا ابن من بعث الى الجن والانس أنا ابن مستجاب الدعوة أنا ابن الشفيع المطاع أنا ابن أول من ينفض رأسه من التراب أنا ابن اول من يقرع باب الجنة أنا ابن من قاتلت معه الملائكة ونصر بالرعب من مسيرة شهر وامعن في هذا الباب ولم يزل حتى أظلمت الارض على معاوية فقال ياحسن قد كنت ترجو أن تكون خليفة ولست هناك ، قال الحسن انما الخليفة من سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بطاعته وليس الخليفة من دان بالجور وعطل السنن واتخذ الدنيا أباً وأماً ولكن ذلك ملك أصاب ملكا يتمتع به قليلا و يعذب بعده طويلا وكان قد انقطع عنه واستعجل لذته و بقيت عليه التبعة فكان كما قال الله تعالى (وان أدري لعله فتنة لكم

ومتاع الى حين) ثم انصرف . فقال معاوية لعمرو . ما أردت الا هتكي ما كان أهل الشام يرون أحداً مثلي حتى سمعوا من الحسن ما سمعوا قال وقدم الحسن بن علي رضي الله عنه على معاوية فلما دخل عليه وجد عنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة وصناديد قومه ووجوه أهل بيته ووجوه اهل اليمن وأهل الشام فلما نظر اليه معاوية أقعده على سريره وأقبل عليه بوجهه يريه السرور به وبقدومه فحسده مروان وقد كان معاوية قال لهم لا تحاوروا هذين الرجلين فقد قلدا كم العار عند أهل الشام — يعني الحسن بن علي رضي الله عنه وعبد الله بن عباس — فقال مروان يا حسن لولا حلم أمير المؤمنين وما قد بناه له آباؤه الكرام من المجد والعلا ما أقعدك هذا المقعد ولقتلك وأنت لهذا مستحق بقودك الجماهير الينا فلما قاومتنا وعلمت الا طاقة لك بفرسان اهل الشام وصناديد بني أمية اذعنت بالطاعة واحتجزت بالبيعة وبعثت تطلب الامان اما والله لولا ذلك لاراق دمك ولعلمت انا نعطي السيوف حقها عند الوغى فاحمد الله اذا ابتلاك بمعاوية وعفى عنك بحلمه ثم صنع بك ما ترى فنظر اليه الحسن وقال ويلك يا مروان لقد تقلدت مقاليد العار في الحروب عند مشاهدتها والمخاذلة عند مخالطتها هبلتك أمك لنا الحجج البوالغ ولنا عليكم ان شكرتم النعم السوابغ ندعوكم الى النجاة وتدعوننا الى النار فشتان ما بين المنزلتين تفتخر ببني أمية وتزعم انهم صبر في الحرب أسد عند اللقاء ثكلتك الثواكل اولئك البهاليل السادة والحماة الذادة والكرام القادة بنو عبد المطلب اما والله لقد رأيتهم أنت وجميع من في المجلس ما هالتهم الاهوال ولا حادوا عن الابطال كالليوث الضارية الباسلة الحنقة فعندها وليت هاربا واخذت أسيراً فقلدت قومك العار لانك في الحروب خوارا تهريق دمي فهلا اهرقت دم من وثب على عثمان في الدار فذبحه كما يذبح الجمل وأنت تثغو ثغاء النعجة وتنادي بالويل والثبور كالمرأة الوكعاء مادفعت عنه بسهم ولا منعت دونه بحرب قد ارتعدت فرائصك وغشى بصرك واستغثت كما يستغيث العبد بربه فانجيتك من القتل ثم جعلت تبحث عن دمي وتحض على قتلي ولو رام ذاك معاوية معك لذبح كما ذبح ابن عفان وانت معه أقصر يداً وأضيق باعا واجبن قلبا من ان تجسر على ذلك ثم تزعم اني ابتليت بحلم معاوية أما والله لهو أعرف بشأنه واشكر لنا إذ وليناه هذا الامر فمتى بدا له فلا يغضين جفنه على القذى معك فوالله لاعنفن أهل الشام بجيش يضيق فضاؤه ويستأصل فرسانه ثم لا ينفعك عند ذلك الروغان والهرب ولا ينفعك تدر يحك الكلام فنحن من لا يجهل آباؤنا الكرام القدماء الاكابر وفروعنا السادة الاخيار الافاضل انطق ان كنت صادقا . فقال عمرو ينطق بالخنا وننطق بالصدق ثم أنشأ يقول

قدْ يضرُطُ العيْرُ والمكْواةُ تأخذُهُ * لا يضرُطُ العيرُ والمُكواة في النار

ذق وبال أمرك يا مروان فاقبل عليه معاوية فقال قد نهيتك عن هذا الرجل وانت تأبى الا انهما كا

فهلا يعنيك ان تربع على نفسك فليس أبوه كابيك ولا هو مثلك انت ابن الطريد الشريد وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكريم ولكن رب باحث عن حتفه بظلفه فقال مروان أرم دون بيضتك وقم بحجة عشيرتك ثم قال لعمرو لقد طعنك أبوه فوقيت نفسك بخصيتيك ومنها ثنيت أعنتك وقام مغضبا فقال معاوية لا تجار البحار فتغمرك ولا الجبال فتقهرك واسترح من الاعتذار قال ولقي عمرو بن العاص الحسن بن علي عليهما السلام في الطواف فقال يا حسن ازعمت ان الدين لا يقوم الا بك و بأبيك فقد رأيت الله أقامه بمعاوية فجعله ثابتا بعد ميله و بينا بعد خفائه أفيرضى الله قتل عثمان أم من الحق ان تدور بالبيت كما يدور الجمل بالطحين عليك ثياب كغرقئ البيض وانت قاتل عثمان والله انه لألم للشعث وأسهل للوعث ان يوردك معاوية حياض أبيك فقال الحسن صلوات الله عليه ان لاهل النار علامات يعرفون بها وهي الالحاد في دين الله والموالاة لاعداء الله والانحراف عن دين الله والله انك لتعلم ان عليا لم يتريث في الامر ولم يشك في الله طرفة عين وايم الله لتنتهين يا ابن العاص أو لاقرعن قصتك — يعني جبينه — بقراع وكلام واياك والجراءة علي فاني من عرفت لست بضعيف المغمز ولا بهش المشاشة — يعني العظام — ولا بمرئ المأكلة واني لمن قريش كواسطة القلادة معرق حسبي لا أدعى لغير أبي وقد تحاكمت فيك رجال من قريش فغلب عليك الأمها حسبا وأعظمها لعنة فاياك عني فانما أنت نجس ونحن أهل بيت الطهارة أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيرا . قال واجتمع الحسن بن علي صلوات الله عليهما وعمرو بن العاص فقال الحسن قد علمت قريش بأسرها اني منها في عز أرومتها لم اطبع على ضعف ولم أعكس على خسف أعرف نسبي وادعى لابي فقال عمرو وقد علمت قريش انك ابن أقلها عقلا وأكثرها جهلا وان فيك خصالا لو لم يكن فيك الا واحدة منها لشملك خزيها كما شمل البياض الحالك وايم الله لئن لم تنته عما أراك تصنع لا كبسن لك حافة كجلد العائط اذ اعتاطت رحمها فتحمل أرميك من خلالها بأحر من وقع الاثافي أعرك منها أديمك عرك السلعة فانك طالما ركبت المنحدر ونزلت في أعراض الوعر التماسا للفرقة وارصادا للفتنة ولن يزيدك الله فيها الا فظاعة فقال الحسن أما والله لو كنت تسمو بحسبك وتعمل برأيك ما سلكت فج قصد ولا حللت رابية مجد أما والله لو اطاعني معاوية لجعلك بمنزلة العدو الكاشح فانه طال ما تاخر شأوك واستسر داؤك وطمح بك الرجا الى الغاية القصوى التي لا يورق بها غصنك ولا يخضر منها رعيك أما والله ليوشكن يا ابن العاص أن تقع بين لحيي ضرغام ولا ينجيك منه الروغان اذا التقت حلقتا البطان ،، ابن المنذر عن أبيه عن الشعبي عن ابن عباس انه دخل المسجد وقد سار الحسين بن علي رضي الله عنه الى العراق فاذا هو بابن الزبير في جماعة من قريش قد استعلاهم بالكلام فجاء ابن عباس فضرب بيده على عضد ابن الزبير وقال أصبحت والله كما قال الشاعر

يالكِ مِنْ قُنبرةٍ بمَعمَرِ * خلالكِ الجوُّ فبيضي واصفري
ونقّري ماشئت أنْ تنقري * قدْ ذهبَ الصّيادُ عنكِ فابشري
لا بدّ مِنْ أخذكِ يوماً فاصبري

خلت الحجاز من الحسين بن عليّ وأقبلت تهدر في جوانبها فغضب ابن الزبير وقال والله انك لترى انك أحق بهذا من غيرك فقال ابن عباس انما يرى ذلك من كان في حال شك وأنا من ذلك على يقين قال وبأى شيء استحق عندك انك بهذا الامر أحق مني فقال ابن عباس لانا أحق ممن يدل بحقه وبأى شيء استحق عندك انك أحق بها من سائر العرب الابنا فقال ابن الزبير استحق عندي اني احق بها منكم لشرفي عليكم قديما وحديثا فقال أنت اشرف أم من شرفت به فقال ان من شرفت به زادني شرفا الى شرفي قال ففي الزيادة أم منك فتبسم ابن عباس فقال ابن الزبير يا ابن عباس دعني من لسانك هذا الذي تقلبه كيف شئت والله يا بني هاشم لا تحبوننا أبداً قال ابن عباس صدقت نحن أهل بيت مع الله لا نحب من ابغضه الله قال يا ابن عباس أما ينبغي لك ان تصفح عن كلمة واحدة قال انما يصفح عمن أقر واما من هرّ فلا والفضل لاهل الفضل قال ابن الزبير فأين الفضل قال عندا اهل البيت لا تصرفه عن اهله فتظلم ولا تضعه في غير اهله فتندم قال ابن الزبير أفلست من اهله قال بلى ان نبذت الحسد ولزمت الجدد وانقضى حديثهما وروى عن ابن عباس انه قال قدمت على معاوية وقد قعد على سريره وجمع من بني أمية ووفود العرب عنده فدخلت وسلمت وقعدت فقال يا ابن عباس من الناس فقلت نحن قال فاذا غبتم قلت فلا احد قال فانك ترى أني قعدت هذا المقعد بكم قلت نعم فبمن قعدت قال بمن كان مثل حرب بن امية قلت من كفأ عليه اناءه واجاره بردائه قال فغضب وقال أرحني من شخصك شهرا فقد أمرت لك بصلتك وأضعفتها لك فلما خرج ابن عباس قال لخاصته ألا تسألوني ما الذي أغضب معاوية قالوا بلى فقل بفضلك قال ان أباه حرباً لم يلق أحداً من رؤساء قريش في عقبة ولا مضيق الا تقدمه حتى يجوزه فلقيه يوماً رجل من تميم في عقبة فتقدمه التميمي فقال حرب أنا حرب بن امية فلم يلتفت اليه وجازه فقال موعدك مكة فخافه التميمي ثم أراد دخول مكة فقال من يجيرني من حرب بن أمية فقيل له عبد المطلب فقال عبد المطلب أجل قدراً من ان يجير على حرب فأتى ليلا الى دار الزبير بن عبد المطلب فدق بابه فقال الزبير لعبده قد جاءنا رجل اما طالب قرى واما مستجير وقد أجبناه الى ما يريد ثم خرج الزبير اليه فقال التميمي

لاقيتُ حرباً في الثنيةِ مُقبلا * والصُّبحُ أبلجَ ضوؤُه للساري
فدعا بصوتٍ واكتنى ليروعني * وسما عليَّ سُموَّ ليثٍ ضاري

فتركتهُ كالكلب ينبحُ ظلّهُ * وأتيتُ قرمَ معالمٍ ونجارِ
ليثاً هزبراً يستجارُ بعزّهِ * رحبَ المباءةِ مكرماً للجار
ولقد حلفتُ بمكةٍ وبزمزمٍ * والبيتِ ذى الاحجارِ والاستار
إن الزبير لمانعى من خوفهِ * ما كبّر الحجاجُ فى الامصارِ

فقدمه الزبير واجاره ودخل به المسجد فرآه حرب فقام اليه فلطمه فحمل عليه الزبير بالسيف فولى هاربا يعدو حتى دخل دار عبد المطلب فقال أجرنى من الزبير فاكفأ عليه جفنة كان هاشم يطعم فيها الناس فبقى تحتها ساعة ثم قال له اخرج قال وكيف أخرج وعلى الباب تسعة من بنيك قد احتبوا بسيوفهم فالقى عليه رداء كان كساه اياه سيف بن ذى يزن له طرتان خضراوان فخرج عليهم فعلموا أنه قد أجاره عبد المطلب فتفرقوا عنه قال وحضر مجلس معاوية عبد الله بن جعفر فقال عمرو بن العاص قد جاءكم رجل كثير الخلوات بالتمنى والطربات بالتغنى محب للقيان كثير مزاحه شديد طماحه صدود عن السنان ظاهر الطيش رخى العيش أخاذ بالسلف منفاق بالسرف فقال ابن عباس كذبت والله أنت وليس كما ذكرت ولكنه لله ذكور ولنعمائه شكور وعن الخنا زجور جواد كريم سيد حليم اذا رمى أصاب واذا سئل أجاب غير حصر ولا هياب ولا عيابة مغتاب حل من قريش فى كريم النصاب كالهزبر الضرغام الجرىء المقدام فى الحسب القمقام ليس بدعى ولا دنى لا كمن اختصم فيه من قريش شرارها فغلب عليه جزارها فاصبح الأمها حسبا وأدناها منصبا ينوء منها بالذليل ويأوى منها الى القليل مذبذب بين الحيين كالساقط بين المهدين لا المضطر فيهم عرفوه ولا الظاعن عنهم فقدوه فليت شعرى باى قدر تتعرض للرجال وباى حسب تعتد به عند النضال ابنفسك وأنت الوغد اللئيم والنكد الذميم والوضيع الزنيم أم بمن تنمى اليهم وهم أهل السفه والطيش والدناءة فى قريش لا بشرف فى الجاهلية شهروا ولا بقديم فى الاسلام ذكروا جعلت تتكلم بغير لسانك وتنطق بالزور فى غير اقرانك والله لكان أبين للفضل وأبعد للعدوان أن ينزلك معاوية منزلة البعيد السحيق فانه طالما سلس داؤك وطمح بك رجاؤك الى الغاية القصوى التى لم يخضر فيها رعيك ولم يورق فيها غصنك فقال عبد الله بن جعفر اقسمت عليك لما أمسكت فانك عنى ناضلت ولى فاوضت فقال ابن عباس دعنى والعبد فانه قد يهدر خاليا ولا يجد ملاحيا وقد أتيح له ضيغم شرس للاقران مفترس وللارواح مختلس فقال ابن العاص دعنى يا أمير المؤمنين انتصف منه فوالله ما ترك شيئاً قال ابن عباس دعه فلا يبقى المبقى الا على نفسه فوالله ان قلبى لشديد وان جوابى لعتيد وانى لكما قال نابغة بنى ذبيان

وقدماً قد قرعتُ وقارعونى * فما نزرَ الكلامُ ولا شجانى
يصدُّ الشاعرُ العرّافُ عنى * صدودَ البكرِ عن قرمٍ هجان

قال و بلغ عاتمة بنت عانم (١) ثلب معاوية وعمرو بن العاص ابنى هاشم فقالت لاهل مكة أيها الناس ان بنى هاشم سادت فجادت وملكت وملكت وفضلت وفضلت واصطفت واصطفيت ليس فيها كدر عيب ولا افك ريب ولا خسروا طاغين ولا خازين ولا نادمين ولاهم من المغضوب عليهم ولا الضالين ان بنى هاشم أطول الناس باعا وأمجد الناس أصلا وأعظم الناس حلما وأكثر الناس علما وعطاء منا عبد مناف المؤثر وفيه يقول الشاعر

كانت قريش بيضة فتفلقت * فالمح خالصها لعبد مناف

وولده هاشم الذى هشم الثريد لقومه وفيه . يقول الشاعر

عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

ومنا عبد المطلب الذى سقينا به الغيث وفيه يقول أبو طالب

ونحن سنى المحل قام شفيعنا * بمكة يدعو والمياه تغور

وابنه أبو طالب عظيم قريش وفيه . يقول الشاعر

آتيته ملكا فقام بحاجتى * وترى العليج خائبا مذموما

ومنا العباس بن عبد المطلب أردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه ماله وفيه يقول الشاعر

رديف رسول الله لم تر مثله * ولا مثله حتى القيامة يولد

ومنا حمزة سيد الشهداء وفيه . يقول الشاعر

أبا يعلى بك الاركان هدت * وأنت الماجد البر الوصول

ومنا جعفر ذو الجناحين أحسن الناس حالا وأكملهم كمالا ليس بغدار ولا جبان أبدله الله بكلتى يديه جناحين يطير بهما فى الجنة وفيه . يقول الشاعر

هاتوا كجعفرنا ومثل علينا * كانا أعز الناس عند الخالق

ومنا أبو الحسن على بن أبى طالب صلوات الله عليه أفرس بنى هاشم وأكرم من احتفى وانتعل وفيه . يقول الشاعر

على ألف الفرقان صحفا * ووالى المصطفى طفلا صبيا

ومنا الحسن بن على عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة وفيه . يقول الشاعر

يا أجل الانام يا ابن الوصى * أنت سبط النبى وابن على

ومنا الحسين بن على حمله جبريل عليه السلام على عاتقه وكفاه بذلك فخرا وفيه يقول الشاعر

(١) هكذا فى الاصل وفى نسخة عاتمه بنت عانم . وفى المسامرات غانمه بنت غانم

حُبُّ الحسين ذخيرةٌ لمحبهِ * يا ربِّ فاحشرني غداً في حزبه

يامعشر قريش والله ما معاوية كأمير المؤمنين علي ولا هو كما يزعم هو والله شانئ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتى آتية معاوية وقائلة له ما يعرق منه جبينه ويكثر منه عويله وأتيته فكتب عامل معاوية اليه بذلك فلما بلغه أنها قربت منه أمر بدار ضيافة فنظفت وألقي فيها فرش فلما قربت من المدينة استقبلها يزيد في حشمه ومماليكه فلما دخلت المدينة أتت دار أخيها عمرو بن عاص فقال لها يزيد ان أبا عبد الرحمن يأمرك أن تنتقلي الى دار ضيافته وكانت لا تعرفه فقالت من أنت كلاك الله قال أنا يزيد بن معاوية قالت فلا رعاك الله يا ناقص لست بزائد فتغير لون يزيد وأتى أباه فأخبره فقال هي أسن قريش وأعظمهم حلماً قال يزيد كم تعد لها قال كانت تعد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة عام وهي من بقية الكرام فلما كان من الغد أتاها معاوية فسلم عليها فقالت على المؤمنين السلام وعلى الكافر بن الهوان والملام ثم قالت أفيكم عمرو بن العاص قال عمرو ها أناذا قالت انت تسب قريشاً وبني هاشم وأنت أهل السب وفيك السب واليك يعود السب يا عمرو أني والله عارفة بك وبعيوبك وعيوب أمك وأني اذكر ذلك ولدت من أمة سوداء مجنونة حمقاء تبول من قيامها وتعلوها اللئام وإذا لامسها الفحل فكان نطفتها أشد من نطفته ركبها في يوم واحد أربعون رجل وأما أنت فقد رأيتك غاو يا غير مرشد ومفسداً غير مصلح والله لقد رأيت فحل زوجتك على فراشك فما غرت ولا أنكرت وأما أنت يا معاوية فما كنت في خير ولا ربيت في نعمة فمالك ولبني هاشم انساؤك كنسائهم أم أعطى أمية في الجاهلية والاسلام ما أعطى هاشم وكفى فخراً برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاوية أيتها الكبيرة أنا كاف عن بني هاشم قالت فاني أكتب عليك كتابا فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ربه ان يستجيب لي خمس دعوات فاجعل تلك الدعوات كلها فيك فخاف معاوية فحلف أن لا يسب بني هاشم أبداً فهذا ما كان بين معاوية وبين بني هاشم من المفاخرة . قال وكان علي بن عبد الله بن عباس عند عبد الملك بن مروان فاخذ عبد الملك يذكر أيام بني أمية فبيناهو على ذلك اذ نادى المنادي بالأذان فقال اشهد ان لا إله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله فقال عليٌّ

هذي المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا

فقال: عبد الملك الحق في هذا ابين من ان يكابر . عليّ بن محمد النديم قال دخلت على المتوكل وعنده الرضي . فقال يا عليّ من اشعر الناس في زماننا ، قلت . البحتري ، قال . و بعده . قلت مروان بن ابي حفصة عبدك فالتفت الى الرضي فقال: يا ابن عم من اشعر الناس ، قال علي بن محمد العلوي قال وما تحفظ من شعره قال قوله

لقد فاخرتنا من قريش عصابة * بمط خدود وامتداد أصابع
فلما تنازعنا القضاء قضى لنا * عليهم بما نهوى نداء الصوامع

فقال المتوكل ما معنى قوله ـ نداء الصوامع ـ قال الشهادة . قال وابيك انه اشعر الناس ومما قيل فى هذا المعنى من الشعر قوله أيضا

بلغنا السماء بأنسابنا * ولولا السماء لجزنا السماء
فحسبك من سؤدد أننا * بحسن البلاء كشفنا البلاء
إذا ذكر الناس كنا ملوكا * وكانوا عبيداً وكانوا إماء
يطيب الثناء لابائنا * وذكر على يطيب الثناء
هجانى رجال ولم أهجهم * أبى الله لى أن أقول الهجاء

وقال آخر

وانى من القوم الذين عرفتهم * إذا مات منهم سيد قام صاحبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
نجوم سماء كلما انقض كوكب * بدا كوكب تأوى اليه كواكبه

وقال آخر

خطباء حين يقول قائلهم * بيض الوجوه مقاول لسن
لا يفطنون لعيب جارهم * وهم لحفظ جوارهم فطن

﴿ ضده ﴾

عن ابن عباس رضى الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتخروا بآبائكم فى الجاهلية فو الذى نفسى بيده لما يدحرج الجعل برجله خير من آبائكم الذين ماتوا فى الجاهلية قال وكان الحسن البصرى يقول يا ابن آدم لم تفتخر وانما خرجت من سبيل بولين نطفة مشجت بأقذار . وقال بعضهم لرجل اتفتخر ويحك وأولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وانت فيما بينهما وعاء عذرة فما هذا الافتخار . وروى عن ابن عباس أنه قال الناس يتفاضلون فى الدنيا بالشرف والبيوتات والامارات والغنى والجمال والهيئة والمنطق ويتفاضلون فى الآخرة بالتقوى واليقين واتقاهم احسنهم يقينا وازكاهم عملا وارفعهم درجة . وقيل فى ذلك

يزين الفتى فى الناس صحة عقله * وإن كان محظوراً عليه مكاسبه
وشين الفتى فى الناس صحة عقله * وإن كرمت آباؤه ومناسبه

وقيل لعامر بن قيس ما تقول فى الانسان قال وما اقول فيمن اذ جاع ضرع وان شبع بغى

وطنى . وقال بعض الحكماء لا يكون الشرف بالنسب ، الا ترى ان اخوين لاب وام يكون احدهما اشرف من الآخر ولو كان ذلك من قبل النسب لما كان لاحدهم على الآخر فضل لان نسبهما واحد ولكن ذلك من قبل الافعال لان الشرف انما هو بالفضل لا بالنسب قال الشاعر

أبوك أبي والجدُّ لاشكَّ واحدٌ * ولكننا عودان آس وخروعُ

و بلغنا عن المدائنى انه قال: ليس السؤدد بالشرف وقد ساد الاحنف بن قيس بحلمه وحصين ابن المنذر برأيه ومالك بن مسمع بمحبته فى العامة وسويد بن منجوف بعطفه على أرامل قومه وساد المهلب بن أبى صفرة بجميع هذه الخصال ،، وأما الشرف بالدين فالحديث المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أتاه اعرابى فقال بابى أنت وأمى يارسول الله من أكرم الناس حسباً ، قال أحسنهم خُلقا وأفضلهم تقوى فانصرف الاعرابى فقال ردّوه ثم قال يا اعرابى لعلك أردت أكرم الناس نسباً ، قال نعم يارسول الله قال يوسف الصديق صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فاين مثل هؤلاء الآباء فى جميع الدنيا ما كان مثلهم ولا يكون مثلهم احدا أبدا . وقال الشاعر فى ذلك

ولم أرَ كالاسباطِ أبناءَ واحدٍ * ولا كابيهم والداً حينَ يُنسبُ

قال ودخل عيينة بن حصن الفزارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتسب له فقال أنا ابن الاشياخ الاكارم فقال صلى الله عليه وسلم انت إذاً يوسف صديق الرحمن عليه السلام ابن يعقوب اسرائيل الله واسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله ،، وقال صلى الله عليه وسلم خير البشر آدم وخير العرب محمد وخير الفرس سلمان الفارسى وخير الروم صهيب وخير الحبشة بلال قال وسمع عمر بن الخطاب وهو خليفة صوتا ولغطا بالباب فقال لبعض من عنده اخرج فانظر من كان من المهاجرين الاولين فادخله فخرج الرسول فوجد بلالا وصهيبا وسلمان فادخلهم وكان أبوسفيان بن حرب وسهيل ابن عمرو فى عصابة من قريش جلوسا على الباب فقال: يامعشر قريش أنتم صناديد العرب واشرافها وفرسانها بالباب و يدخل حبشى وفارسى، ورومى فقال سهيل: ياأباسفيان انفسكم فلوموا ولا تلوموا امير المؤمنين دُعى القوم فاجابوا ودُعيتم فابيتم وهم يوم القيامة أعظم درجات وأكثر تفضيلا فقال أبوسفيان لا خير فى مكان يكون فيه بلال شريفا (فاما صناعات الاشراف) فانه رُوى ان اباطالب كان يعالج العطر والبز وأما ابو بكر وعمر وطلحة وعبد الرحمن بن عوف فكانوا بزازين ،وكان سعد بن أبى وقاص يعذُق النخل ،وكان أخوه عتبة نجارا ،وكان العاص بن هشام اخو أبى جهل بن هشام جزارا ،وكان الوليد بن المغيرة حدادا ،وكان عقبة بن أبى معيط خمارا ،وكان عثمان بن طلحة صاحب مفتاح البيت خياطا ، وكان أبوسفيان

ابن حرب يبيع الزيت والادم ، وكان أمية بن خلف يبيع البرم ، وكان عبد الله بن جدعان نخاسا وكان العاص بن وائل يعالج الخيل والابل ، وكان جرير بن عمرو وقيس ابو الضحاك بن قيس ومعمر بن عثمان وسيرين بن محمد بن سيرين كانوا كلهم حدادين ، وكان المسيب أبو سعيد زياتا وكان ميمون بن مهران بزازا ، وكان مالك بن دينار وراقا ، وكان أبو حنيفة صاحب الرأى خزازا وكان مجمع الزاهد حائكا ، ، قيل اتخذ يزيد بن المهلب بستانا فى داره بخراسان فلما ولى قتيبة بن مسلم جعله لابله فقال مرزبان مرو : هذا كان بستانا وقد اتخذته لابلك . فقال . قتيبة أبى كان اشتربان وكان أبو يزيد بستانبان فمنها صار ذلك كذلك ، ، قال وذكروا ان المأمون ذكر أصحاب الصناعات فقال . السوقة سفل والصناع انذال والتجار بخلاء والكتاب ملوك على الناس والناس أربعة أصحاب الحرف وهى امارة وتجارة وصناعة وزراعة فمن لم يكن منهم صار عيالاً عليهم

﴿ محاسن الثقة بالله سبحانه ﴾

قيل خطب سليمان بن عبد الملك فقال . الحمد لله الذى أنقذنى من ناره بخلافته . وقال الوليد ابن عبد الملك لاشفعن للحجاج بن يوسف وقرة بن شريك عند ربى . وقال الحجاج يقولون مات الحجاج مه مارجو الخير كله الا بعد الموت والله مارضى الله البقاء الالاهون خلقه عليه الس ابليس اذ قال (رَبِّ أنظِرْنى الى يومِ يبعثونَ قالَ فانكَ منَ المنظرينَ الى يومِ الوقتِ المعلومِ) وقال ابو جعفر المنصور الحمد لله الذى اجارنى بخلافته وأنقذنى من النار بها . وحدثنى ابراهيم بن عبد الله عن انس بن مالك قال دخلنا على قوم من الانصار وفيهم فتى عليل فلم نخرج من عنده حتى قضى نحبه فاذا عجوز عند رأسه فالتفت اليها بعض القوم فقال استسلمى لامر الله واحتسبى قالت امات ابنى قال نعم ، ، قالت أحق ما تقولون قلنا نعم فمدت يدها الى السماء وقالت اللهم انك تعلم انى أسلمت لك وهاجرت الى نبيك محمد صلوات الله عليه رجاء ان تغيثنى عند كل شدة فلا تحملنى هذه المصيبة اليوم فكشف ابنها الذى سجيناه وجهه ومابرحنا حتى طعم وشرب وطعمنا معه

﴿ ضده ﴾

قال عيسى بن مريم صلوات الله تعالى عليه ، يامعشر الحواريين ان ابن آدم مخلوق فى الدنيا فى أربع منازل هو فى ثلاث منها واثق وهو فى الرابعة سيء الظن يخاف خذلان الله اياه فاما المنزلة الاولى فانه خلق فى ظلمات ثلاث ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة فوفاه الله رزقه فى جوف ظلمة البطن فاذا أخرج من ظلمة البطن وقع فى اللبن لايخطو اليه بقدم ولا ساق ولا يتناوله بيد ولا ينهض اليه بقوة بل يكره اليه إكراها و يوجر إيجارا حتى ينبت عليه لحمه ودمه فاذا ارتفع

عن اللبن وقع فى المنزلة الثالثة من الطعام من أبويه يكسبان عليه من حلال وحرام فان ماتا عطف عليه الناس هذا يطعمه وهذا يسقيه وهذا يؤويه وهذا يكسوه فاذا وقع فى المنزلة الرابعة واشتد واستوى وكان رجلا خشى ان لا يرزق فيثب على الناس فيخون اماناتهم ويسرق امتعتهم ويغصبهم اموالهم مخافة خذلان الله تعالى إياه

(محاسن طلب الرزق)

قال عمرو بن عتبة من لم يقدمه الحزم أخره العجز ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يا ابن آدم أحدث لى سفراً أحدث لك رزقاً ، وفى بعض الحديث سافروا تغنموا ، وقال الكميت بن زيد الاسدى

وَلَنْ يُرِيحَ هُمُومَ النفسِ إنْ حَضَرَتْ * حاجاتُ مِثلِكَ الا الرَّحلُ والجملُ

وقال أبو تمام الطائى

وطولُ مُقامِ المرءِ فى الحيِّ مُخلِقٌ * لِدِيباجَتيهِ فاغتربْ تَتَجدَّدِ
فإنى رأيتُ الشمسَ زِيدتْ مَحبةً * إلى الناسِ أنْ ليستْ عليهمْ بِسرمدِ

وقال بعض الحكماء لا تدع الحيلة فى التماس الرزق بكل مكان فان الكريم محتال والدنى عيال ، وأنشد

فَسِرْ فى بلادِ اللهِ والتمسِ الغنى * تَعِشْ ذا يسارٍ أوْ تموتَ فتُعذرا
ولا ترضَ من عيشٍ بدونٍ ولا تنمْ * وكيفَ ينامُ الليلَ من كانَ مُعسِرا

وتقول العامة كلب جوال خير من أسد رابض ، وتقول من غلى دماغه صائفا غلت قدره شاتيا ، ووقع عبد الله بن طاهر من سعى رعى ومن لزم المنام رأى الاحلام ، هذا المعنى سرقه من توقيعات أنوشروان فانه يقول هرك روذ جرد هرك خسبد خواب بيند ، وأنشد

كَفى حزَناً أنَّ النوى قذَفتْ بنا * بعيداً وأنَّ الرزقَ أعيتْ مذاهبُهْ
ولوْ أنَّنا إذْ فرَّقَ الدَّهرُ بيننا * غِنيَ واحدٍ منا تموَّلَ صاحبُهْ
ولكنَّنا مِنْ دَهرِنا فى مؤونةٍ * يُكالِبُنا طَوراً وطوراً نُكالبُهْ

وقال آخر

ومَنْ يكُ مِثلى ذا عِيالٍ ومُقتِراً * مِنَ المالِ يَطرحْ نفسَهُ كلَّ مَطرحِ
لِيبلُغَ عُذراً أوْ ينالَ غنيمةً * ومُبلغُ نفسٍ عُذرَها مِثلُ مُنجِحِ

وقال آخر

وليسَ الرِّزقُ عنْ طلبٍ حثيثٍ * ولكنْ ادلِ دَلْوكَ فى الدِّلاءِ

تجنك بلينها وحيناً وطوراً * تجيء بحمأةٍ وقليلِ ماء

﴿ ضده ﴾

قيل،، وجد في بعض خزائن ملوك العجم لوح من حجارة مكتوب عليه كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو فان موسى عليه السلام خرج ليقتبس نارا فنودي بالنبوة و بلغنا عن ابن السماك انه قال لا تشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض وكن اليوم مشغولا بما أنت مسؤل عنه غداً و إياك والفضول فان حسابها يطول . قال الشاعر

إني علمتُ وعِلْمُ المرءِ ينفعهُ * أنّ الذي هوَ رزقي سوفَ يأتيني
أسعى لهُ فيُعَنِّيني تطلبهُ * ولو قعدتُ أتاني لا يُعَنِّيني

وقال آخر

لعمرُكَ ما كلُّ التعطُّلِ ضائرٌ * ولا كلُّ شُغلٍ فيهِ للمرءِ منفعه
إذا كانتِ الارزاقُ في القُربِ والنوى * عليكَ سواءً فاغتنمْ لذةَ الدّعه

وقال آخر

سهّلْ عليكَ فانّ الرزقَ مقدورُ * وكلُّ مُستأنفٍ في اللوحِ مسطورُ
أبى القضاءُ بما فيهِ لمدّتهِ * وكلُّ مالمْ يكنْ فيهِ فمحظورُ
لا تكذبنَّ فخيرُ القولِ أصدقهُ * إن الحريصَ على الدُّنيا لمغرُورُ

وقال آخر

لا تعتبنَّ على العبادِ فإنما * يأتيكَ رزقُكَ حين يؤذنُ فيهِ

وقال آخر

هيَ المقاديرُ تجري في أعنتها * فاصبرْ فليسَ لها صبرٌ على حالِ
يوماً تريشُ خسيسَ القومِ ترفعهُ * دونَ السّماءِ ويوماً تخفضُ العالي

وقال آخر

إصبرْ على زمنٍ جمٍّ نوائبهُ * فليسَ من شدّةٍ إلا لها فرجُ
تلقاهُ بالامسِ في عمياءَ مظلمةٍ * ويُصبحُ اليومَ قد لاحتْ له السُّرجُ

وقال آخر

ألا رُبَّ راجٍ حاجةٍ لا ينالها * وآخرَ قد تُقضى له وهو آيسُ
يجولُ لها هذا وتُقضى لغيرهِ * فتأتي الذي تُقضى وهوَ جالسُ

وقال آخر

فلما أنْ عنيتُ بما أُلاقي * وأعيتني المسائلُ بالقُرُوضِ
دعوتُ الله لا أرجو سواهُ * وربُّ العرشِ ذو فرجٍ عريضِ

وقال آخر

ياصاحبَ الهمّ إنّ الهمّ منفرجٌ * أبشرْ بخيرٍ كأنْ قدْ فرّجَ اللهُ
اليأسُ يقطعُ أحيانا بصاحبهِ * لاتيأسنّ فانّ الصانعَ اللهُ
إذا ابتليتَ فثقْ باللهِ وارْضَ به * إنّ الذي يكشفُ البلوى هو اللهُ

وقال آخر

وإذا أصابكَ من الحوادثِ نكبةٌ * فاصبرْ فكلُّ بليّةٍ تتكشفُ

﴿ محاسن المواعظ ﴾

قال الاصمعي حججت فنزلت ضريه فاذا اعرابي قد كوّر عمامته على رأسه وقد تنكّب قوسا فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انما الدنيا دار ممرّ والآخرة دار مقر فخذوا من ممرّكم لمقركم ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم اسراركم . أما بعد فانه لن يستقبل احد يوما من عمره الا بفراق آخر من أجله فاستعجلوا الانفسكم لما تقدمون عليه لا لما تظعنون عنه وراقبوا من ترجعون اليه فانه لاقويّ اقوى من خالق ولا ضعيف اضعف من مخلوق ولا مهرب من الله الا اليه وكيف يهرب من يتقلب بين يدي طالبه (وإنما توفّون أجوركم يوم القيامة فمن زُحزحَ عن النارِ وأُدخلَ الجنةَ فقدْ فازَ وما الحياةُ الدنيا الاّ متاعُ الغُرُور) وقال بعض الاعراب ان الموت ليقتحم على بني آدم كاقتحام الشيب على الشباب ومن عرف الدنيا لم يفرح بها فهو خائف ولم يحزن فيها على بلوى ولا طالب أغشم من الموت ومن عطف عليه الليل والنهار ارادياه ومن وكل به الموت أفناه . وقال اعرابي كيف يفرح بعمر تنقصه الساعات وبسلامة بدن معرض للآفات لقد عجبت من المرء يفرّ من الموت وهو سبيله ولا أرى أحدا الا استدركه الموت . وقيل وجد في كتاب من كتب بزرجمهر صحيفة مكتوب فيها ان حاجة الله الى عباده أن يعرفوه فمن عرفه لم يعصه طرفة عين كيف البقاء مع الفناء وكيف يأسى المرء على مافاته والموت يطلبه ، وقال كسرى لم يكن من حقّ علمه أن يقتل واني لنادم على ذلك (١) . قال وحضرت الوفاة رجلا من حكماء فارس فقيل له كيف يكون حال من يريد سفرا بعيدا بغير زاد ويقدم على ملك عادل

(١) هكذا في الاصل وفي العبارة نقص فليحرر

بغير حجة و يسكن قبراً موحشاً بغير أنيس

﴿ ضده ﴾

قيل ، لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز جزع أبوه عليه جزعا شديداً فقال ذات يوم لمن حضره هل من منشد شعراً يعزيني به أو واعظ يخفف عني فأتسلى به ، فقال رجل من أهل الشام . يا أمير المؤمنين كل خليل مفارق خليله بان يموت أو بان يذهب الى مكان . فتبسم عمر بن عبد العزيز وقال مصيبتي فيك زادتني الى مصيبتي مصيبة ، وأصيب الحجاج بن يوسف بمصيبة وعنده رسول لعبد الملك بن مروان فقال . ليت اني وجدت انسانا يخفف عني مصيبتي ، فقال له الرسول أقول ، قال : قل قال كل انسان مفارق صاحبه بموت أو بصلب أو بنار تقع عليه من فوق البيت أو يقع عليه البيت أو يسقط في بئر أو يغشى عليه او يكون شيء لا يعرفه ، فضحك الحجاج وقال مصيبتي في أمير المؤمنين اعظم حين وجه مثلك رسولا

﴿ محاسن فضل الدنيا ﴾

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها مسجد أنبياء الله ومهبط وحيه ومصلى ملائكته ومتجر أوليائه يكسبون فيها الرحمة و يربحون فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وشوقت بسرورها الى السرور و ببلائها الى البلاء تخويفاً وتحذيراً وترغيباً وترهيباً فيا أيها الذام للدنيا والمفتتن بغرورها متى غرتك أبمصارع آبائك من البلى أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى كم عللت بكفيك وكم مرضت بيديك تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء وتلتمس لهم الدواء لم تنفعهم بطلبتك ولم تشفعهم بشفاعتك ولم تستشفهم باستشفائك بطبك مثلت بهم الدنيا مصرعك ومضجعك حيث لا ينفعك بكاؤك ولا يغني عنك أحباؤك ثم التفت الى قبور هناك فقال يا أهل الثراء والعز الازواج قد نكحت والاموال قد قسمت والدور قد سكنت هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ثم قال لمن حضر : والله لو أذن لهم لاجابوا ان خير الزاد التقوى ، وأنشد

مَا أَحْسَنَ الدُّنيا و إقبالها ❊ إذا أطاعَ اللهَ مَنْ نالها
مَنْ لم يُواسِ النَّاسَ مِنْ فضلها ❊ عرَّضَ للإدبار إقبالَها

قال أبو حازم الدنيا طالبة ومطلوبة طالب الدنيا يطلبه الموت حتى يخرجه منها وطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى توفيه رزقه ، وقال الحسن البصري بينا أنا اطوف بالبيت اذا أنا بعجوز متعبدة فقلت من أنت ، فقالت من بنات ملوك غسان قلت فمن أين طعامك ، قالت اذا كان آخر النهار

جاءتني امرأة متزينة فتضع بين يدي كوزاً من ماء ورغيفين ، قلت لها أتعرفينها ، قالت اللهم لا ، قالت هي الدنيا خدمت ربك جل ذكره فبعث اليك الدنيا فخدمتك

﴿ ضده ﴾

زعموا أن زياد بن أبيه مر بالحيرة فنظر الى دير هناك فقال لخادمه لمن هذا قيل له هذا دير حرقة بنت النعمان بن المنذر فقال ميلوا بنا اليه لنسمع كلامها فجاءت الى وراء الباب فكلمها الخادم قال لها . كلمي الامير ، فقالت أوجز أم أطيل ، قال بل أوجزي قالت . كنا أهل بيت طلعت الشمس علينا وما على الارض أحد أعز منا وما غابت تلك الشمس حتى رحمنا عدونا قال . فامر لها بأوساق من شعير فقالت ، أطعمتك يد شبعاء جاعت ولا أطعمتك يد جوعاء شبعت . فسر زياد بكلامها فقال لشاعر معه قيد هذا الكلام ليدرس . فقال

سَلِ الخيرَ أهلَ الخيرِ قدْماً ولا تَسَلْ * فتًى ذاقَ طعْمَ الخيرِ مُنذُ قريبِ

ويقال ، ان فروة بن اياس بن قبيصة انتهى الى دير حرقة بنت النعمان فالفاها وهي تبكي فقال لها ما يبكيك ، قالت ما من دار امتلأت سروراً الا امتلأت بعد ذلك ثبوراً ثم قالت

فبينا نسوسُ الناسَ والامرُ أمرُنا * إذا نحنُ فيهم سُوقةٌ نتنصّفُ

فأفٍّ لدُنيا لا يدُومُ نعيمُها * تقلّبُ تاراتٍ بنا وتصرّفُ

قال ، وقالت حرقة بنت النعمان لسعد بن أبي وقاص لا جعل الله لك الى لئيم حاجة ولا زالت لكريم اليك حاجة وعقد لك المنن في أعناق الكرام ولا أزال بك عن كريم نعمة ولا أزالها بغيرك الا جعلك سبباً لردها عليه ، قال وقال عبد الملك بن مروان لسلم بن يزيد الفهمي أي الزمان أدركت أفضل وأي ملوكه أكمل ، قال أما الملوك فلم أر الا ذاما وحامداً وأما الزمان فرفع أقواماً ووضع آخرين وكلهم يذم زمانه لانه يبلي جديدهم ويهرم صغيرهم وكل ما فيه منقطع الا الامل ، قال فاخبرني عن فهم . قال هم كما قال الشاعر

دَرَجَ الليلُ والنهارُ على فهـم بنِ عمرو فأصبحوا كالرَّميمِ

وخلتْ دارُهمْ فاضحتْ قِفاراً * بعدَ عِزٍّ وثروةٍ ونعيمِ

وكذاكَ الزّمانُ يذهبُ بالنا * سِ وتبقى ديارُهمْ كالرُّسوم

قال فمن يقول منكم

رأيتُ الناسَ مذْ خُلقوا وكانوا * يُحبّون الغنيَّ منَ الرِّجالِ

وإنْ كانَ الغنيُّ أقلَّ خيراً * بخيلاً بالقليلِ منَ النَّوالِ

فلا أدري علامَ وفيمَ هذا * وماذا يرتجون من المحالِ
أللدنيا فليس هناك دنيا * ولا يُرجى لحادثة الليالي

قال: أنا وقد كفيتها، قال ولما دخل علي صلوات الله عليه المدائن فنظر الى إيوان كسرى أنشد بعض من حضره . قول الاسود بن يعفر

ماذا أؤمل بعد آل محرق * تركوا منازلهم وبعد إيادِ
أهل الخورنق والسدير وبارق * والقصر ذي الشرفات من سنداد
نزلوا بأنقرة يسيل عليهم * ماء الفرات يجيء من أطواد
أرض تخيرها لطيب نسيمها * كعب بن مامة وابن أم دواد
جرت الرياح على محل ديارهم * فكأنما كانوا على ميعادِ
فاذا النعيم وكل ما يلهى به * يوماً يصير إلى بلى ونفادِ

وقال علي صلوات الله عليه: أبلغ من ذلك قول الله تعالى (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين) . وقال عبد الله بن المعتز أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام،، وقال غيره طلاق الدنيا مهر الجنة ، وذكروا ان اعرابيا ذكر الدنيا فقال هي جمة المصائب رنقة المشارب . وقال آخر الدنيا لا تمتعك بصاحب . قال أبو الدرداء من هوان الدنيا على الله تعالى انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها . وقال اذا أقبلت الدنيا على امرىء اعارته محاسن غيره واذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه . وقال الشاعر

أيا دنيا حسرت لنا قناعا * وكان جمال وجهك في النقابِ
ديار طالما حجبت وعزت * فأصبح اذنها سهل الحجابِ
وقد كانت لنا الايام ذلت * فقد قرنت بايام صعابِ
كأن العيش فيها كان ظلاً * يقلبه الزمان إلى ذهابِ

قال الاصمعي . وُجد في دار سليمان بن داود عليه السلام على قبة مكتوبا

ومن يحمد الدنيا لشيء يسره * فسوف لعمري عن قريب يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة * وإن أقبلت كانت كثيراً همومها

وكان ابراهيم ابن أدهم ينشد

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

وقال أبو العتاهية

يامنْ ترفّع بالدُّنيا وزينتها * ليس الترفّعُ رفعَ الطين بالطين
إذا أردتَ شريفَ القوم كلهم * فانظرْ إلى مَلِكٍ فى زىّ مسكين
ذاكَ الذى عظمتْ فى الناسِ همتهُ * وذاكَ يَصلحُ للدُّنيا وللدّين

وقال آخر

هَبِ الدُّنيا تُساقُ إليكَ عفوًا * أليسَ مصيرُ ذاكَ إلى زوالِ

وقال محمود الوراق

هىَ الدُّنيا فلا يغرُرْكَ منها * مخايلُ تستفزُّ ذوى العقولِ
أقلُّ قليلها يكفيكَ منها * ولكنْ لستَ تقنعُ بالقليل
تُشيدُ وتبتنى فى كلّ يومٍ * وأنتَ على التجهُّز للرّحيلِ
ومَنْ هذا على الأيّام تبنى * مَضارِبُهُ بمدرجةِ السُّيُول

وقال آخر

دُنيا تداولها العبادُ ذميمة * شيبتْ بأكرهَ من نقيعِ الحنظلِ
وبناتُ دُنيا ما تزالُ مُلمّةٌ * منها فجائعُ مثلَ وقعِ الجندلِ

وقال آخر

حتى متى أنتَ فى دُنياكَ مُشتغلٌ * وعاملُ اللهِ بالرّحمنِ مشغولُ

وقال أبو نواس الحسن بن هانىء

دَعِ الحرصَ على الدُّنيا * وفى العيشِ فلا تطمعْ
ولا تجمعْ لكَ المالَ * فما تدرى لِمنْ تجمعْ
ولا تدرى أفى أرضك أمْ فى غيرها تُصرعْ

قال الاصمعى . سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول بينا أنا أدور فى بعض البرارى اذا أنا بصوت

وإنِ امرأً دُنياهُ أكثرُ همّهِ * لمستمسكٌ منها بحبلِ غرُورِ

فقلت آنسى أم جنى فلم يجبنى أحد فنقشته على خاتمى ، قال وسمع يحيى بن خالد بيت العدوى فى صفة الدنيا

حتوفُها رصدٌ وعيشُها نكدٌ * وشربُها رنقٌ ومُلكها دُولُ

فقال لقد نظم فى هذا البيت صفة الدنيا ، قال وسمع المأمون بيت أبى نواس

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

فقال . لو سئلت الدنيا عن نفسها ما وصفت نفسها كصفة أبي نواس ، وقيل للحسن البصري ما تقول في الدنيا ، قال ما أقول في دار حلالها حساب وحرامها عقاب فقيل . ما سمعنا كلاما أوجز من هذا قال بلى كلام عمر بن عبد العزيز كتب اليه عدي بن أرطاة وهو على حمص ان مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت الى صلاح حيطانها فكتب اليه حصنها بالعدل ونق طرقها من الظلم والسلام

﴿ محاسن الزهد ﴾

محمد بن الحسن عن أبي همام وكان قد عرف ضيعة ما قال . كنت معه في طريق مكة فلما بعدنا في الرمل نظر الى ما تلقى الابل من شدة الحر فبكى ضيغم فقلت . لو دعوت الله أن يمطر علينا كان أخف على هذه الابل قال . فنظر الى السماء وقال . إن شاء الله فعل قال فوالله ما كان الا أن تكلم حتى نشأت سحابة فهطلت ، وعن عطاء بن يسار ان أبا مسلم الخولاني خرج الى السوق بدرهم يشتري لاهله دقيقا فعرض له سائل فاعطاه بعضه ثم عرض له سائل آخر فاعطاه الباقي فاتى النجار بن فملأ مزوده من نشارة الخشب وأتى منزله فالقاه وخرج هاربا من أهله فاخذت المرأة المزود فاذا دقيق حواري لم تر مثله فعجنته وخبزته فلما جاء قال من أين لك هذا قالت الدقيق الذي جئت به ، وعن أبي عبد الله القرشي عن صديق له قال ، دخلت بئر زمزم فاذا بشخص ينزع الدلو مما يلي الركن فلما شرب أرسل الدلو فأخذته فشربت فضلته فاذا هو سويق لو زلم أر أطيب منه فلما كانت القابلة في ذلك الوقت جاء الرجل وقد أسبل ثوبه على وجهه ونزع الدلو فشرب ثم أرسله فأخذته فشربت فضلته فاذا هو ماء مضروب بالعسل لم أر شيأ قط أطيب منه فاردت أن آخذ طرف ثوبه فانظر من هو ففاتني فلما كان في الليلة الثالثة قعدت قبالة زمزم في ذلك الوقت فجاء الرجل وقد أسبل ثوبه على وجهه فنزع الدلو فشرب وأرسله وأخذته وشربت فضلته فاذا هو أطيب من الاول فقلت يا هذا أسألك برب هذه البنية من أنت . قال تكتم على حتى أموت . قلت . نعم . قال لى . أنا سفيان الثوري وكانت تلك الشربة تكفيني اذا شربتها الى مثلها لا اجد جوعا ولا عطشا ، وقال الاصمعي . رأيت اعرابيا يكدح جبهته بالارض يريد ان يجعل سجادة فقلت ما تصنع قال اني وجدت الاثر في وجه الرجل الصالح . وقال الشاعر

كيف يبكى لمحبس في طلول * من سيقضى ليوم حبس طويل
إن في البعث والحساب لشغلا * عن وقوف برسم ربع محيل

وقال آخر

إنّ الشقيَّ الذي في النار منزلهُ * والفوزُ فوزُ الذي ينجو من النارِ
يا ربّ أسرفتُ في ذنبي ومعصيتي * وقد علمتُ يقيناً سوءَ آثاري
فاغفر ذنوباً إلهي قد أحطت بها * ربَّ العبادِ وزحزحني عن النارِ

وقال ذو الرمة

تعصي الإلهَ وأنت تظهرُ حبه * هذا محالٌ في القياس بديعُ
لو كان حبكَ صادقاً لأطعتهُ * إنّ المحبَّ لمن يحبُّ مطيعُ

وقال أبو نواس

أيا عجباً كيف يُعصى الإلهُ * أم كيف يجحدهُ الجاحدُ
ولله في كلّ تحريكةٍ * وتسكينةٍ فاعلمن شاهدُ
وفي كلّ شيءٍ لهُ آيةٌ * تدلُّ على أنهُ واحدُ

وقال أيضاً

سبحانَ من خلقَ الخلـ * ـقَ من ضعيفٍ مهينِ
يسوقُهم من قرارٍ * إلى قرارٍ مكينِ
يحوزُ خلقاً فخلقاً * في الحجبِ دونَ العيونِ
حتى بدت حركاتٌ * مخلوقةٌ من سكونِ

وقال آخر

أخي ما بالُ قلبكَ ليسَ ينقى * كأنكَ ما تظنُّ الموتَ حقا
ألا يا ابنَ الذينَ مضوا وبادوا * أما واللهِ ما ذهبوا لتبقى
ومالكَ غيرَ تقوى اللهِ زادٌ * إذا جعلتَ إلى اللهواتِ ترقى

وقال آخر

يا قلبُ مهلاً وكن على حذرِ * فقد لعمري أمرتَ بالحذرِ
مالكَ بالتُّرهاتِ مشتغلاً * أفي يديكَ الأمانُ من سقرِ

وقال آخر

إن كنتَ تؤمنُ بالقيا * مةِ واجترأتَ على الخطيئة
فلقد هلكتَ وإن جحد * تَ فذاكَ أعظمُ للبليّة

وقال آخر

وأفنيةُ الملوكِ مُحجّباتٌ * وبابُ اللهِ مبذولُ الفِناء
فما أرجو سواهُ لكشفِ ضُرّي * ولا أفزعْ إلى غيرِ الدعاء
ولا أدعو إلى اللأواء كهفاً * سوى من لا يَصَمُّ عن الدُّعاء

﴿ ضده ﴾

قيل، كان جندي بقزوين يصلي في بعض المساجد فتفقده المؤذن أياما فصار اليه وقرع بابه عليه فخرج اليه. فقال له المؤذن. أبو من، قال. أبو الجحيم، قال. بئس يا هذا ارد الباب قال وقيل للقيني ما أيسر ذنبك، قال. ليلة الدير، قيل له. وما ليلة الدير. قال. نزلت بدير نصرانية فأكلت عندها أمشيلا بلحم خنزير وشربت خمرها وفجرت بها وسرقت كساءها وخرجت (١). قيل أتى خمسة من الفتيان الى قرية فنزلوا على باب خان فقام احدهم يصلي والباقون جلوس فمرت بهم نبطية فقالوا دلينا على قحبة قالت نعم كم أنتم. قالوا نحن اربعة. فأومى الذي يصلي بيده سبحان الله أنا الخامس. قال الشاعر

وإني في الصلاةِ أحضرُها * ضحكةُ أهلِ الصَّلاةِ إنْ شهدوا
أقعدُ في سجدةٍ إذا ركعوا * وأرفعُ الرأسَ إنْ هم سجدوا
أسجدُ والقومُ راكعونَ معاً * وأُسرِعُ الوثبَ إنْ هم قعدوا
فلستُ أدري إذا هم فرغوا * كمْ كانَ تلكَ الصلاةَ والعددُ

وقال آخر

وأصلي فأغلطُ الدهرَ فيها * بين سبعٍ وأربعٍ وثمانِ
ومواقيتُ حينها لستُ أدري * ما أذانٌ مُوقّتٌ من أذانِ

وقال آخر

نِعمَ الفتى لوْ كانَ يعرِفُ ربّهُ * ويُقيمُ وقتَ صلاتهِ حمّادُ
عدلتْ مَشافِرَهُ الدِّنانُ فأنفهُ * مِثلُ القدومِ يَسُنُّهُ الحدّادُ
فابيضَّ من شُربِ المدامةِ وجهُهُ * فبياضُهُ يومَ الحسابِ سوادُ

---

١) ذكر ابن قتيبة في كتابه أخبار الشعراء هذه القصة لابي الطمحان القيني وقد نسبت هذه الخزية أيضاً للفرزدق وفيها يقول له جرير

وكنت اذا نزلت بدار قوم * رحلت بخزية وتركت عارا

وقال آخر

إن قرأ العاديات في رجب * لم يعد منها إلا إلى رجب
بل نحن لا نستطيع في سنة * نختم تبت يدا أبي لهب

﴿ محاسن النساء النادبات ﴾

قيل ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحسن قول الخنساء في صخر أخيها

لا بد من ميتة في صرفها غير * والدهر من شأنه حول وإضرار
وإن صخراً لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

وقيل للخنساء صفي لنا صخراً فقالت . كان مطر السنة الغبراء وذعاف الكتيبة الحمراء قيل فمعاوية قالت حياء الجدبة اذا نزل وقرى الضيف اذا حل قيل فأيهما كان عليك أحنى قالت أما صخر فسقام الجسد وأما معاوية فجمرة الكبد . وأنشدت

أسدان محمرا المخالب نجدة * غيثان في الزمن الغضوب الأغبر
قمران في النادي رفيعا محتد * في المجد فرعا سودد متخير

وروى انها دخلت على عائشة أم المؤمنين وعليها صدار من شعر فقالت لها عائشة أتتخذين الصدار وقد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا أم المؤمنين إن زوجي كان رجلا متلافا فأنفقا . فقال لي . لو أتيت معاوية فاستعنتيه فخرجت وقد لقيني صخر فأخبرته فشاطرني ماله ثلاث مرات فقالت له امرأته ، لو أعطيتها من شرارها — تعني الابل — فقال

تالله لا أمنحها شرارها * وهي حصان قد كفتني عارها
وإن هلكت مزقت خمارها * واتخذت من شعر صدارها

فلما هلك صخر اتخذت هذا الصدار ونذرت ان لا انزعه حتى أموت ، قال ثور ابن معن السلمي حدثني أبي قال ، دخلت على الخنساء في الجاهلية وعليها صدار من شعر وهي تجهز ابنتها فكلمتها في طرح الصدار فقالت ، ياحمقاء والله لانا احسن منك عرسا وأطيب منك درسا وأرق منك نعلا وأكرم منك بعلا ، قال عبد الرحمن بن مرة عن بعض أشياخه ان عمر بن الخطاب قال للخنساء ، ما أقرح ماقي عينيك ، قالت ، بكائي على السادات من مضر ، قال ، يا خنساء انهم في النار قالت ، ذلك أطول لعويلي . ومما اخترنا من أشعارها قولها

تعرقني الدهر قرعاً وغمزا * وأوجعني الدهر نهشاً وخزا
وأفنى رجالي فبادوا معاً * فاصبح قلبي لهم مستفزا
كأن لم يكونوا حمى يتقى * إذ الناس إذ ذاك من عز بزا

وكانوا سَراةَ بني مالكٍ * وزَينَ العشيرة مجداً وعزّا
وهم في القديم صِحاحُ الاديم * والكائنون من الناس حِرْزا
بسُمرِ الرِّماحِ وبيضِ الصِّفاحِ * فبالبيض ضرباً وبالسمر وخزا
حزَزْنا نواصِيَ فرسانِكم * وكانوا يظنُّون أن لا تُحزّا
ومن ظنَّ ممن يُلاقي الحروبَ * بأن لا يُصابَ فقد ظنَّ عجزا
نعِفُّ ونعرِفُ حقَّ القِرى * ونتَّخِذُ الحمدَ ذُخراً وكنزا
ونَلبَسُ في الحربِ نسجَ الحديدِ * وفي السِّلْمِ نَلبسُ خزّاً وقزّا

وروى خبر الخنساء من جهة أخرى، ذكروا انها اقبلت حاجّة فمرت بالمدينة ومعها أناس من قومها فأتوا عمر بن الخطاب فقالوا، هذه خنساء فلو وعظتها فقد طال بكاؤها في الجاهلية والاسلام فقام عمر وأتاها وقال، ياخنساء، قال فرفعت رأسها فقالت ماتشاء وما الذي تريد فقال، ما الذي أقرح ماقي عينيك، قالت، البكاء على سادات مضر، قال، انهم هلكوا في الجاهلية وهم أعضاد اللهب وحشو جهنم، قالت، فداك أبي وامي فذلك الذي زادني وجعا، قال، فانشديني ماقلت، قالت، اما اني لا أنشدك ماقلت قبل اليوم ولكني انشدك ماقلته الساعة، فقالت

سقى جدَثاً أعراقُ غمرةَ دونهُ * وبيشةَ دِيماتُ الرَّبيعِ ووابلُهْ
وكنتُ أعيرُ الدمعَ قبلَكَ من بكى * فأنتَ على من ماتَ قبلكَ شاغلُهْ
وأرعيهمُ سَمعي إذا ذكروا الاسى * وفي الصدرِ مني زفرةٌ لا تُزايلُهْ

فقال عمر، دعوها فانها لاتزال حزينة أبدا، ليلى الاخيلية هجاها رجل من قومها، فقال

ألا حيّيا ليلى وقولا لها هلا * فقد ركبت إمراً أغرّ محجّلا

فاجابته

تُعيِّروني داءً بأمّكَ مثلُهُ * وأيُّ جوادٍ لا يُقالُ لهُ هلا

وذكروا انها دخلت على عبد الملك بن مروان فقال لها، ياليلى هل بقي في قلبك من حب توبة فتى الفتيان شيء، قالت، وكيف أنساه وهو الذي يقول ياأمير المؤمنين

ولو أنَّ ليلى في ذُرى مُتمنِّعٍ * بنجرانَ لالتفّتْ عليَّ قصورُها
حمامةَ بطنِ الواديينِ ترنّمي * سقاكِ من الغُرِّ الغوادي مطيرُها
أبيني لنا لازالَ ريشُكِ ناعما (١) * ولا زلتِ في خضراءَ غصنٍ نضيرُها
تقولُ رجالٌ لا يضيرُكَ نأيُها * بلى كلُّ ماشفَّ النفوسَ يضيرُها

---

١) رواية أبي على القالى في أماليه ــ «ولازلت في خضراء غصن نضيرها»

أيذهبُ رَيعانُ الشبابِ ولم أزُرْ * كواعبَ فى همْدانَ بيضاً نحورُها

قال، عمرك الله ان تذكريه، ولتوبة فى ليلى الاخيلية

ولو أنّ ليلى الاخيليةِ سلّمتْ * عليَّ ودونى جندلٌ وصفائحُ
لسلّمتُ تسليمَ البشاشةِ أوزَقى * إليها صدىً من جانبِ القبر صائحُ
ولو أنّ ليلى فى السّماء لأصعدتْ * بطرفى إلى ليلى العيونُ اللوامحُ

فلما مات توبة مر زوج ليلى بليلى على قبره فقال، لها سلمى على توبة فانه زعم فى شعره انه يسلم عليك تسليم البشاشة، فقالت ماتريد الى من بليت عظامه، فقال، والله لتفعلن، فقالت وهى على البعير، سلام عليك يا توبة فتى الفتيان، وكانت قطاة مستظلة فى ثقب من ثقب القبر فلما سمعت الصوت طارت وصاحت فنفر البعير ورمى بليلى فماتت فدفنت الى جنب قبر توبة، قال وسأل الحجاج ليلى هل كان بينك و بين توبة ريبة قط. قالت لا والذى أسأله صلاحك الا انه مرة قال لى قولا ظننت انه خنع لبعض الامر. فقلت له

وذى حاجةٍ قلنا له لا تبُحْ بها * فليس اليها ما حييتَ سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغى أنْ نخونَهُ * وأنتَ لأخرى فارغٌ وخليلُ

فما كلمنى بعد ذلك بشيء حتى فرق بينى و بينه الموت قال الحجاج فما كان بعد ذلك قالت لم يلبث أن قال لصاحب له اذا أتيت الحاضر من بنى عباد فقل بأعلى صوتك

عفا اللهُ عنها هلْ أبيتنَّ ليلةً * منَ الدهرِ لا يسرى إليَّ خيالها

فلما سمعت الصوت خرجت فقلت

وعنهُ عفا ربى وأحسنَ حاله * تعزّ علينا حاجةٌ لا ينالها

قال ودخلت ليلى على الحجاج فأنشدته. قولها فيه

إذا نزلَ الحجّاجُ أرضاً سقيمةً * تتبّعَ أقصى دائها فشفاها
شفاها من الدّاءِ العضالِ الذى بها * غلامٌ إذا هزّ القناة ثناها
أحجّاجُ لا تُعطى العصاةَ مُناهمُ * ولا اللهُ يُعطى للعصاةِ مُناها

فوصلها الحجاج بالف دينار وقال لو قلت بدل غلام همام لكان أحسن. هند بنت عتبة أم معاوية بن ابى سفيان قيل لما قتل شيبة وعتبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة رثتهم هند. فقالت

إنى رأيتُ فساداً بعدَ إصلاحِ * فى عبد شمس فقلبى غيرُ مرتاحِ
هاجتْ لهمْ أدمعٌ تترَى ومنبعُها * من رأسِ محرُوبةٍ ما إنْ لها لاحى

لما تنادت بنو فهر على حنق * والموت بينهم ساع لازواح
كانها النسج فى قتلى مصرعة * سرج أضاءت على جدر وألواح
يا آل هاشم انا لا نصالحكم * حتى نرى الخيل تردى كل كفاح
إن يمكن الله يوما من هزيمتكم * يورث نساءكم داء بتقراح

فأجابتها عمرة بنت عبد الله بن رواحة الانصارى

يا هند مهلا لقد لاقيت مهيلة * يوم الاعنة والارواح فى الراح
أسد غطارفة غر جحاجحة * أبناء محصنة بيض لجحجاح
هنالك الفوز والرضوان إن صبروا * مع الرسول فما آبوا بتقباح
الله أهلكهم والاوس شاهدة * والخزرج الغر فيهم كل مجتاح
لا تبعدن فإنى غير صارخة * وكيف تصرخ ذات البعل ياصاح

﴿ النساء الماجنات ﴾

قال سليمان بن عبد الملك انشدونى أحسن ما سمعتم من شعر النساء فقال بعضهم ياأمير المؤمنين سار رجل من الظرفاء فى بعض طرقاته اذ أخذته السماء فوقف تحت مظلة ليستكن من المطر وجارية مشرفة عليه فلما رأته حذفته بحجر فرفع رأسه وقال

لو بتفاحة رميت رجونا * ومن الرمى بالحصاة جفاء

فاجابته

ما جهلنا الذى ذكرت من الشكل ولا بالذى تراه خفاء

ودابة معها فقالت

قد بدا آتيه ماذكرت وجدى * ليت شعرى فهل لهذا وفاء

وسائلة فى الباب فقالت

قد لعمرى دعوتها فأجابت * هى داء وأنت منه شفاء

قال سليمان قاتلها الله هى والله اشعرهم

لقد جد الفراق وعيل صبرى * عشية عيرهم للبين زمت

(عنان جارية الناطفى) قال السلولى دخلت يوما على عنان وعندها رجل اعرابى فقالت ياعم لقد أتى الله بك . قلت وماذاك قالت هذا الاعرابى دخل على فقال بلغنى انك تقول الشعر فقولى بيتا فقلت لها قولى فقالت قد ارتج على فقل انت فقلت

فقال الاعرابى

نظرتُ إلى أواخرِها صُحَيّا * وقد بانتْ وأرضَ الشامِ أُمّتْ

فقالت عنان

كتمتُ هواكُم فى الصدرِ منى * على أنّ الدموعَ علىّ نمّتْ

فقال الاعرابى أنت والله اشعرنا ولولا انك بحرمة رجل لقبلتك ولكنى أقبل البساط وقال بعضهم دخلت على عنان فاذا عليها قميص يكاد يقطر صبغه وقد تناولها سيدها بضرب شديد وهى تبكى فقلت

إنّ عِنانا أرسلتْ دمعَها * كالدُّرِّ إذ ينسلُّ مِن سِمْطِه

فقالت وأشارت الى مولاها

فليتَ مَن يضربُها ظالما * تجفُّ يُمناهُ على سوطِه

فقال مولاها هى حرة لوجه الله ان ضربتها ظالما أو غير ظالم. قال واجتمع أبو نواس والفضل الرقاشى والحسين الخليع وعمرو الوراق ومحكم بن رزين والحسين الخياط فى منزل عنان فتناشدوا الى وقت العصر فلما أرادوا الانصراف قالوا أين نحن الليلة فكل قال عندى فقالت عنان بالله قولوا شعرا وارضوا بالحكم. فقال الرقاشى

عذراءُ ذات احمرارٍ * إنى بها لا أحاشى

قوموا ندامى رَوّوا * مُشاشكم من مُشاشى

وناطحونى كؤوسا * نِطاحَ صُلبِ الكِباشِ

وإنْ تكلّتْ نخلٌ * لكمْ دمى ورياشى

فقال أبو نواس

لا بلْ إلىّ ثِقاتى * قوموا بنا بحياتى

قوموا نلذُّ جميعا * بقولِ هاكِ وهاتِ

فإن أردتمْ فتاةً * أتيتكمْ بفتاتى

وإنْ أردتمْ غلاما * صادفتمونى مُؤاتى

فبادِروهُ مُجُوناً * فى وقتِ كلّ صلاةِ

وقال الحسين الخليع

أنا الخليعُ فقوموا * إلى شرابِ الخليعِ

إلى شرابٍ لذيذٍ * وأكلِ جدىٍ رضيعِ

ونيكِ أحوى رخيم * بالخندريسِ صَريع
قوموا تنالوا وتشكوا * مثال مَلاكٍ رفيع

وقال الوراق

قوموا إلى بيتِ عمرٍو * إلى سماعٍ وخمرِ
وساقيات علينا * تطاعُ في كلّ أمرِ
وبنسرى رخيمٍ * تزهو بجيدٍ ونحرِ
فذاك برٌّ وإن شئتم أتينا بخرِ
هــذا ولبس عليكم * أولى ولا وقتُ عصر

وقال محكم بن رزين

قوموا إلى دارِ لهوٍ * وظلّ بيتٍ دنين
فيه من الوردِ والمرز * زنجوشِ والياسمين
وريحِ مسكٍ ذكيّ * وجيدِ الزرجون
قوموا فصيروا جميعاً * إلى الفتى ابنِ رزين

فقال الحسين الخياط

قضتْ عنانُ علينا * بأنْ نزورَ حسينا
وأنْ تقرّوا لديهِ * بالنصفِ واللهِ عينا
فما رأينا كظرفِ الـحسين فما رأينا
قد قرّبَ اللهُ منه * زيناً وباعدَ شينا
قوموا وقولوا أجزنا * ماقد قضيتِ علينا

وقالت عنان

مهلاً فديتكَ مهلا * عنانُ أحرى وأولى
بأنْ تنالوا لديها * أسنى النعيمِ وأحلى
فإنّ عندي حراما * من الشرابِ وحِلاّ
لاتطمعوا في سوائي * من البريةِ كلا
ياسادتي خبّروني * أجازَ حكميَ أم لا

فقالوا جميعاً : قد أجزنا حكمك وأقاموا عندها ، قال وكتبت عنان الى الفضل بن الربيع

كنْ لي هُديتَ إلى الخليفةِ سُلّماً * بُورِكْتَ يا ابنَ وزيرِهِ من سُلّمِ
حُثَّ الإمامَ على شراى وقل له * ريحانةٌ ذُخِرتْ لأنفكَ فاشمَمِ

وكانت عنان تتوقى أبا نواس وتخاف مجونه وسفهه ، وفيها يقول

عِنانُ يا منْ تشبهُ العِينا * أنتمْ على الحُبِّ تلومونا
حُسْنُكِ حُسنٌ لا يُرَى مثلُهُ * قدْ تركَ الناسَ مجانينا

فتهيأت لأبي نواس وتصنعت له الى أن صار اليها فرأى عندها بعض وجوه اهل بغداد فأحب أن يخجلها فقال لها

ما تأمرينَ لِصَبِّ * يكفيهِ منكِ قُطَيْرَهْ

فقالت

إيّايَ تعني بهذا * عليكَ فاجلدْ عُمَيْرَهْ

فقال

إني أخافُ ورَبّي * على يدي من عُشَيْرَهْ

فقالت

عليكَ أُمّكَ . . . * فإنها كندُ بيرَهْ

فأخجلته وشاع الخبر حتى بلغ الرشيد فاستظرفها وطلبها من الناطفي فحملت اليه فقال لها يا عنان ، قالت : لبيك يا سيدي ، فقال * ما تأمرين لصب *
قالت قد مضى الجواب في هذا يا أمير المؤمنين ، قال بحياتي كيف قلت ، قالت قلت

إيّايَ تعني بهذا * عليكَ فاجلدْ عميرة

فضحك الرشيد وطلبها من مولاها فاستام فيها مالا جزيلا فردها

﴿ عريب جارية المامون ﴾

وأنتم أناسٌ فيكمُ الغدرُ شيمةٌ * لكمْ أوجهٌ شتّى وألسنةٌ عشرُ
عجبتُ لقلبي كيف يصبُو اليكمُ * على عُظمِ ما يلقى وليسَ له صبرُ

﴿ فضل الشاعرة ﴾ حدثنا القاسم بن عبد الله الحراني قال كنت عند سعيد بن حميد الكاتب ذات يوم وقد اقتصد فأتته هدايا فضل الشاعرة الف جدي والف دجاجة والف طبق رياحين وطيب وعنبر وغير ذلك فلما وصل ذلك كتب اليها ان هذا يوم لا يتم سروره الا بك وبحضورك وكان من احسن الناس ضربا بالعود واملحهم صوتا واجودهم شعرا فاتته فضرب بينه وبينها حجاب واحضر قوما ندماءه ووضعت المائدة وجيء بالشراب فلما شربنا اقداحا اخذت عودها فغنت بهذا الشعر والصوت لها والشعر والابيات هذه

يا منْ أطلتُ تفرُّسي * في وجههِ وتنفُّسي
أفديكَ منْ متدلّلٍ * يزهو بقتلِ الانفُسِ

هبنى أسأت وما أسا * ت بلى أقول أنا المسى
أحلفتنى أن لا أسا * رق نظرة فى مجلسى
فنظرت نظرة عاشق * أتبعتها بتنفسى
ونسيت أنى قد حلفت * فما يقال لمن نسى

وضربت أيضاً وغنت

عاد الحبيب إلى الرضا * فصفحت عما قد مضى
من بعد ما لصدوده * شمت الحسود فمرضا
تعس البغيض فلم يزل * لصدودنا متعرضا
هبنى أسأت وما أسا * ت فإن أسأت لك الرضا

قال فما أتى على يوم أسر من ذلك اليوم

﴿ صاحبة الفرزدق ﴾ ذكروا أن الفرزدق كان مع أصحاب له فإذا هو بجارية مع مولاها فقال لأصحابه هل أخجل لكم هذه ، قالوا : نعم ، فقال

إن لى . . . خبيثا * لونه يحكى الكميتا
لو يرى فى السقف صدعا * لتحول عنكبوتا
أو يرى فى الأرض شقا * لنزا حتى يموتا

فقالت الجاريه

زوجوا هذا بألف * وأرى ذلك قوتا
قبل أن ينقلب الدا * ء فلا يأتى ويؤتى

فخجل الفرزدق وانصرف (١)

﴿ صاحبة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى ﴾ قالت

عزمت على قلبى بأن أكتم الهوى * فضج ونادى إننى غير عاقل
فإن حان موتى لم أدعك بغصتى * وأقررت قبل الموت أنك قاتلى

﴿ جارية البارقى ﴾ ذكروا أنها أنشدت فى مجلس عمرو بن مسعدة

يا أحسن العالم حتى متى * يرتفع الحب وأنحط
وكيف منجاى وبحر الهوى * مذ حف بى ليس له شط

(١) فى هامش الأصل . . قيل ان هذه الرواية جرت بين أبى نواس وعنان جارية الناطفى والأبيات تروى على غير هذا

فاجيت يُدرِكْكِ الوصلُ فتنجوبه * أوْ يَقعُ البحرُ فتنحطْ

﴿المغنية المليحة﴾ قال على بن الجهم : كنت فى مجلس محمد بن عمرو بن مسمدة فأقبلت جارية كانها البدر ليلة التمام بلون كانه الدر فى البياض مع احمرار خدين كشقائق النعمان فسلمت فقال لى محمد يا أبا الحسن هذه الجنة التى كنتم توعدون ، فقالت

وما الوعدُ يا سُؤلى وغاية مُنيتى * فإنّ فؤادى من مقالك طائرُ

فقال لها محمد

أما وإله العرشِ ماقلتُ سيئاً * وما كان إلاّ أننى لك شاكرُ

فقال ابن الجهم

أمسكْ فديتك عن عتاب محمدٍ * فهو المصونُ لودّهِ المُتحاذرُ

فأقبلت تحدثنا فاذا عقل كامل وجمال فاضل وحسن قاتل وردف مائل فقلت . لقد أقر الله عينا تراك ، فقالت : أقر الله اعينكم وزادكم سرورا وغبطة ثم اندفعت تغنى بنغمة لم أسمع أحسن منها

أروح بهمٍ من هواك مُبرحِ * أناجى به قلبا كثير التفكرِ

عليكَ سلامٌ لا زيارة بيننا * ولا وصل إلاّ أنْ يشاء ابن معْمَرِ

فما زلنا يومنا ذلك معها فى الفردوس الاعلى وماذكرتها بعد ذلك إلا اشتقت لها وأسفت عليها ، محمد بن حماد قال . كنا يوما عند اسحق بن يحيى وعنده جارية يقال لها شادن موصوفة بجودة ضرب العود وشجو صوت وحسن خلق وظرف مجلس وحلاوة وجه وأخذت العود وغنت

ظبيٌ تكامل فى نهاية حُسْنه * فزها ببهجته وتاه بصدّه

فالشمسُ تطلعُ من فرندِ جبينه * والبدرُ يغرقُ فى شقائق خدّه

مَلَكَ الجمالَ بأسرهِ فكأنما * حُسنُ البريّة كلّها من عنده

يارب هب لى وصلَهُ وبقاءَهُ * أبداً فلستُ بعائشٍ من بعده

فطارت عقولنا وذهلت البابنا من حسن غنائها وظرفها فقلت . ياسيدتى من هذا الذى تكامل فى الحسن والبهاء سرك ، فقالت

فإنْ بُحتُ نالتنى عيونٌ كثيرةٌ * وأضعفُ عن كتمانه حين أكتم

﴿ الاعرابيات ﴾

حدثنا ثعلب عن الفتح بن خاقان قال : لما خرج المتوكل الى دمشق كنت عديله فلما صرنا بقنسرين قطعت بنو سليم على التجار فانهى ذلك اليه فوجه قائداً من وجوه قواده اليهم فحاصرهم فلما قربنا من القوم اذا نحن بجارية ذات جمال وهيئة وهي تقول

أميرُ المؤمنينَ سَما الينا * سُمُوَّ البدرِ مالَ بهِ الغريفُ
فإنْ نَسلمْ فعفوَ اللهِ نرجو * وإنْ نُقتلْ فقاتِلُنا شريفُ

فقال لها المتوكل . أحسنت ، ماجزاؤها يافتح ، قلت العفو والصلة فأمر لها بعشرة آلاف درهم وقال لها . مري الى قومك وقولي لهم لا تردوا المال على التجار فاني أعوضهم عنه ، الاصمعي قال خرجت الى بادية فاذا أنا بخباء فيه امرأة فدنوت فسلمت فاذا هي أحسن الناس وجهاً وأعدلهم قامة وأفصحهم لساناً فحار فيها بصري واعترتني خجلة فقالت ، ما وقوفك ، فقلت

هلْ عندَكمْ من مَخيضِ اليومَ نشربُهُ * أمْ هلْ سبيلٌ إلى تقبيلِ عينيكِ
فلستُ أبغي سِوىُ عينيكِ منزلةً * أمْ هلْ تجُودي لنا عضاً بخدَّيكِ
أو تأذنينَ بريقٍ منكِ أرشُفهُ * أوْ لَمسِ بطنكِ أوْ تغميزِ ثديَيكِ
رُدّي الجوابَ على مَنْ زادهُ كلَفاً * تكريرُهُ الطرْفَ في أجدالِ ساقيكِ

فرفعت رأسها الي وقالت ، ياشيخ ألا تستحي أرجع الى اهلك وارغب في مثلك . وقال بعضهم رأيت أعرابية بالنباج فقلت لها . أتنشدين ، قالت نعم في مثلك ورب الكعبة ، قلت فأنشديني . فانشأت تقول

لا بارَكَ اللهُ فيمنْ كانَ يُخبرُني * أنَّ المُحبَّ إذا ماشاءَ ينصرِفُ
وَجدُ المُحبِّ إذا مابانَ صاحبهُ * وجدُ الصبيِّ بثدْيِ أمهِ الكلِفُ

قال قلت لها . أنشديني من قولك فقالت

بنفسي مَنْ هواهُ على التنائي * وَطولُ الدهرِ مُؤتنِقٌ جديدُ
ومنْ هو في الصلاةِ حديثُ نفسي * وعدْلُ الرُّوحِ عندي بلْ يزيدُ

فقلت لها ان هذا كلام من قد عشق . فقالت وهل يعرى من ذلك من له سمع وقلب ثم أنشدتني

ألا بأبي واللهِ مَنْ ليسَ نافعي * بشيءٍ ولا قلبي على الوجدِ شاكرُهْ
ومَنْ كبدي تهفو إذا ذُكرَ اسمهُ * بشيءٍ ومَن قلبي على النأيِ ذاكرُهْ
لهُ خفقانٌ يَرفعُ الجيبَ بالشَّجى * ويقطعُ أزرارَ الجُربّانِ ثائرُهْ

قال وكتب عمر بن أبي ربيعة الى امرأة بالمدينة

بَرَزَ البدرُ في جوارٍ تهادى * مُخطفاتِ الخصورِ مُعتجراتِ
فتنفستُ ثمّ قلتُ لبكرٍ * عجِّلتْ في الحياةِ لي حَيَّاتِ
هل سبيلٌ إلى التي لا أبالي * بعدَها أنْ أموتَ قبلَ وفاتي

فاجابته

قدْ أتانا الرسولُ بالابياتِ * في كتابٍ قدْ خطَّ بالتُرهاتِ
حائرُ الطرفِ إنْ نظرتَ وماطر * فلكَ عندي بصادقِ النظراتِ
غُرَّ غيري فقدْ عرفتُ لغيري * عهدَكَ الخائنَ القليلَ الثباتِ

﴿ المتكلمات ﴾

حدث عمر بن يزيد الاسدى قال، مررت بخرقاء صاحبة ذي الرمة فقلت لها هل حججت قط، قالت. أما علمت أني منسك من مناسك الحج ما منعك أن تسلم على أما سمعت قول عمك ذي الرمة

تمامُ الحجِّ أنْ تقفَ المطايا * على خرقاءَ واضعةَ اللثامِ

فقلت لها، لقد أترفك الدهر، قالت، أما سمعت قول العجيف العقيلي حيث يقول

وخرقاءُ لا تزدادُ إلا ملاحةً * ولو عُمّرتْ تعميرَ نوحٍ وجلّتِ

قال ورأيتها وان فيها المباشرة وان ديباجة وجهها الطرية كانها فتاة وانها التريد يومئذ على المائة ولقد حدثت انه شبب بها ذو الرمة وهي ابنة ثمانين سنة، وحدث رجل من بني أسد قال. أدركت ميا صاحبة ذي الرمة وكان الرجل أعور قال ورأيتها في نسوة من قومها فقلت أهذه مي وأومأت اليها فقلن نعم فقلت ما ادرى ما كان يعجب ذا الرمة منك وما أراك على ما كان يصف فتنفست الصعداء وقالت انه كان ينظر الى بعينين وأنت تنظر الى بعين واحدة وروى الاصمعي عن رجل من اهل الشام قال. قدمت المدينة فقصدت منزل ابن هرمة فاذا بنية له تلعب فقلت لها ما فعل أبوك، قالت وفد الى بعض الاخوان، قلت فانحرى لنا ناقة فانا أضيافك، قالت ياعماه والذي خلقك ماعند ناشيء، قلت فباطل ماقال أبوك، قالت فما قال، قلت قال

كم ناقةٍ قدْ وجأتُ منحرَها * لمستهلِّ الشؤبوبِ أوْ جملِ

قالت ياعماه فذلك القول من ابي أصارنا الى أن ليس عند ناشيء، قال وأنى زياد الاقطع باب الفرزدق وكان له صديقا فخرجت اليه ابنة الفرزدق وكانت تسمى مكية وأمها حبشية فقال لها ما اسمك قالت مكية قال ابنة من قالت ابنة الفرزدق قال فأمك قالت حبشية فأمسك عنها فقالت

مابال يدك مقطوعة قال قطعها الحروريةقالت بل قطعت فى اللصوصيةقال عليك وعلى أبيك لعنة الله . وجاء الفرزدق فاخبر بالخبرفقال أشهد انها ابنتى ، وأنشأ يقول

حام إذاما كنتَ ذا حَمية * بدارمىّ بنتُـهُ صَبيّه

صَمَخمَح مثل َ أبى مَكيّة

وحدث سليان بن عباس السعدى قالَ . كان كثيّر يلق حاج اهل المدينة بقديد على ست مراحل فعمل عامامن الاعوام غيريومهم الذى نزلوافيه فوقف حتى ارتفع النهارفركب جملا فى يوم صائف ووافى قديداً وقدكلّ بعيره وتعب فوجدهم قدارتحلوا وقدبقى فتى من قريش فقال الفتى لكثيّراجلس قال فجلس كثيرالى جنبي ولم يسلم على فجاءت امرأة وسيمة جميلة فجلست الى خيمةمن خيام قديدواستقبلت كثيراًفقالت أنت كثير ، قال نعم ، قالت أنت ابن أبى جمعة قال نعم ، قالت أنت الذى تقول

وكنتُ إذا ماجئتُ أجللنَ مجلسى * وأضمرْن منى هيبة لاتجهُّما

قال نعم قالت فعلى هذا الوجه هيبة ان كنت كاذبافعليك لعنة الله والملائكة والناس اجمعين قال فضجر كثير وقال ومن أنت فسكتت ولم تجبه بشئ فسأل الموالى التى فى الخيام عنها فلم يخبرنه فضجر واختلط عقله فلماسكن قالت أنت الذى تقول

متى تَنشُرا عنى العمامةَ تُبصِرا * جميلَ المُحَيَّا أغفلَتهُ الدّواهِنُ

أهذاالوجه جليل ان كان كاذبافعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فاختلط وقال لو عرفتك لفعلت وفعلت فلماسكن قالت له أنت الذى تقول

يرُوقُ العُيونَ الناظراتِ كأنه * هِرَقليُّ وَزنٍ أحمرُ التبر راجحُ

أهذا الوجه الذى يروق الناظرات ان كنت كاذبافعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، قال فازدادضجراً واختلط وقال لوعرفتك والله لقطعتك وقومك هجاء ثم قام فاتبعته طرفى حتى توارى عنى ثم نظرت الى المرأةفاذاهى قدغابت عنى فقلت لمولاة من بنات قديد لك الله علىّ ان اخبرتينى من هذه المرأةان اطوى لك ثوبىّ هذين اذاقضيت حجى ثم أعطيكهما فقالت والله لو أعطيتنى زنتهما ذهباًما أخبرتك من هى هذا كثيرمولاى لم اخبره قال القرشى فرحت وبى أشد مما بكثير ، قيل وقدم كثيرالكوفةوكان شيعياًمن أصحاب محمد بن الحنفية فقال دلونى على منزل قطام قيل له . وماتريدمنهاقال أريدان أوبخهافى قتل على بن أبى طالب صلوات الله عليه فقيل له عدعن رأيك فان عقلهاليس كعقول النساءقال لا والله لا انتهى حتى أنظر اليهاوا كلمهافخرج يسأل عن منزلهاحتى دفع اليهافاستأذن فأذنت له فرأى امرأةبرزةقدتحددت وقدحناالدهرمن قناتها

فقالت من الرجل قال كثير بن عبد الرحمن قالت التمي الخزاعي قال التمي الخزاعي . ثم قال لها انت قطام قالت نعم قال أنت صاحبة علي بن أبي طالب صلوات الله عليه قالت بل صاحبة عبد الرحمن بن ملجم قال أليس هو قتل علياً قالت بل مات باجله قال والله اني كنت احب ان اراك فلما رأيتك نبت عيني عنك ومزومقك قلبي ولا احلوليت في صدري قالت انت والله قصير القامة صغير الهامة ضعيف الدعامة كما قيل لان تسمع بالمعيدي خير من ان تراه فانشأ كثير يقول

رأت رجلاً أودى السفار بجسمه * فلم يبق إلا منطق وجناجن

قالت . لله درك ما عرفت الا بعزة تقصيراً بك قال . والله لقد سار لها شعري وطار بها ذكري وقرب من الخلفاء مجلسي وانها لكما قلت فيها

وإن خفيت كانت لعينيك قرة * وإن تبد يوماً لم يعمك عارها
من الخفرات البيض لم ترشقوة * وفي الحسب المحض الرفيع نجارها
فما روضة بالحزن طيبة الثرى * يمج الندى جنجاثها وعرارها
باطيب من فيها إذا جئت طارقا * وقداً وقدت بالمندل الرطب نارها

قالت : والله ما سمعت شعراً أضعف من شعرك هذا والله لو فعل هذا زنجية طاب ريحها الا قلت : كما قال امرؤ القيس

ألم تراني كلما جئت طارقا * وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

قال فلله در بلادك وخرج وهو يقول

الحق أبلج لا تزيغ سبيله * والحق يعرفه ذووا الالباب

قال ، وقال المسيب راوية كثير انطلق كثير مرة فقال لي هل لك في عكرمة ابن عبد الرحمن بن هشام وهو يومئذ على حنظلة بن عمرو بن تميم فقلت نعم قال فخرج جنائز بده حتى اذا اصدرنا عن المدينة اذا نحن بامرأة على راحلة تسير فسرت حذاءها فقالت اتروى لكثير شيأ قلت نعم قالت أنشدني فانشدتها من شعره فقالت أين هو قلت هو ذاك الذي يرنى على غير الطريق فقالت بعد أن دنت منه قاتل الله زوج عزة حيث يقول

لعمرك ما رب الرباب كثيرة * بنحل ولا آباؤه بفحول

فغضب كثير وسار وتركها ثم نزل منزلا فجاءت جارية لها تدعوه فابى كثير أن يأتيها فقلت ما رأيت مثلك قط امرأة مثل هذه ترسل اليك فتأبى عليه فلم أزل به حتى اتاها قال فسفرت عن وجهها فاذا هي اجمل الناس وأكملهم ظرفاً وعقلا واذا هي غاضرة ام ولد بشر بن مروان فصحبناها حتى كنا بزبالة فمالت بنا الطريق فقالت له هل لك ان تأتي الكوفة فاضمن لك على بشر

الصلة والجائزة فابى وامرت له بخمسة آلاف درهم ولى بالفين فلما اخذ نا الخمسة آلاف قال ما اصنع بعكرمة وقد اصبت ما ترى فذلك قوله حيث يقول

شَجا أظعانُ غاضرةَ الغوادى * بغير مشورةٍ عوضاً فؤادى

أغاضرَ لوْ رأيت غداة بنتمْ * حُنوّ العائدات على وِسادى

رَثيتِ لعاشقٍ لم تشكميه * جوانحه تلذّع بالزّنادِ

ـ الشكمة ـ العطية و ـ الزناد ـ جمع زند وهو عود يقدح منه النار قال الحكم ابن صخر الثقفى حججت فرأيت بأقرة امرأتين لم ار كجمالهما وظرفهما وثيابهما فلما حججت وصرنا باقرة اذا انا باحدى الجاريتين قد جاءت فسالت سؤال منكر فتات . فلانة قالت فداك ابى وامى رايتك عاما اول شابا سوقة والعام شيخا ملكا وفى وقت دون ذلك ما تنكر المرأة صاحبها فقلت ما فعلت اختك فتنفست الصعداء وقالت قدم علينا ابن عم لنا فتزوجها فخرج بها الى نجد فذاك حيث اقول

إذا ما قفلنا نحوَ نجدٍ وأهلِه * فحسبي من الدنيا القفولُ إلى نجدِ

فقلت اما انى لو ادركتها لتزوجتها قالت فداك ابى وامى فما يمنعك من شريكتها فى حسنها وشقيقتها فى حسبها قلت قول كثير

إذا وصلتنا خُلّةٌ كى تزيلنا * أبينا وقلنا الحاجبيّةُ أوّلُ

قالت : وكثير بينى وبينك أليس هو الذى يقول

هلْ وصلُ عزّةَ إلا وصلُ غانيةٍ * فى وصلِ غانيةٍ منْ وصلها خلفُ

قال فتركت جوابها ولم تمنى منه الا الى

﴿ محاسن النساء ﴾

قيل ، أحسن النساء الرقيقة البشرة النقية اللون يضرب لونها بالغداة الى الحمرة و بالعشى الى الصفرة ، وقالت العرب المرأة الحسناء أرق ما تكون محاسن صبيحة عرسها وأيام نفاسها وفى البطن الثانى من حملها ، وقيل لاعرابى أتحسن صفة النساء، قال نعم اذا عذب ثناياها وسهل خداها ونهد ثدياها وفعم ساعداها والتف فخذاها وعرض وركاها وجدل ساقاها فتلك هم النفس ومناها و وصف اعرابى امرأة . فقال : كان وجهها السقم لمن رآها والبرء لمن ناجاها . وذكر اعرابى امرأة فقال أرسل الحسن الى خدها صفائح نور و رشق السحر عن لحظها بأسهم حداد ولقد تأملت فوجدت للبدر نورا من بعض نورها . وذكر اعرابى امرأة فقال هى شمس تباهى بها شمس سمائها وليس لى شفيع اليها غيرها فى اقتضائها ولكنى كتوم لفيض النفس عند امتلائها . وذكر اعرابى امرأة فقال ما احسن من حبها نعاسا ولا انظر اليها الا اختلاسها وكل امرئ منهاري

ما أحب وذكر اعرابي امرأة فقال لها جلد من لؤلؤ رطب مع رائحة المسك الازفر في كل عضو منها شمس طالعة ومما جاء في الحسن من الشعر . قال عبد الله بن المعتز انشدني ابو سهل اسماعيل بن علي لابي الصواعق

ومريض طرف ليس يصرف طرفه * نحو المدى إلا رماه بحتفه
ظبي له نظر ضعيف كلما * قصد القوي أتى عليه بضعفه
قد قلت لما مر يخطر مائسا * والردف يجذب خصره من خلفه
يامن يسلم خصره من ردفه * سلم فؤاد محبه من طرفه

فقلت في هذا المعنى وعلى هذا الوزن

وحياة من جرح الفؤاد بطرفه * لاحبرن قصائدي في وصفه
قمر به قمر السماء متيم * كالغصن يعجب نصفه من نصفه
إني عجبت لخصره من ضعفه * ماذا تحمل من ثقالة ردفه
هذا وما أدري بأية فتنة * جرح الفؤاد بلطفه أم طرفه
أم بالدلال أم الجمال أم الضيا * من وجهه أم بالقفا من خلفه

وأنشد أبو الحسين بن فهم لابي نواس

كفاك ما مر على راسي * من شادن قطع أنفاسي
أكثر ما أبلغ في وصفه * تحيري من قلبه القاسي
أغار أن أنعت منه الذي * ينعته الناس من الناس
ولم أر العشاق قبلي رأوا * بوصف من يهوون من باس
كل أحاديثي نعت له * منكشف مني لجلاسي

فقلت في هذا المعنى وهذا الروي والوزن

لو عشر ما مر على راسي * مر بصلد حجر قاسي
لانصدعت منه صدوع كما * صدع قلبي طول وسواسي
ياغصن آس ومحال إذا * قصرت تشبيهك بالآس
ماذا على طرفك لو أنه * أعار لحظاً منه قرطاسي
ليتك عللت بمطل ولم * تقطع رجائي منك بالياس

وقال آخر

وزائرة يحثها الشوق طارقة * أتتنا من الفردوس لاشك آبقه
اذا ماتثنت قال للرمح قدها * كذا حركى الاغصان ان كنت صادقه

وقال آخر

قد أقبل البدر فى قراطقه * يسلب بالدل قلب عاشقه
يسطوا عليه بسيف مقلته * لا بالذى شد فى مناطقه

وقال آخر

قل للملاح الحدق * وللحسان الخلق
هل فى فؤادى للقوى * أو جسدى شى بقى
ان لم تروّوا عطشى * بخلا فبلوا رمقى
يا مقلة أجفانها * محشوة بالارق
بقيت فى رق الهوى * شقية فيمن شقى

وقال آخر

ياملاح الدلال والاغتناج * ما أرى القلب من هواك بناجى
أنت زرفنت فوق خديك صدغا * من عبير على صفائح عاج
أشرقت وجنتاك بالنور حتى * أغنتا الخلق عن ضياء السراج
فعلت مقلتاك بالقلب منى * فعلة القرمطى بالحجاج
ياهلالا انست منه بضوء * جنح ليل من الظلام الداجى

وقال آخر

نشرت غدائر فرعها لتظلنى * حذر العيون من العيون الرمق
فكأنها وكأنه وكأننى * صبحان باتا تحت ليل مطبق

وقال آخر

يا غزالا وهلالا * وقضيبا وكثيبا
كم وكم أضمر وجدا * بك مكتوما عجيبا
كيف يرجى برء من قد * كتم الداء الطبيبا

وقال آخر

شمسٌ ممثلةٌ فى خلق جاريةٍ * كانما بطنها طىّ الطوامير
فالجسمُ من جوهرٍ والشعرُ من سبجٍ * والثغرُ من لؤلؤ والوجهُ من عاج
وقال آخر
تتيهُ دلالٍ حارَ فى حسنه الطرفُ * ففكرتُه قبرٌ ومنطقهُ لطفُ
بديعُ جمالٍ زانهُ العقلُ والظرفُ * سماوىٌّ لونٍ لا يحيطُ به وصفُ
لهُ ريقةٌ عُلّت بماء قرنفلٍ * يمازجها التفاحُ والخمرةُ الصرفُ
تجسّم فى جسمٍ من النور ساطعٍ * تمكّن فى دعصٍ ينوءُ به ردفُ
على صحنِ خدّيه بهارٌ منوّرٌ * وورد جنىٌّ لا يليقُ به القطف
تكامل فيه الحسنُ والنورُ والبها * كبدر الدجى إذ تمّ من شهره النصف
يراهُ إلهى لى عذاباً وفتنةً * فما عنده عذلٌ ولا عنده عطفُ
وقال آخر
لكَ من قلبى المكانُ المصونُ * كلُّ لومٍ على فيكَ يهونُ
قدّر اللهُ أن أكونَ شجيّاً * بكَ والصبرُ عنكَ مالا يكونُ
يا غزالاً بلحظه يفتن النا * سَ وفى طرفه الردى والمنونُ
لكَ صبرٌ وليس لى عنكَ صبرٌ * فانا اليومَ هائمٌ محزونُ
قد خلعتُ العذارَ فيكَ حبيبى * ما أُبالى بما رمتنى الظنونُ
وقال آخر
يا نظرةً جاءت على ياسٍ * من ساحرِ المقلةِ ميّاسِ
أطرافُه تعقدُ من لينها * وقلبُهُ كالحجرِ القاسى
يلومنى الناسُ على حبه * أعاننى اللهُ على الناسِ
وقال آخر
يا ويحَ جسمٍ يذوبُ من قلقه * من حبِّ من لم أقفْ على خُلقهِ
من حُبِّ ظبى مهفهفٍ لبقٍ * يهتز مثلَ القضيبِ فى ورقه
لم ترَ عينى ولن ترى أبداً * أحسنَ من نحره ومن عنقهِ
كانما المسكُ حينَ تسحقهُ * بماء وردٍ يفوحُ من عرقه
أو خمرةٌ فى الزجاجِ صافيةٌ * شيبت بماءِ السحاب فى نسقه

وقال آخر

أربعةٌ قرّحتْ فؤادي * فطال وجدي وعيل صبري
مُقلةُ خشفٍ وقدُّ غصنٍ * وطيبُ وردٍ وحُسنُ بدرٍ
نفسي ومالي فداهُ ظبي * أذابَ جسمي وليسَ يدري
فمنْ لصبٍ أسيرِ شوقٍ * قتيلِ صدٍّ بسيفِ هجرِ

وقال آخر

وما ريحُ ريحان بمسك وعنبرٍ * يُعلُّ بكافور ودهنةِ بانِ
باطيبَ منْ ريا حبيبي لوَ اتّنى * وجدتُ حبيبي خالياً بمكان

﴿ محاسن التزويج ﴾

روى أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال . يارسول الله انى اريد أن اتزوج فادع الله ان يرزقنى زوجة صالحة . فقال . لودعالك جبريل وميكائيل وأنا معهما ماتزوجت الا المرأة التى كتب الله لك فانه ينادى فى السماء الا ان امراة فلان بن فلان فلانة بنت فلانة . وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالابكار فانهن اطيب افواها وانتق ارحاماً . وقال عمر رضى الله عنه عليكم بالابكار واستعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر .

قال الشاعر

لا تنكحنَّ عجوزاً إنْ دُعيتَ لها * وإنْ حبيتَ على تزويجها الذهبا
فإنْ أتوكَ وقالوا انها نصفٌ * فإنَّ أطيبَ نصفيها الذى ذهبا

وقال آخر

عليك اذا ما كنتَ لابدَّ ناكحاً * ذواتُ الثنايا الغرِّ والاعين النُّجلِ
وكلُّ هضيم الكشحِ خفاقةِ الحشا * قطوف الخُطا بلهاءَ وافرةَ العقل

وقال الحارث بن كلدة لا تنكحوا من النساء الا الشابة ولا تأكلوا من الحيوان الا الفتى ولا من الفاكهة الا النضيج ، وقال مغيرة بن شعبة حصنت تسعا وتسعين امرأة ما أمسكت واحدة منهن على حب ولكنى أحفظها لمنصبها و ولدها فكنت استرضيهن بالباه شابا فلما ان شبت وضعفت عن الحركة استرضيتهن بالعطية ، وقال بعضهم لذة المرأة على قدر شهوتها وغيرتها على قدر لذتها ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . انه قال انما النساء لعب فاذا تزوج أحدكم فليستحسن وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال . تزوجها سمراء ذلفاء عيناء فان فركتها فعلى

صداقها وقال الحجاج بن يوسف من تزوج قصيرة فلم يجدها على ما يريد فعلى صداقها ، و روى عن على صلوات الله عليه ان رجلا أتاه فقال انى تزوجت امرأة مجنونة فقالت المرأة يا أمير المؤمنين انه ياخذنى عند الجماع غشية ، فقال للرجل قم ما أنت لها باهل . وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . إياكم وخضراء الدمن وهى المرأة الحسناء فى المنبت السوء وقال بعضهم لا تتزوجن حنانة ولا أنانة ولا منانة ولا عُشبة الدار ولا كية القفا - فاما الحنانة - فالتى قد تزوجها رجل من قبل فهى تحن اليه - والأنانة - التى تأن من غير علة - والمنانة - التى لها مال تمن به - وعشبة الدار - الحسناء فى أصل السوء - وكية القفا - التى اذا قام زوجها من المجلس قال الناس فعلت امرأة هذا كذا وفعلت كذا ، وقال محمد بن على رضى الله عنهما اللهم ارزقنى امرأة تسرنى اذا نظرت وتطيعنى اذا أمرت وتحفظنى اذا غبت ، و روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ، اذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه ان ينظر اليها وان كانت لا تعلم ، وقال بعض الشعراء فى تزويج الشبه

إذا أردتَ حُرَّةً تبغيها * كريمة فانظرْ إلى أخيها
يُنبيك عنها وإلى أبيها * فإنَّ أشباهَ أبيها فيها

وقال آخر

إذا كنتَ مُرتاداً لنفسكَ أيِّماً * لتنجلكَ فانظرْ من أبوها وخالُها
فإنهما منها كما هيَ منهما * كما النعلُ إنْ قيستْ بنعلٍ مِثالها

وقال آخر

إذا كنتَ عنْ عينِ الصَّبيةِ باحثاً * فابصِرْ ترى عين الصبيّ فذالكا

قال خالد بن صفوان لدلال . أطلب لى امرأة بكرا أو ثيبا كبكر حصانا عند جارها ماجنة عند زوجها قد أدبها الغنى وذللها الفقر لا ضرعة صغيرة ولا عجوزا كبيرة قد عاشت فى نعمة وأدركتها حاجة لها عقل وافر وخلق طاهر و جمال ظاهر صلتة الجبين سهلة العرنين سوداء المقلتين خدلجة الساقين لفاء الفخذين نبيلة المقعد كريمة المحتد رخيمة المنطق لم يداخلها صلف ولم يشن وجهها كلف ريحها أرج ووجهها بهج لينة الاطراف ثقيلة الارداف لونها كالرق وثديها كالحق أعلاها عسيب وأسفلها كثيب لها بطن مخطف وخصر مرهف وجيد أتلع ولب مشبع تنثنى ثنى الخيزران وتميل ميل السكران حسنة المآق فى حسن البُراق لا الطول ازرى بها ولا القصر ، قال الدلال : استفتح أبواب الجنان فانك سوف تراها ، وقال أيضا . لا تتزوج واحدة فتحيض اذا حاضت وتنفس اذا نفست وتعود اذا عادت وتمرض اذا مرضت ولا تتزوج اثنتين فتقع فيما

بين الجمرتين ولا تزوج ثلاثا فتقع بين اثافى ولا تزوج أربعا فيحترنك ويهرمنك ويفلسنك ،
فقال له رجل ، حرمت ما أحل الله ، فقال ، طمران وكوزان ورغيفان وعبادة الرحمن ، وعن
صالح بن حسان قال ، رأيت امرأة بالمدينة يقال لها حواء وهي التى علمت نساء المدينة النغم وهو
النخر والحركة والغربلة والزهز وكانت لها سقيفة تحدث النهار جالات قريش ولم يكن فى
المدينة أهل بيت الا ونأخذ صبيانهم وتعصمهم ثديها أوثدى احدى بناتها فكان أهل المدينة
يسمونها حواء ولم يكن بالمدينة شريف ممن يجلس فى سقيفتها الا واوصل اليها فى السنة ثلاثين
وسقا وأكثر من طعام وتمر مع الدنانير والدراهم والخدم والكساء فجاءها ذات يوم مصعب بن
الزبير وعمرو بن سعيد بن العاص وابن لعبد الرحمن بن أبى بكر فقالوا لها يا خالة قد خطبنا نساء من
قريش ولسنا نتنفع الا بنظرك اليهن فارشدينا بفضل علمك فيهن فقالت لمصعب يا ابن أبى عبد
الله ومن خطبت قال عائشة بنت طلحة قالت فأنت يا ابن الصديق قال ام القاسم بنت زكرياء ابن
طلحة قالت فأنت يا ابن ابى احيحة قال زينب بنت عمرو بن عثمان فقالت يا جارية على بنعلى
- تعنى خفيها - فانتهاهما فخرجت ومعها خادم لها فأتت عائشة بنت طلحة فقالت مرحبا بك
يا خالة فقالت يا بنية انا كنا فى مادبة لقريش فلم تبق امرأة لها جمال الا ذكرت وذكر جمالك
فلم أدر كيف أصفك فتجردى لا نظرك فالقت درعها ثم مشت فارتج كل شئ منها ثم أقبلت على
مثل ذلك فقالت فداك ابى وامى خذى ثوبك وانتهن جميعا على مثل ذلك ثم رجعت الى السقيفة
فقالت يا ابن ابى عبد الله ما رأيت مثل عائشة بنت طلحة قط ممتلئة الترائب زجاء العينين هدبة
الاشفار مخطوطة المتنين ضخمة العجيزة لفاء الفخذين ممرولة الساقين واضحة الثغر نقية الوجه
فرعاء الشعر الاانى رأيت خلتين هما أعيب ما رأيت فيها اما احداهما فيوار بها الخف وهى عظم
القدم والاخرى يوار بها الخمار وهى عظم الاذن وأما أنت يا ابن أحيحة فما رأيت مثل زينب
بنت عمرو وقراهة قط الا ان فى الوجه ردة ولكنى مشيرة عليك بأمر تستأنس اليه وهى ملاحة
تعتريها وأما أنت يا ابن الصديق فوالله ما رأيت مثل ام القاسم ما شبهتها الا بخوط بانة تنثنى
أو خشف يتقلب على رمل ولم أرها الا فوق الرجل واذا زادت على الرجل المرأة لم تحسن لا والله
الا من علا المنكبين فتزوجهن وقال اعرابى فى أخت له تزوجت بغير كفؤ

ولو رَكِبَتْ ما حرّم اللهُ لم يكن ✻ بأقبحَ عندَ اللهِ مما استحلّتِ

قال . وكان بالمدينة رجل قد أعطى جودة الرأى ولم يكن فيها من يريد ابرام أمر الا شاوره
فأراد رجل من قريش أن يتزوج فأتاه فقال انا أريد أن أضم الى أهلا فاشر على قال افعل تحصن
دينك وتصن مؤونتك وإياك والجمال البارع قال ولم نهيتنى وانما هو نهاية ما يطلب الناس قال
لانه ما فاق الجمال الا لحقه قول أما سمعت قول الشاعر

ولن تصادف مرعى مؤنقاً أبداً * إلا وجدت به آثار ما كول

قيل وكانت جارية من بنات الملوك تكره التزويج فاجتمع عندها نسوة فتذاكرن التزويج وقلن لها ما يمنعك منه قالت وما فيه من الخير. قلن وهل لذة العيش الا في التزويج. قالت فلتصف كل واحدة منكن ماعندها فيه من الخير حتى أسمع. فقالت احداهن زوجي عوني في الشدائد وهو عائدي دون كل عائد ان غضبت عطف وان مرضت لطف. قالت نعم الشيء هذا. قالت الاخرى زوجي لما عناني كاف ولما أسقمني شاف عرقه المسك المداف وعناقه كالخلد ولا يمل طول العهد. قالت هذا خير منه. قالت الاخرى زوجي الشعار حين أبرد وأنيسي حين أفرد. فتزوجت فقلن لها. يافلانة كيف رأيت. قالت. أنعم النعم وسرور لا يوصف ولذة ليس منها خلف

﴿ أمثال في التزويج ﴾

قيل أن أول من قال «لا هنك أنقيت ولا ماءك أبقيت» الضب بن أروى الكلاعي وذاك انه خرج من أرضه فلما سار أياما حار في تلك المفاوز التي تعسفها وتخلف عن أصحابه وبقي فردا يعسف فيها ثلاثة أيام حتى دفع الى قوم لا يدري من هم فنزل عليهم وحدثهم وكان جميلا وان امرأة من أفاضل أولئك دعويته فارسلت اليه أن أخطبني فخطبها وكانوا لا يزوجون الا شاعراً أو رجلا يزجر الطير أو يعرف عيون الماء فسألوه فلم يحسن شيئا من ذلك فلم يزوجوه فلما رأت المرأة ذلك زوجته نفسها على كره من قومها فلبث فيهم ماليث ثم ان رجلا من العرب أغار عليهم في خيل فاستأصلهم فتطير بالضب وأخرجوه وامرأته وهي طامث فانطلقا واحتمل ضب شيئا من ماء ومشيا يوما وليلة الى الغد حتى اشتد الحر وأصابهما عطش شديد فقالت له ادفع الى السقاء حتى اغتسل به فانا نتهي الى الماء ونستقي فاغتسلت بما في السقاء ولم يبق منها موضعا وأتيا العين فوجداها ناضبة وأدركهما العطش فقال ضب. لا هنك أنقيت ولا ماءك أبقيت. فذهبت مثلا ثم استظلا تحت شجرة كبيرة: فانشأ ضب يقول

تالله ما ظلة أصاب بها * سواد قلبي فارغ العطب
ظل كئيب الفؤاد مضطربا * وتكتسي من غدائر قلب
أن يعرف الماء تحت صم صفا * أو يخبر الناس منطق الخطب
أخرجني قومها بأن رحا * دارت بشؤم لهم على قطب

فلما سمعت ذلك فرحت وقالت قم فارجع الى قومي فانك شاعر فانطلقا راجعين حتى انتهيا اليهم فاستقبلوهم بالسيف والعصا فقال لهم ضب اسمعوا شعري ثم ان بدا لكم أن تقتلوني بعد

فافعلوا فتركوه فصار فيهم عزيزا ، وقيل ان أول من قال * فى الصيف ضيعت اللبن * فتول بنت عبد وكانت تحت رجل من قومها فطلقها وانها رغبت فى أن يراجعها فابى عليها فلما يئست خطبها رجل يقال له عامر بن شوذب فتزوجها فلما بنى بها بدا للزوج الاول مراجعتها وهوى بها هوى شديدا أخباء بطانتها و برنو ينظر اليها ففطنت به فقالت

أتركتني حتى إذا * عُلِّقتُ أبيضَ كالشَّطَنْ
انشأتَ تطلُبُ وصلنا * فى الصَّيفِ ضيَّعتَ اللبنْ

فذهبت مثلا فقال لها زوجها الاول واسمه الاشق فهل بقى شئ قالت نعم فاصله عن جميع مالك وطلاقى فان فصلته تزوجتك فرضى بذلك ثم راجع نفسه فقال لها ذلك فقالت أما اذا ضننت بمالك فانطلق الى مكان اذا أنت تكلمت سمع زوجى كلامى وكلامك ثم اقعد كانك لا تشعر به وقل

لحا اللهُ بنتَ العبدِ إنَّ وصالها * وصالٌ ملولٍ لا تدومُ على بعلِ
تحدثني أنْ سوفَ تقتلُ عامرا * لان لم يكن فى مالهِ عامرٌ مثلى
فهيهاتَ تزوجُ التى تقتلُ الفتى * إذا ما أبت يوماً وإن كان من أجلى
فتقتلني يوماً إذا هويتْ فتىً * سواى وانَّ اليومَ من وصلها يجلى

فانطلق الاشق ففعل ما أمرته به فسمعه عامر فوقع فى قلبه قوله وقد كان عرف حبها له فصدق ذلك ودخل عليها فطلقها وتزوجها الاشق ، وذكروا أن بطنا من قريش اشتدت عليهم السنة وكانت فيهم جارية يقال لها زينب من أكمل نسائهم جمالا وأتمهن تماما وأشرفت فرآها شاب يقال له عروة فوقعت فى قلبه فجعل يطالعها ولا يقدر على أكثر من ذلك فاشتد وجده بها فلما انقضت السنة وأرادوا الرجوع الى منازلهم دعا بعض جوارى الحى فقال يا ابنة الكرام هل لك فى يد تتخذين بها عندى شكرا قالت ما أحوجنى الى ذلك ، قال تنطلقين الى خيمة فلانة كانك تقتبسين نارا فاذا أنت جلست فقولى حيث تسمع زينب

ألا هلْ لنا قبلَ التفرقِ ليلةٌ * ويومٌ فتقضى كلَّ نفسٍ مُناها

فانطلقت الجارية ففعلت ذلك فلما سمعت زينب قولها وكانت تفلى رأس زوجها وكان عنده أخ له . فقالت مجيبة لها

لعمرى لقد طالَ المقامةُ هاهُنا * لو انَّ لحبٍّ حاجةٌ لقضاها

فسمع أخو الزوج قول الجارية وجواب زينب فقال

ألا يعلمُ الزَّوجُ المفلّى بأنها * رسالةُ مشغوفِ الفؤاد رجاها

فانتبه الزوج لامرهم وعرف ما أرادت فقال

لَحى اللهُ مَنْ لا يستقيمُ بودّه * ومن يمنحُ النفسَ اطّروبَ هواها

انطلقي يا زينب فانت طالق فخرجت من عنده وبعثت الى عروة فأعلمته وأقامت حتى انقضت عدتها ثم تزوجته

— في الناشزة —

ذكروا أن الاخطل كانت عنده امرأة وكان بها معجبا فطلقها وتزوج بمطلقة رجل من بني تغلب وكانت بالتغلبي معجبة فبيناهي ذات يوم جالسة مع الاخطل اذ ذكرت زوجها الاول فتنفست الصعداء ثم ذرفت دموعها فعرف الاخطل ما بها فذكر امرأته الاولى وأنشأ يقول

كِلانا على وَجْدٍ يبيتُ كأنما * بجنبيهِ من مسِّ الفراشِ قُرُوحُ

على زوْجها الماضي تنوحُ وزوْجها * على الطّلّقةِ الاولى كذاك ينوحُ

قيل، وخاصمت امرأة زوجها الى زياد فجعلت تعيبه وتقع فيه، فقال الزوج. أصلح الله الامير ان شر المرأة كبرها ان المرأة اذا كبرت عقم رحمها وبذ ألسانها وساء خلقها والرجل اذا كبر استحكم رأيه وقل جهله، قال صدقت وحكم له بها، وذكروا أن امرأة أتت عبيد الله بن زياد وكانت ذات شحم وجسم وجمال مستعدية على زوجها وكان أسود دميم الخلقة فقال. ما بال هذه المرأة تشكوك، قال أصلح الله الامير سلها عما ترى من جسمها وشحمها أمن طعامي أم من طعام غيري، قالت من طعامك أفتمن عليّ بطعام أطعمتنيه والكلاب تأكل. قال سلها عن كسوتها من مالي هي أم من مال غيري. قالت من مالك أفتمن عليّ بثوب كسوتنيه قال وسلها عما في بطنها مني هو أم من غيري. قالت منك ووددت أنه في بطني من كلب. قال الرجل أصلح الله الامير فما تريد المرأة الا أن تطعم وتكسى وتنكح. قال صدقت فخذ بيدها. قال خرج رجل مع قتيبة بن مسلم الى خراسان وخلف امرأة يقال لها هند من أجمل نساء زمانها فلبث هناك سنين فاشترى جارية اسمها جمانة وكانت له فرس يسميه الورد فوقعت الجارية منه موقعا فانشأ يقول

ألا لا أبالي اليومَ ما فعلتْ هندُ * إذا بقيتْ عندي الجُمانةُ والوردْ

شديدٌ مَناطُ القُصْرَيينِ إذا جرى * وبيضاءُ مثلُ الرئمِ زيّنها العِقدُ

فهذا لأيّامِ الهياجِ وهذهِ * لحاجةِ نفسي حينَ ينصرفُ الجُندُ

فبلغ ذلك هند فكتبت اليه

ألا أقرهْ مني السلامَ وقلْ لهُ * غُنينا بفتيانٍ غطارفةٍ مُردِ

فهذا أميرُ المؤمنين أميرُهمْ * سباناوأغنا كمْ أراذلةَ الجُندِ
إذاشاء منهمْ ناشئٌ مدَّ كفَّهُ * إلى كبدٍ ملساء أوكفل نهدِ

فلما قرأ كتابها أتى به الى قتيبة فأعطاه اياه فقال له أبعدك الله هكذا يفعل بالحرة وأذن له فى الانصراف . قال وسمع عمر بن الخطاب امرأة تنشد وتقول

فمنهنّ من تسقى بعذبٍ مبرّدٍ * نقاخٍ فتلكمْ عند ذلك قرّتِ
ومنهنّ من تُسقى بأخضرَ آجنٍ * أُجاجٍ فلولا خشيةُ الله فرّتِ

فامر باحضار زوجها فوجده متغير الفم فخيره جارية من المغنم أو خمسمائة درهم على طلاقها فاختار الخمسمائة فدفعت اليه وخلى سبيلها . وحكى عن الفضل بن الربيع أنه كان بمكة ومعه الفرج الرُخجي وكان الفضل صبيحا أظرف وا والفرج دميما قبيحا فخرجا الى الطواف ثم انصرفا الى بعض طرقات مكة وقعدا يتغديان فبينما هما كذلك على طعامهما اذ وقفت عليهما امرأة جميلة بهيئة حسنة شكلة وعليها برقع فرفعته عن وجهها فاذا وجه كالدينار وذراع كالجمار فسلمت وقعدت وجعلت تأكل معهما قال الفضل فاعجبنى ما رأيت من جمالها وهيئتها . فقلت هل لك من بعل . قالت لا قلت فهل لك فى بعل من أصحاب أمير المؤمنين حسن الخلق والخلق قالت وأين هو . فاشار الى فرج فقالت . جوابك عند فراغنا فلما أكلت قالت للفضل تقرأ شيئاً من كتاب الله قال نعم قالت أفتؤمن به قال نعم قالت فان الله يقول (ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً) فضحك الفضل ودخل على الرشيد فأخبره فامر باحضارها فلما نظر اليها أعجب بها فتزوجها وحملها الى مدينة السلام . قال وحج اسماعيل بن طريح فوقفت عليه اعرابية جميلة قال فقال لها . هل لك أن تزوجيني نفسك . فقالت من غير توقف

بكى الحسبُ الزّاكى بعين غزيرةٍ * من الحسبِ المنقوصِ أن يجمعامعا

وانصرفت . قال العتبي كنت كثير التزوج فمررت بامرأة فاعجبتنى فارسلت اليها ألك زوج قالت لا فصرت اليها فوصفت لها نفسى وعرفتها موضعى فقالت . حسبك قد عرفناك . فقلت لها زوجيني نفسك فقالت نعم ولكن ها هنا شيء تحمله قلت وما هو قالت بياض فى مفرق رأسى . قال فانصرفت فصاحت بى أرجع فرجعت اليها فاسفرت عن رأسها فنظرت الى وجه حسن وشعر أسود فقالت . انا كرهنا منك عافاك الله ما كرهت منا . وأنشدت

أرى شيبَ الرجالِ من الغوانى * بموضعِ شيبهنّ من الرّجالِ

وعن عطاء بن مصعب قال . جاءت امرأة الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالت . ياأمير المؤمنين لا أنا ولا زوجى فقال لها . ومالك من زوجك قالت . مر باحضاره فاحضر فاذا

رجل قذر الثياب قد طال شعر جسده وأنفه ورأسه فأمر عمر أن يؤخذ من شعره ويدخل الحمام ويكسى ثوبين أبيضين ثم يؤتى به ففعل به ذلك ودعا المرأة فلما رأت الزوج قالت الآن فقال لها عمر اتقي الله وأطيعي زوجك . قالت افعل يا أمير المؤمنين فلما ولت قال عمر تصنعوا للنساء فانهن يحببن منكم ما تحبون منهن . ويقال أن المرأة تحب أربعين سنة وتقوى على كتمان ذلك وتبغض يوما واحداً فيظهر ذلك بوجهها ولسانها والرجل يبغض أربعين سنة فيقوى على كتمان ذلك وان أحب يوما واحدا اشهدت جوارحه

﴿ نساء الخلفاء ﴾

علي بن محمد بن سليمان قال : أبي يقول كان المنصور شرط لام موسى الحميرية أن لا يتزوج عليها ولا يتسرى وكتبت عليه بذلك كتابا أكدته وأشهدت عليه بذلك فبقي مدة عشر سنين في سلطانه يكتب الى الفقيه بعد الفقيه من أهل الحجاز وأهل العراق ويجهد أن يفتيه واحد منهم في التزويج وابتياع السراري فكانت أم موسى اذا علمت مكانه بادرته وأرسلت اليه بمال فاذا عرض عليه أبو جعفر الكتب لم يفته حتى ماتت بعد عشر سنين من سلطانه ببغداد فأتته وفاتها وهو بحلوان فأهديت اليه مائة بكر وكان المنصور أقطع أم موسى الضيعة المسماة بالرحبة فوقفتها قبل موتها على المولدات الاناث دون الذكور فهي وقف عليهن الى هذا الوقت .

حدثنا يحيي بن الحسن عن محمد بن هشام قاضي مكة قال كانت الخيزران لرجل من ثقيف فقالت لمولاها اتق أني رأيت رؤيا . قال وما هي قالت رأيت كان القمر خرج من قبلي وكان الشمس خرجت من دبري . قال لست من جواري مثلى أنت تلدين خليفتين فقدم بها مكة فباعها في الرقيق فاشتريت وعرضت على المنصور فقال من أين أنت قالت المولد مكة والمنشأ بجرش قال فلك أحد قالت مالي أحد إلا الله وما ولدت أمي غيري . قال يا غلام اذهب بها الى المهدي وقل له تصلح للولد فأتى بها المهدي فوقعت منه كل موقع فلما ولدت موسى وهرون قالت ان لي أهل بيت بجرش . قال ومن لك . قالت لي أختان اسمهما أسماء وسلسل ولي أم واخوان فكتب فأتي بهم فتزوج جعفر بن المنصور سلسل فولدت منه زبيدة واسمها سكينة تزوجها الرشيد وبقيت أسماء بكراً فقال المهدي للخيزران قد ولدت رجلين وقد بايعت لهما وما أحب ان تبقين أمة وأحب أن أعتقك وتخرجين الى مكة وتقدمين فأتزوجك قالت الصواب رأيت فأعتقها وخرجت الى مكة فتزوج المهدي اختها أسماء ومهرها ألف ألف درهم فلما أحس بقدوم الخيزران استقبلها فقالت ما خبر اسماء وكم وهبت لها قال من اسماء قالت امرأتك قال ان كانت اسماء امرأتي فهي طالق فقالت له طلقتها حين علمت بقدومي قال أما إذ علمت فقد مهرتها ألف ألف درهم

و وهبت لها ألف ألف درهم ثم تزوج الخيزران قال كانت نخلة جارية الحسين الخلال قبل أن يتولى المتوكل الخلافة تقعد بين يديه وتغنيه فولدت للحسين ابناً فلما ولي المتوكل الخلافة طرقه ليلاً فقال له الحسين زرتنا جعلت فداك ، قال اشتهيت أن اسمع غناء نخلة فأخرجها اليه مطمومة الشعر فقال يا خلال أليس قد ولدت منك ابناً قال بلى قال فأنا أحب أن تعتقها قال فانها حرة قال فاشهد إني قد تزوجتها قومي يا نخلة فاشتد ذلك على الحسين فعوضه منها خمسة عشر ألف دينار وحول اليه نخلة قيل و وصف للمتوكل ابنة لسليمان بن القاسم بن عيسى بن موسى الهادي وعدة من الهاشميات فحملن اليه وعرضن عليه فاختارها من بينهن وصرف البواقي ونزلت منه منزلة حتى ساوى بينها و بين قبيحة في المنزلة وكانت جارية لها لياقة وملاحة ووصفت له ريطة بنت العباس بن علي فحملت اليه فتزوجها ثم سألها ان تطم شعرها وتتشبه بالمماليك فأبت عليه فأعلمها ان لم تفعل فارقها فاختارت الفرقة فطلقها و وصفت له عائشة بنت عمرو بن الفرج الرخجي فوجه في جوف الليل والسماء تهطل الى عمر أن احمل الى عائشة فسأله أن يصفح عنها فانها القيمة بامره فأبى فانصرف عمر وهو يقول اللهم قني شر عبدك جعفر ثم حملها بالليل فوطئها ثم ردها الى منزل أبيها قال وكان اذا دعى بشاور من أصحابه عبد العزيز بن موسى وعيسى بن دأب والعزيزي وعبد الله ابن مالك فخرج ذات يوم اليهم وهو مغضب كانه جمل هائج منتفخ الاوداج منتقع اللون فاقبل حتى جلس في مجلسه وكان العزيزي اجرأهم عليه فقال يا أمير المؤمنين انا نرى بوجهك ما كدر علينا عيشنا و بغض الدنيا الينا فان رأى أمير المؤمنين أن يخبرنا بالسبب فان كان عندنا حيلة أعملنا بها وان تكن مشورة أشرنا بها وان أمكن احتمال الغم عنه وقيناه بانفسنا وحملنا الغم عنه قال فاطرق طويلا والعزيزي قائم فقال له اجلس يا عزيزي فاني لم أر لصاحب الدنيا قط أكثر آفات وأعظم نائبة ولا أنغص عيشاً قال العزيزي وما ذاك يا أمير المؤمنين قال لبانة بنت جعفر بن أبي جعفر قد علمتم موقعها مني و إثرتها عندي كلمتني بادلال فاغلظت فلم يكن لها عندي احتمال ولا عندها اقصار حتى وثبت عليها وضربتها ضرباً موجعاً قال وسكت فقال ابن دأب يا أمير المؤمنين انك والله لم تأت منكراً ولا بديعاً قد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤدبون نساءهم و يضربونهن هذا الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وثب على امرأته اسماء بنت ابي بكر وهي افضل نساء اهل زمانها فضربها في شيء عتب عليها فيه ضرباً مبرحاً حتى كسر يدها وكان ذلك سبب فراقها وذلك انها استغاثت بولدها عبد الله فجاء يخلصها من ابيه فقال هي طالق ان حلت بيني و بينها ففعل و بانت منه وهذا كعب بن مالك الانصاري عتب على امرأته وكانت من اهلها جراءة فضربها حتى حال بنوها بينه و بينها فقال

فلولا بنوها حولها لخبطتها * كخبطة فروج ولم اتلعثم

وما هندُ الا مُهرةٌ عربيةٌ * سليلة أفراس تجللها بغلُ
فان نُتجت مُهراً كريماً فبالحرى * وإن يكُ إقرافٌ فما أنجب الفحلُ

فخرج من عندها مغضبا ودعا ابن القرية فدفع اليه مائة الف درهم وقال . ادخل على هند وطلقها عنى ولا تزد على كلمتين وادفع اليها المال . فحمل ابن القرية المال ودخل عليها فقال . ان الامير يقول . كنت فبنت وهذه المائة الف صداقك ، فقالت يا ابن القرية ، اسررت به اذ كان ولا جزعت عليه اذ بان وهذا المال بشارة لك لما جئتنا به ، فكان القول أشد على الحجاج من فراقها وذكروا أن عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق رضى الله عنه كانت عنده عاتكة بنت زيد بن عمرو ابن نفيل فاحبها حبا شديدا فأمره أبوه بفراقها وان يطلقها تطليقة واحدة ففعل ثم ندم على فعله فقال

فلم أرَ مثلي طلّقَ اليومَ مثلها * ولا مثلها في غيرِ جرمٍ تُطلّقُ
لها خلقٌ سهلٌ وحسنٌ ومنصبٌ * وخلقٌ سويٌّ ما يُعابُ ومنطقُ
أعاتكَ قلبي كلَّ يومٍ وليلةٍ * اليك بما تُخفي القلوبُ معلّقُ
أعاتكَ ما أنساكِ ما ذرَّ شارقٌ * وما لاحَ نجمٌ في السّماءِ مُحلّقُ

فسمع ابو بكر ذلك فرق له وأمره بمراجعتها ، وعن على بن حنبل قال : حدثنى أبى قال خرجت ومعى اعرابى ونبطى الى موضع يقال له بطياثا من أمصار دجلة متنزهين فأكلنا وشربنا فقال الاعرابى . قل بيت شعر فقلت

نلنا لذيذ العيش فى بطياثا
فقال الاعرابى لما حثثنا أقدحا ثلاثا
فقال النبطى وامرأتى طالقٌ ثلاثا

ومازال يبكى حتى الصباح فقلت له ، ما يبكيك . فقال . ذهبت امرأتى بقافية ، قال اسحق بن ابراهيم الموصلى كنت انا والحسين بن الضحاك يوما عند المعتصم وحضرت قينة تعرض عليه فاعجب بها فقال للمدنيين كيف ترونها ، فقال احدهم . امرأته طالق ان كان رأى مثلها ، وقال آخر امرأته طالق ان لم ، وسكت فقال المعتصم . ان لم ، قال ، لاشىء ، فضحك وقال له ويحك ما دعاك الى طلاق اهلك بلا سبب . فقال يا أمير المؤمنين كنا قد طلق امرأته بلا سبب . ومما قيل فى ذلك من الشعر

رحلتْ أميمةُ بالطلاقِ * ونجوتُ من رقِّ الوثاق
بانتْ فلم يجزعْ لها * قلبي ولم تدمعْ مآقي
لو لم أُرحْ بفراقها * لأرحتُ نفسي بالإباق

ابنتك عن نفسها فخلت بالزباء فقالت يا بنية اي الرجال أحب اليك الكهل الجحجاح الفاضل المناح أم الفتى الوضاح قالت الرموز الطماح قالت يا بنية ان الشيخ يميرك ولا يغيرك وليس الكهل الفاضل الكثير النائل كالحدث السن الكثير الظن قالت يا أماه اخشى الشيخ ان يدنس ثيابي و يشمت بي أترابي و يبلي شبابي قال فلم تزل بها أمها حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحارث بن سليل على خمسين ومائة من الابل وألف درهم وابتنى بها ثم رحل بها الى قومه فبيناهو جالس ذات يوم وهي الى جانبه اذ أقبل فتية من بني اسد نشاوى يتبخترون فلما نظرت اليهم تنفست الصعداء و بكت فقال ماشأنك قالت مالي وللشيوخ الناهضين كالفروخ قال ثكلتك أمك تجوع الحرة ولا تاكل بثديها فذهبت مثلا أما وأبيك لرب غارة شهدتها وخيل وزعتها وسبية اردفتها وخمرة شربتها الحقي باهلك فانت طالق . وقال

تهزأت أن رأتني لابسا كبرا * وغاية الناس بين الموت والكبر
فإن يكن قد علا رأسي وغيره * صرف الزمان وتغيير من الشعر
فقد أروح للذات الفتى جذلا * وقد أصيد بها عينا من البقر
عني اليك فإني لا توافقني * عور الكلام ولا شرب على الكدر

قال وقال الحجاج لابن القرية : ماتقول في التزويج ، قال . وجدت أسعد الناس في الدنيا وأقرهم عينا واطيبهم عيشا وابقاهم سرورا وارخاهم بالا واشبههم شبابا من رزقه الله زوجة مسلمة أمينة عفيفة حسنة لطيفة نظيفة مطيعة ان ائتمنها زوجها وجدها أمينة وان قتر عليها وجدها قانعة وان غاب عنها كانت له حافظة تجد زوجها أبدا ناعما وجارها سالما ومملوكها آمنا وصبيها طاهرا قد ستر حلمها جهلها وزين دينها عقلها فتلك كالريحانة والنخلة لمن يجتنيها وكاللؤلؤة التي لم تثقب والمسكة التي لم تفتق قوامة صوامة ضاحكة بسامة إن ايسرت شكرت وان اعسرت صبرت فافلح وانجح من رزقه الله مثل هذه وانما مثل المرأة السوء كالحمل الثقيل على الشيخ الضعيف يجر في الارض جرا فبعلها مشغول وجارها متبول وصبيها مرذول وقطها مهزول ، قال : يا ابن القرية قم الآن فاخطب لي هند ابنة اسماء ولا تزيدن على ثلاث كلمات فأتاهم فقال : جئت من عند من تعلمون والامير يعطيكم ماتسئلون افتنكحون أم تدعون ، قالوا ، انكحنا وغنمنا فرجع الى الحجاج فقال . أصلح الله الامير صلاح من رضي عمله ومد في الخيرات اجله و بلغه أمله جمع الله شملك وأدام طولك واقر عينك ووقاك حينك وأعلى كعبك وذلل صعبك وحسن حالك على الرفاء والبنين والبنات والتيسير والبركة وأسعد السعود وأيمن الجدود وجعلها الله ودودا ولودا وجمع بينكما على الخير والبركة فتزوجها الحجاج ثم انه دخل ذات يوم عليها وهي تقول

وما هندُ الأ مُهرةٌ عربيةٌ * سَليلةُ أفراسٍ تجللها بغلُ
فان نُتجت مُهراً كريماً فبالحرى * وإن يكُ إقرافٌ فما أنجب الفحلُ

فخرج من عندها مغضبا ودعا ابن القرية فدفع اليه مائة الف درهم وقال . ادخل على هند وطلقها عنى ولا تزد على كلمتين وادفع اليها المال . فحمل ابن القرية المال ودخل عليها فقال . ان الامير يقول كنت فبنت وهذه المائة الف صداقك ، فقالت يا ابن القرية . اسررت به اذ كان ولا جزعت عليه اذ بان وهذا المال بشارة لك لما جئتنا به ، فكان القول أشد على الحجاج من فراقها وذكروا أن عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق رضى الله عنه كانت عنده عاتكة بنت زيد بن عمرو ابن نفيل فاحبها حباً شديدا فامره أبوه بفراقها وان يطلقها تطليقة واحدة ففعل ثم ندم على فعله فقال

فلم أرَ مثلى طلّقَ اليومَ مثلها * ولامثلها فى غيرِ جرمٍ تُطلّقُ
لها خلقٌ سهلٌ وحسنٌ ومنصبٌ * وخلقٌ سويٌّ مايُعابُ ومنطقُ
أعاتكَ قلبى كلَّ يومٍ وليلةٍ * اليك بما تُخفى القلوبُ معلّقُ
أعاتكَ ماأنساكِ ماذرَّ شارقٌ * وما لاحَ نجمٌ فى السماءِ مُحلّقُ

فسمع ابو بكر ذلك فرق له وأمره بمراجعتها ، وعن على بن دعبل قال : حدثنى أبى قال خرجت ومعى اعرابى ونبطى الى موضع يقال له بطياثا من أمصار دجلة متنزهين فأكلنا وشربنا فقال الاعرابى . قل بيت شعر فقلت

طابَ لنا لذيذُ العيشِ فى بَطياثا

فقال الاعرابى — لمّا حثثنا أقدُحاً ثلاثا

فقال النبطى — وامرأتى طالقٌ ثــلاثا

ومازال يبكى حتى الصباح فقلت له ، ما يبكيك . فقال . ذهبت امرأتى بقافية ، قال اسحق بن ابراهيم الموصلى كنت انا والحسين بن الضحاك يوما عند المعتصم وحضرت قينة تعرض عليه فاعجب بها فقال للمدنيين كيف ترونها ، فقال احدهم . امرأته طالق ان كان رأى مثلها ، وقال آخر امرأته طالق ان لم ، وسكت فقال المعتصم . ان لم ، قال ، لاشىء ، فضحك وقال له ويحك مادعاك الى طلاق اهلك بلا سبب . فقال يا أمير المؤمنين كلنا قد طلق امرأته بلا سبب . ومما قيل فى ذلك من الشعر

رحلتْ أميّةُ بالطلاقِ * ونجوتُ من رقِّ الوثاق
بانتْ فلم يجزعْ لها * قلبى ولم تدمعْ مآقى
لو لمْ أُرحْ بفراقِها * لأرحتُ نفسى بالإباق

وخصيتُ نفسي لا أريـــدُ حليلةً حتى التلاقي

وقال آخر

رأيتَ أثاثها فطمعتَ فيها * وقد نصبتْ لغيرك بالاثاث

فطلقها وعـدّ النفس عنها * سريعا إنّ نفسك في التوات

والا فالسلامُ عليكَ إني * سآخذُ من غديك في المراثي

(محاسن وفاء النساء)

قال الكسروي كتب بلاش بن فيروز الى ملك الهند يخطب ابنته فلم ينعم له ورد رسوله خائبا فتجشم وسار اليه في خيله ورجله فلما اصطفت الخيلان دعاه بلاش الى المبارزة وقال انه عار على الملوك ان يوردوا جنودهم الهلاك ويفوزوا بانفسهم فبرز اليه ملك الهند فاختلفت بينهما ضربتان فنبت بلاش حصانة درعه وضرب بلاش الهندي على عاتقه فقطع حبله حتى انتهى السيف الى صندوقه فخر ميتا وانهزمت خيله فافتتح بلاش مدينته وأمر ثقاته فاحدقوا بقصر ابنة الملك فلما احتوى على امواله بعث الى ابنة الملك ان تأتيه فقالت للرسول وهي تبكي: قل للملك المزين بالحلم المحبب في رعيته السعيد بالظفر انك قد ملكتني وصرت ممن يستحق عطفك ورأفتك فان رأيت ان تطيب نفسا عن النظر الى حتى ترجع الى دار مملكتك فافعل ، فانصرف الرسول الى بلاش فاخبره فاجابها الى ما سألت وسار وحملها حتى قدم دار المملكة فبنا لها مقصورة مفردة عن سائر حرمه فانزلها فيها وأمر لها بعتيق الديباج وفاخر الجوهر واسفاط من الذهب والصلاة والجوائز والاثاث ما لم يأمر لغيرها من نسائه واستاذنها في الدخول عليها فاذنت له فدخل عليها وأقام عندها سبعة أيام ولياليها اعجابا منه بها لا يخرج اليها جوابا ولا يخف عن صدر مجلسها فخرج من عندها اليوم الثامن وقد وقع في قلبه ما أظهرت من خفة مجلسه عليها ولبث أشهرا لا يدخل عليها فقالت يوم لحاضنتها ما أعجب أمر الملك بذل دمه في طلبي حتى اذا ظفر بي سلا عني انطلقي حتى تسالي عن عدة نسائه وأين أكرم عليه وائتيني بعلم ذلك ، فانطلقت حتى عرفت ذلك وانصرفت فقالت اني وجدت له أربعمائة امرأة ما بين أمة وحرة وليس فيهن أكرم عليه من ابنة سائس من سواسه أعجبته فتزوجها فقالت انطلقي اليها واقرئيها مني السلام واعلميها اني أريد مؤاخاتها والانقطاع اليها فانطلقت الحاضنة الى ابنة السائس فابلغتها رسالة مولاتها فقالت لها اقرئيها مني السلام واعلميها اني قد أحببتها وأجبتها الى ما سألت فتصير الى فانصرفت فاخبرتها بما قالت فتهيأت باحسن هيئة وأقبلت اليها ودخلت عليها فرفعت مجلسها وأقبلت عليها فذكرت حبها لها ورغبتها في مواصلتها فردت عليها ابنة السائس أحسن الرد وأعلمتها سرورها

بذلك ثم تحدثا ساعة وانصرفت وجعلت الهندية تأتيها غبا وتظهر الانس بها فلما أنست بها قالت لها . انت قد استلبت قلب الملك وقهرت جميعنا بفضلك وليس لواحدة منا نصيب فاعلمينا الامر الذى فضلتينا به لنزداد سرورا بما أوتيت ومحبة لك والانقطاع اليك ، قالت انى لما عرفت ضعف نسبي وقلة جمالى علمت انه لا يرجع الملك منى الى شيء أحظى به عنده مثل المؤاتاة فى الخلوة وان أبسطه اذا هم بالحركة واستميل قلبه باللطف وفضل الخدمة فلما رآنى على ذلك مستمرة ورأى من سائر نسائه أنفة الاكفاء وزهو الجمال وخيلاء الملك وعلمت انى ان أخذت ما أخذنه مع خمول نسبي وقلة جمالى ودقة خطرى لا يليق بى مثل الذى يليق بهن ففضلنى على جميع نسائه بذلك . فلما سمعت ابنة الملك ذلك علمت ان قلوب الرجال لا تستمال الا بالمؤاتاة وسرعة الاجابة فى الباه عند المشغلة فعزمت أن تجعل ذلك عدة لاستعطاف قلب الملك فانصرفت الى قصرها وقالت لبعض جوار بها اذهبى الى فلانة — تعنى ابنة السائس — فان رأيت الملك عندها فاعلميها انى عليلة من وجع عرض لى فانطلقت الجارية فاذا الملك عندها فأخبرتها بذلك فرق الملك لها وذكر غربتها وقتله أباها فقال لابنة السائس: أترين فى اتيانها ، فقالت أيها الملك انه ليس فى نسائك من لها عندى مثل منزلتها فصر اليها فانها غريبة قد فارقت أهلها وهى فى موضع رحمة فقام الملك حتى دخل عليها وانتهى الى باب مجلسها فقامت اليه تمشى باحسن هيئتها متكسرة فى حليها وزينتها عبقة بطيبها وعطرها فقبلت بين عينيه وأخذت بيده حتى أجلسته فى صدر فراشها وجعلت تقبل يديه ورجليه ضاحكة اليه مظهرة السرور به فجذبها الى نفسه ودعاها الى المضاجعة فأتته ولم ترد فى الخلوة شيأ الا أجابته اليه فلما قضى حاجته نازعها الى المحادثة فقال . أين ما ذكر رسولك من شدة وجعك ، قالت : ياسيدى كنت متوجعة لفراقك حتى شفانى لقاؤك وقلت ذلك لما نالنى من تباريح الشوق اليك وطول صدودك وسلوتك ثم أخذ معها فى المداعبة وأقام عندها سبعة أيام فبيناهما يتلاعبان ويتذاكران ويتعاتقان اذ دخلت جارية لابنة السائس فحيت الملك بتحية الملوك ثم قالت للهندية ان سيدتى — تعنى ابنة السائس — تقول قد اجتمع فيك ثلاث خصال الاولى الغدر بمعلمتك والثانية فضل تطاولك والثالثة كفران النعمة للمنعم وانى عن قريب رادتك من الملك الى غصص الغيظ ، فأخجلتها وهملت عيناها وتظرت الى الملك كالمستغيثة به ، فقال لها الملك ياحبيبتى ماتنكرين من أمتك قد وهبتها لك وجميع ماتملك ، فتجلى عنها غمها فقالت لرسولتها انطلقى اليها فأعلميها ان الملك قد وهبها وما تملك لى وقولى لها أرجعك فحش نفسك الى لؤم حسبك واهمال ادبك ائتينى الساعة بصغار المذلة ورقة العبودية فلما أبلغها الرسول ذلك أقبلت فدخلت عليها فحيت الملك وقامت بين يديه . فقالت لها الهندية ما كان أعظم زهوك فى رسالتك ، قالت ياسيدتى أتأذنين لى فى الكلام ، قالت تكلمى ، قالت أيتها السيدة

لست متوجهة اليك بشيء هو أملك بك من حلمك ولا اعطف على من فضلك ولم يظلم من رفع فوقي من هو أفضل مني وكل فرع يرجع الى أصله وكل زهر ينسب الى سنخه ، فقالت صدقت فدعى عنك كلام الادب فقد ملكتك على رغم أنفك وأنا من وجعك من فلان خادمي فليس لك فضل عليه قالت ابنة السائس من اعتاد معالي الامور لم تطب نفسه باسفلها ومن صاحب العظماء أبت غريزته الادنياء وانما رقبت عطفك ورجوت حسن نظرك فأما اذا عزمت على هذا فقد طاب الموت وما الذي أستبقي منك ثم قالت أيها الملك ان جذل المسرة منك لا يستقر ويقع موقعه الا بعد في المخالفة عندك فاحترس من هذه الهندية فانها لا تؤمن عليك لانها ليست من جنسك فيعطفها عليك الرحم ولا من أهل مملكتك فتعرف تطولك عليها وانما هي شبيهة بموتورة قد قتلت أباها وهدمت عزها فاحترس منها ولا يلهينك موقعها من قلبك فانها متى احتالت في قتلك لم يكن في أيدينا من الظفر الا قتلها كما كان من أمر الثعلب وعظيم الطير . فقال الملك وما كان من حديثهما قالت يقال ان ثعلبا جاع في ليلة فرقي شجرة ليأكل منها فسال الوادي الذي فيه تلك الشجرة بسيل شديد فاقتلعها والثعلب عليها ثم رفعها ووضعها حتى ألقى الثعلب الى أرض بعيدة من أرضه فاصبح وقد ألقاه السيل الى سفح جبل كثير الاشجار مثمر الاغصان وعلى تلك الاشجار جنس من الطير لا يحصى عددا فاقعى الى شجرة قصبا مقشعرا لا يعرف أرضه ولا يقدر على مؤالفة الدواب فمر به عظيم الطير فقال له ما أنت فقال أنا دابة سال بي السيل فألقاني في جبلكم وقد أصبحت غريبا فقال له عظيم الطير فهل لك حرفة فقال نعم اعرف الثمار اذا بلغت حد بلوغها وأصنع للطير أكنانا في الارض تكن فيها فراخها من الحر والبرد فقال له عظيم الطير قد أدركت عندنا بغيتك ذاقم عندنا نواسك ونعرف حق مجاورتك فقام الثعلب عند ملك الطير فكان يعرفهم الثمار المدركة ويحفر لهن بمخاليبه قبورا في الارض يفرخن فيها وكان الثعلب اذا جن عليه الليل وقرم الى اللحم أدخل يده في جحر من تلك الاجحرة فاخرج طيرا أو فراخه فاكله ودفن ريشه وجعلت الطير تتفقد ما كان يأكل واحدا بعد واحد فقال بعضها لبعض ما فقدنا أفاضلنا الا منذ صارت هذه الدابة بين أظهرنا وما كانت هذه الطير تطيل الغيبة وما ندري ما دهاها فقال لها عظيمها ان هذا حسد منكن لهذه الدابة فلا تعقلن ما أصبحتن فيه من فضل المطعم وما فيه فراخكن من هذه الاكنان التي لا يخاف عليها برد فيها ولا حر فقالت الطير انت سيدنا وأبصر بالامور منا قال وعلي ان اقطع هذا القول وأبين حق ذلك من باطله بنفسي فلما أظلم الليل نزل من الشجرة فدخل بعض تلك الاكنان وأقبل الثعلب على العادة التي اعتادها الى ذلك الكن فادخل يده فقبض على رأس الملك فقال الملك للثعلب لقد نصحتني الطير لو قبلت نصحها قال الثعلب انت هو قال نعم قال ماظننت

ان يبلغ من حمقك كل هذا قال ملك الطير دعني اردك في منزلتك بحسب ما رأيت من فضل علمك ولطيف حيلتك قال له الثعلب ان أبوي أدباني ان لا اعلق انيابي بشيء واتركه اذ ليس من جهلك ان لا تتجز أمن الثمار ومن الاكنان بما كان آباؤك يكتفون به ولم ترض حتى اختبرت أمري بنفسك ولم تجمل الثمر بر في ذلك بغيرك ثم أكله ودفن ريشه وفقدت الطير عظيمها فاستوحشت وضربت الثعلب ضربا بمخاليبها ومناقيرها حتى قتلته ولم يصلن في عظيم خطر ما لكهن الى أكثر من قتل الثعلب فاحترس من هذه الهندية، قالت الهندية انما تقرعين المرأة بأربعة رجال بأبيها وأخيها وولدها وبعلها وأفضل النساء المختارة بعلها على جميع أهلها والمؤثرة له على نفسها فكيف بمن ذهب أبوها وأخوها وبقي بعلها أفتحب ان تهلكه على ان مثلك في رداءة همتك وخبث نيتك مثل الغراب والحمامة، قال الملك وما كان من حديثهما، قالت زعموا ان غرابا ألف مطبخا لبعض الملوك فأخذ من أطيب اللحمان التي قد صارت فيه شيئا فظنوا ان الغراب اخذه لقلة وفائه ولؤم جوهره فطردوه عن مطبخهم وقالوا امنعوا من هذا الغراب وهو من الطيور التي تعاف ويتطير منها فأقبل ذلك الغراب امر دالى حمامة قد كان بينهما معرفة وفزع الى رأيها وأخبرها ما كان فيه من نعيم المأكل والمشرب فقالت له الحمامة انطلق بي حتى تريني هذا المطبخ فانطلق حتى اتى سطح المطبخ فقالت الحمامة اني ارى هذا البيت ليس فيه موضع مدخل فاحفر لي بمنقارك قدر ما ادخل فان منقاري يضعف عن ذلك فحفر الغراب في سقف البيت بمنقاره حتى دخلت فيه الحمامة وتوسطت في البيت فأعجبهم حسن خلقها وصفاء لونها فجمل لها خازن المطبخ موضعا تأوي اليه فلبثت في ذلك البيت قريرة عين فناداها الغراب ماهكذا اقدّرت فيك فقالت الحمامة لو وفيت لك حل بي غدرك وان القوم عرفوا وفائي وحسن جواري وعرفوا غدرك وقلة وفائك ونكث عهدك فهذا مثلي ومثلك يا ابنة السائس اني لو وفيت لك ارداني غدرك وقتلني مكرك، قالت ابنة السائس أيتها السيدة ان الذي سمعت مني كان لشدة الانفة فأردت ان أنفي عن نفسي الذي أردت من انكاحي خادمك فلانا، قالت الهندية لابد من ذلك، فقالت ابنة السائس من اعتاد معالي الامور لم تطب نفسه بأسافلها الآن استعذبت الموت فعمدت الى سم كان معها فقذفته في فيها فخرت ميتة ووفت الهندية لزوجها فأفلحا، ومنهن شيرين امرأة ابرويز فان شيرويه بن ابرويز لما قتل أباه وتوطد له الملك بعث الى شيرين يدعوها الى نفسه فامتنعت عليه وأبت ان تجيبه الى ذلك فغصبها ضياعها وعقارها وذخائرها وأموالها وقذفها بكل فاحشة ورماها بكل معضلة فلما بلغها ذلك هان عليها ما أخذ من أموالها مع ما رماها به فبعثت اليه وقالت أيها الرجل ان لم يكن مما سألت بد فاقض لي ثلاث حوائج حتى أتابعك على ما تريد فقال وما هذه الحوائج قالت أحدها ان ترد علي ضياعي وأموالي والثانية ان تصعد منبرك بمحضر مرازبتك وأساورتك وعظماء أهل

مملكتك وتمير أمم قد فتني به وانما لثة ان أباك أودعني ودبعة فتأمر ان يفتح لي باب الناووس حتى أردها عليه فاجابها الى ذلك وأمر بفتح باب الناووس لها ومعها خاتم وفيه سم ساعة فنثرته في فيها وعاينت قبرز وجهافات

﴿ ضد ﴾

قيل ، كان لكسرى ابرويز خال يقال له بسطام فخالف على كسرى وجمع جمعاً كثيراً وواقع ابرويز فلما أعيت ابرويز الحيلة فيه دعا بكردي أخي بهرام جور ويقال ان كرديا كان غلاماً ادرباً ، وبلغ منه مبلغ الرجال وكان من خاصته والناصحين له فقال له قد ترى ما نزل بنا من هذا العدو بسطام وقد رأيت رأياً ان طابقتني عليه رجوت الظفر ، قال كردي وماذاك أيها الملك اخبرني فاشي عبز يدك الله به عزاً ويزيد أعدائك به ذلاً إلا بادرت اليه بنصح وصدق لعظم حقك ووجوب طاعتك ، قال له كسرى قد عرفت حال كردية اختك امرأة بسطام وجراءة قلبها وبسطام يأوي اليها كل ليلة اذا انصرف عن الحرب وأنا جاعل لها عهد الله وميثاقه وذمة انبيائه ان هي أراحتني من بسطام واحتالت لي في قتله ان ازوجها واجعلها سيدة نسائي وابلغ في اكرامها والسمو بها أفضل ما بلغ ملك بامرأته ، قال كردي يا أيها الملك ما أشك في قدرتها عليه فاكتب اليها بخطك بما رأيت لا وجه في الكتاب اليها مع امرأتي ارجية فان لها عقلاً ورفقاً وبصيرة فكتب كسرى بخطه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ هذا كتاب لكردية بنت بهرام جسنسب كتبه لها كسرى ابرويز بن هرمز ان لك عندي عهد الله وذمته وذمة انبيائه ورسله ان أنت قتلت بسطام وارحتيني منه اتزوج بك وأجعلك سيدة نسائي وابلغ من كرامتك ما لا يبلغ ملك من الملوك لاحد وأشهد الله على ذلك وكفى بالله شهيداً وكتب كسرى بخطه وختمه بخاتمه يوم كذا من شهر كذا فسارت ارجية حتى دخلت عسكر بسطام كهيئة الزائرة لكردية بالنظر اليها وكان بينهما قرابة فلما جلست وسكنت دفعت اليها كتاب كسرى وقالت لها يا ابنة عم اجيبي الملك الى ما سالك واغنمي بذلك الرجوع الى وطنك فرغبت لشدة شوقها الى أهلها فاجابتها الى ذلك وانصرفت ارجية الى عسكر كسرى وعرفت زوجها ما كان بينها وبين كردية فمضى كردي الى كسرى فاعلمه ثم ان بسطام دخل على كردية فاتته بعشاء فتناول منه ثم أتته بشراب فسقته وجعلت تحدثه وتظهر له المحبة حتى مضى ثلث الليل فنام بسطام فلما استثقل نوماً قامت اليه كردية بسيفها فوضعته على ثندؤته ثم اتكات فاخرجته من ظهره فمات وعمدة من ساعتها الى دوابها فحملت حشمها وأثقالها على البغال وخرجت نحو عسكر كسرى وقد كانت وجهت مع ارجية الى أخيها أن يجلس لها على الطريق فلما وافته سار معها حتى أدخلها على

كسرى ففرح بذلك فرحا شديداً فلما أصبح أصحاب بسطام و رآوه قتيلا ولوا ادبار بين على وجوههم ثم انصرف كسرى الى المدائن فتخذ لكردية تاجاً مكللا بالدر وصنوف الجوهر وأعد لها وليمة عظيمة دعا فيها جنوده وطعموا وشربوا ثم دعا كرديا أخاها فزوجه أياها ومهرها وأعطاها خاتماً فصه من الكبريت الاحمر يضيء في الليلة الظلماء كما يضيء السراج فلما دخل بها كسرى ونظر الى جمالها وعقلها سر بها وأعطاها الاموال واقطعها الضياع واكرم أخاها كرديا وولاه أرض فارس و بلغ بها من رفعة اباها وتشريفها مالم تبلغه امرأة قبلها ولا بعدها ثم أن كردية قالت لكسرى ياسيدي اخرج بنا الى الميدان لالعب بين يديك بالكرة والصولجان فخرج معها الى الميدان وخرجت امرأته شيرين وخواص نسائه ودعا بخيل فأسرجت و ركبت و ركب هو و جعلت تلاعبه بالصوالج وتناولت السيف و ركضت في الميدان ولعبت بالسيف لعباً معجباً ثم أخذت الرمح فلعبت به فقالت شيرين أيها الملك مايؤمنك من هذه الشيطانة ، قال هيهات انها أعرف بحقنا وأشد حباً للناس من أن نخافها على أنفسنا ، فلما نزلت قال كسرى . لناقى كل ربع من أرباع مملكتنا قائد فى اثنى عشر ألف امرأة وقد جعلتك قائدة عليهن ، قالت . ياسيدي ماللنساء والفروسية وانما علينا أن نتزين لك ونتطيب ونسرك بأنفسنا وأردت بما كان مني سرورك وتسلية همومك فأمر كسرى بحمل طعامه وشرابه الى منزلها و بقى عندها أسبوعاً لم يخرج الى الناس ولم يأذن لاحد بالدخول عليه ثم خرج من عندها الى منزل شيرين فأتاه صياد بسمكة عظيمة فاعجب بها وأمر له بأربعة آلاف درهم ، فقالت له شيرين . أمرت لصياد بأربعة آلاف درهم فان أمرت بها لرجل من الوجوه قال انما أمر لى بمثل ماأمر للصياد فقال كيف اصنع وقد امرت له ، قالت . اذا أتاك فقل له اخبرنى عن السمكة أذكر هي ام انثى فان قال انثى فقل لاتقع عيني عليك حتى تأتيني بالذكر وان قال ذكر فقل مثل ذلك فلما غدا الصياد على الملك قال له اخبرني عن السمكة أذكر هي أم انثى . قال بل . انثى . قال . فأتني بذكرها . فقال عمر الله الملك انها كانت بكراً لم تتزوج بعد . قال الملك . زهزه وأمر له بأربعة آلاف درهم وأمر ان يكتب في ديوان الحكمة . ان الغدر ومطاوعة النساء يورثان الغرم قال وكان الموبذان إذا دخل على كسرى قال . عشت أيها الملك بسعادة الجد و رزقت على أعدائك الظفر وأعطيت الخير و جنبت طاعة النساء . فغاظ ذلك شيرين وكانت أجمل نساء عصرها وأعلى عقلا فقالت لكسرى ، أيها الملك ان هذا الموبذان قد طعن في السن ولست مستغنياً عن رأيه ومشورته وقد رأيت لحاجتك اليه ان اهب له مسكدانة جاريتي وقد عرفت عقلها وجمالها فان رأيت أن تساله قبولها فافعل . فكلم كسرى الموبذان في ذلك . فهش للجارية لمعرفته بجمالها وفضلها

مملكتك وتبرأمما قذفتني به وانثالثة ان أباك أودعني وديعة فتأمر ان يفتح لي باب الناووس حتى أردها عليه فاجابها الى ذلك وأمر بفتح باب الناووس لها ومعها خاتم وفيه سم ساعة فنثرته في فيها وعاينت قبر زوجها فماتت

﴿ ضده ﴾

قيل ، كان لكسرى ابرويز خال يقال له بسطام نخالف على كسرى وجمع جمعاً كثيراً وواقع ابرويز فلما أعيت ابرويز الحيلة فيه دعا بكردى أخي بهرام جور ويقال ان كردياً كان غلاماً لله رباه وبلغ منه مبلغ الرجال وكان من خاصته والناصحين له فقال له قد ترى ما نزل بنا من هذا العدو بسطام وقد رأيت رأيا ان طابقتني عليه رجوت الظفر ، قال كردى وماذاك أيها الملك اخبرني فاشيء يزيدك الله به عزاً او يزيد أعدائك به ذلا إلا بادرت اليه بنصح وصدق لعظيم حقك ووجوب طاعتك ، قال له كسرى قد عرفت حال كردية اختك امرأة بسطام وجراءة قلبها وبسطام يأوى اليها كل ليلة اذا انصرف عن الحرب وأنا جاعل لها عهد الله وميثاقه وذمة انبيائه ان هي أراحتني من بسطام واحتالت لي في قتله ان اتزوجها واجعلها سيدة نسائي وابلغ في اكرامها والسمو بها أفضل ما بلغ ملك بامرأته ، قال كردى يا أيها الملك ما أشك في قدرتها عليه فاكتب اليها بخطك بما رأيت لاوجه في الكتاب اليها مع امرأتي ارجية فان لها عقلا ورفقا وبصيرة فكتب كسرى بخطه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ هذا كتاب لكردية بنت بهرام جشنس كتبه لها كسرى ابرويز بن هرمز ان لك عندى عهد الله وذمته وذمة انبيائه ورسله ان أنت قتلت بسطام وارحتيني منه اتزوج بك وأجعلك سيدة نسائي وابلغ من كرامتك ما لا يبلغ ملك من الملوك لاحد وأشهد الله على ذلك وكفى بالله شهيداً وكتب كسرى بخطه وختمه بخاتمه يوم كذا من شهر كذا فسارت ارجية حتى دخلت عسكر بسطام كهيئة الزائرة لكردية بالنظر اليها وكان بينهما قرابة فلما جلست وسكنت دفعت اليها كتاب كسرى وقالت لها يا ابنة عم اجيبي الملك الى ما سالك واغنمي بذلك الرجوع الى وطنك فرغبت لشدة شوقها الى أهلها فاجابتها الى ذلك وانصرفت ارجية الى عسكر كسرى وعرفت زوجها ما كان بينها وبين كردية فمضى كردى الى كسرى فاعلمه ثم ان بسطام دخل على كردية فاتته بعشاء فتناول منه ثم أتته بشراب فسقته وجعلت تحدثه وتظهر له المحبة حتى مضى ثلث الليل فنام بسطام فلما استثقل نوما قامت اليه كردية بسيفها فوضعته على ثندؤته ثم اتكأت فاخرجته من ظهره فمات وعمدة من ساعتها الى دوابها فحملت حشمها وأثقالها على البغال وخرجت نحو عسكر كسرى وقد كانت وجهت مع أرجية الى أخيها أن يجلس لها على الطريق فلما وافته سار معها حتى أدخلها على

كسرى ففرح بذلك فرحاً شديداً فلما أصبح أصحاب بسطام ورأوه قتيلاً ولواها ربين على وجوههم ثم انصرف كسرى الى المدائن فتخذ لكردية تاجاً مكللاً بالدر وصنوف الجوهر وأعد لها وليمة عظيمة دعا فيها جنوده فطعموا وشربوا ثم دعا كردياً أخاها فزوجه اياها ومهرها وأعطاها خاتماً فصه من الكبريت الاحمر يضيء في الليلة الظلماء كما يضيء السراج فلما دخل بها كسرى ونظر الى جمالها وعقلها سر بها وأعطاها الاموال واقطعها الضياع وأكرم أخاها كردياً وولاه أرض فارس وبلغ بها من رفعه اياها وتشريفه لها ما لم تبلغه امرأة قبلها ولا بعدها ثم ان كردية قالت لكسرى ياسيدي اخرج بنا الى الميدان لالعب بين يديك بالكرة والصولجان فخرج معها الى الميدان وخرجت امرأته شيرين وخواص نسائه ودعا بخيل فاسرجت وركبت وركب هو وجعلت تلاعبه بالصوالج وتناولت السيف وركضت في الميدان ولعبت بالسيف لعباً معجباً ثم أخذت الرمح فلعبت به فقالت شيرين أيها الملك ما يؤمنك من هذه الشيطانة ، قال هيهات انها أعرف بحقنا وأشد حباً لنا من أن نخافها على أنفسنا ، فلما نزلت قال كسرى . لنا في كل ربع من أرباع مملكتنا قائد في اثني عشر ألف امرأة وقد جعلتك قائدة عليهن ، قالت . ياسيدي ما للنساء والفروسية وانما علينا أن نتزين لك ونتطيب ونسرك بأنفسنا وأردت بما كان مني سرورك وتسلية همومك فأمر كسرى بحمل طعامه وشرابه الى منزلها وبقي عندها أسبوعاً لم يخرج الى الناس ولم يأذن لاحد بالدخول عليه ثم خرج من عندها الى منزل شيرين فأتاه صياد بسمكة عظيمة فأعجب بها وأمر له بأربعة آلاف درهم ، فقالت له شيرين . أمرت لصياد بأربعة آلاف درهم فان أمرت بها لرجل من الوجوه قال انما أمر لي بمثل ما أمر للصياد فقال كيف اصنع وقد امرت له ، قالت . اذا أتاك فقل له اخبرني عن السمكة أذكر هي أم انثى فان قال انثى فقل لا تقع عيني عليك حتى تاتيني بالذكر وان قال ذكر فقل مثل ذلك فلما غدا الصياد على الملك قال له اخبرني عن السمكة اذكر هي أم انثى . قال بل . انثى . قال . فاتني بذكرها . فقال عمر الله الملك انها كانت بكراً لم تتزوج بعد . قال الملك . زه زه وأمر له بأربعة آلاف درهم وأمر ان يكتب في ديوان الحكمة . ان الغدر ومطاوعة النساء يورثان الغرم قال وكان الموبذان إذا دخل على كسرى قال . عشت أيها الملك بسعادة الجد ورزقت على أعدائك الظفر وأعطيت الخير وجنبت طاعة النساء . فغاظ ذلك شيرين وكانت أجمل نساء عصرها وأتمهن عقلاً فقالت لكسرى ، أيها الملك ان هذا الموبذان قد طعن في السن ولست مستغنياً عن رأيه ومشورته وقد رأيت لحاجتك اليه ان اهب له مسكدانة جاريتي وقد عرفت عقلها وجمالها فان رأيت أن تساله قبولها فافعل . فكلم كسرى الموبذان في ذلك . فهش للجارية لمعرفته بجمالها وفضلها

فقال . قد قبلتها أيها الملك لايثارها إياى بافضل جواريها . فقالت شيرين لمسكدانة . انى اريد ان تاتى هذا الشيخ فتبدى له محاسنك وتجيدى خدمته فاذا هش لمضاجعتك فامتنعى عليه حتى توكفيه وتركبيه وتعلميني الوقت الذى يتهيأ لك ذلك حتى لا يعود ان يزيد فى تحية الملك ـ ووقيت طاعة النساء ـ فقالت مسكدانة ، افعل ياسيدتى ، ثم انطلقت الى الشيخ فصارت عنده فى داره التى يحلها من قصر الملك فجعلت تخدمه وتبره وتظهر له الكرامة وهى مع ذلك تبرز له محاسنها وتكشف له عن صدرها ونحرها وتبدى له ساقيها وفخذيها فارتاح الموبذان وشرح صدره لمضاجعتها فجعلت تمتنع عليه فيزداد فى ذلك حرصاً فلما الح عليها قالت له . أيها القاضى ما انا بمجيبتك الى ماسالت حتى اوكفك واركبك فان اجبتنى الى ذلك صرت طوع يدك فيما تريد ويدعو اليه من مسرتك فامتنع عليها اياما وبقيت تتزين له بزينتها وتكشف له عن محاسنها حتى عيل صبره فقال لها . افعلى ما احببت ، فهيأت له برذعة صغيرة وإكافاً صغيراً وحزاما وثفراً واقامته عريانا على اربع ووضعت على ظهره البرذعة والاكاف وجعلت الثفر تحت خصيتيه وهى قائمة وركبته وهى تقول خرخر وارسلت الى سيدتها شيرين لتعلمها بذلك فقالت شيرين للملك . اصعد بنا الى ظهر بيت الموبذان لتنظر من الروزنة ما يكون بينه وبين الجارية فصعدا ونظرا فاذا هى قد ركبته فوق الاكاف فناداه كسرى ويحك اى شىء هذا فرفع الموبذان راسه ونظر الى الروزنة وراى الملك فقال هو ما كنت اقول لك فى اجتناب طاعة النساء فضحك كسرى وقال قبحك الله من شيخ وقبح مستشيرك بعد هذا ، حديث الزباء . ومنهن الزباء واسمها هند وملكت الشام بعد عمها الصنور وكان جذيمة الابرش قتل عمها فبعث اليها جذيمة يخطبها فاظهرت البشر والسرور لرسوله وكتبت اليه بالقدوم عليها لتزوجه نفسها فاستشار نصحاءه فقالوا ايها الملك ان تزوجت بها جمعت ملك الشام وملك الجزيرة الى ملكك فاستخلف ابن اخيه عمرو بن عدى وسار فى الف فارس من خاصته فلما انتهى الى مكان يسمى بقة وهو حد مملكتها ومملكته نزل فى ذلك المكان واستشار اصحابه ايضاً فى المصير اليها والانصراف فزينوا له الالمام بها وقالوا انك ان انصرفت من ههنا أنزله الناس منك على جبن ووهن فقد نامنه مولى له يقال له قصير بن سعد فقال له ايها الملك لا تقبل مشورة هؤلاء وانصرف الى مملكتك حتى يتبين لك امرها فانها امرأة موتورة ومن شان النساء الغدر فلم يحفل بقوله ومضى حتى اقتحم مملكتها فقال قصير ـ ببقة صُرِمَ الامر ـ ثم أرسلها مثلا ، فلما بلغ المراة قدومه عليها امرت جنودها فاستقبلت الملك فقال قصير ايها الملك انى رايت جنودها لم يترجلوا لك كما يترجل للملوك ولست آمن عليك فاركب العصا وانج بنفسك والعصا كانت فرساً لجذيمة لا يشق غبارها ـ فلم يعبأ جذيمة بقوله وسار حتى دخل المدينة وامرت هند الزباء باصحابه ان ينزلوا فانزلوا واخذت منهم

اسلحتهم ودوابهم واذنت لجذيمة فدخل عليها وهى فى قصرها ولم يكن معها فى قصرها الا الجوارى فاومات اليهن بان ياخذنه واجتمعن عليه ليكتفنه فامتنع عليهن فلم يزلن يضربنه بالاعمدة حتى اثخنه وكتفنه ثم دعت بنطع فاجلسته فيه وكشفت عن عورتها فنظر جذيمة فاذا لها شعرة وافية فقالت كيف ترى عروسك أشوار عروس أم ماترى قال أرى بظر اناثاً ونبتاً فاشياً ولا أعلم ماوراء ذلك . قالت إما انه ليس من عدم المواسى ولا لقلة الاواسى ولكنه شيمة من أناسى ثم أمرت به فقطعت عروقه فجعلت دماؤه تشخب فى النطع فقالت لا يحزنك ماترى فانه دم هراقه أهله فارسلتها مثلا ، واحتال قصير للعصا حتى وصل اليها وركبها ثم دفعها فجعلت تهوى به كانها الريح وكان المكان الذى قصد فيه جذيمة مشرفا على الطريق فنظر جذيمة اليه وقد دفع الفرس فقال : لله حزم على رأس العصا فلم تزل دماؤه تشخب حتى مات ، ثم أمرت بأصحابه فقتلوا باجمعهم وكان عمرو بن عدى يركب كل يوم من الحيرة فيأتى طريق الشام يتجسس عن خبره وحاله فلم يبلغه أحد خبره فبينا هو ذات يوم فى ذلك اذ نظر الى فرس مقبل على الطريق فلما دنا منه عرف الفرس وقال : ياخير ماجاءت به العصا فذهبت مثلا فلما دنا منه قصير قال له : ماوراءك قال قتل خالك وجنوده جميعا فاطلب بثارك ، قال . وكيف لى بها وهى أمنع من عقاب الجو ، فذهبت مثلا ثم ان قصيرا أمر بانف نفسه فجدع ثم ركب وسار نحو الزباء فاستأذن عليها فقيل لها ان مولى لجذيمة وقهرمانه وأكرم الناس عليه قد أتاك مجدوعا فاذنت له فدخل عليها قالت ، من صنع بك هذا ، قال أيتها الملكة هذا فعل عمرو بن عدى اتهمنى وتجنّى على الذنوب وزعم انى أشرت على خاله بالمصير اليك حتى فعل بى ماترين ولم آمنه ان يقتلنى فخرجت هاربا اليك وقد أتيتك لاكون معك وفى خدمتك ولى جداء وعندى غناء ، قالت . نعم اقم فعندى لك ماتحب وولته نفقتها فخف لها ورأت منه الرشاقة فيما أسندته اليه فاقام عندها حولا ثم قال لها . أيتها الملكة ان لى بالعراق مالا كثيرا فاذا أذنت لى فى الخروج لحمله فافعلى فدفعت اليه مالا كثيرا وأمرته ان يشترى لها ثيابا من الخز والوشى ولآلئ ويواقيت ومسكا وعنبرا ونجوجا فانطلق حتى أتى عمرا فاخبره فاخذ منه ضعف مالها وانصرف نحوها فاسترخصت ماجاء به وردته الثانية والثالثة فكان ياخذ فى كل مرة مثل أضعاف مالها فيشترى جميع ماتريد فتسترخصه ووقع قصير بقلبها فاستخلفته ثم بعثته فى الدفعة الرابعة بمال عظيم وأمرته ان يشترى أثاثا ومتاعا وفرشا وآنية فانطلق الى عمرو فقال . قد قضيت ماعلىّ وبقى ماعليك ، فقال وما الذى تريد ، قال اخرج معى فى الفى فارس من خدمك وكونوا فى أجواف الجواليق على كل بعير رجلان فانتخب عمرو ألفى فارس من أصحابه فخرج وخرج جوامعه فى الجواليق كل رجل بسيف وكان يسير النهار فاذا أمسى الليل فتح الجواليق ليخرجوا ويطعموا ويشربوا ويقضوا حوائجهم حتى اذا كان بينه وبين مدينتها مقدار ميل تقدم قصير حتى دخل عليها

وقال . أيتها الملكة اصعدى على القصر لتنظرى ما أتيتك به ، فصعدت فنظرت الى ثقل الاحمال على الجمال فقالت

ماللجمالِ مشيُها وئيدا * أجندلاً يحملن أم حديدا
أم صرفاناً بارداً شديدا

فأجابها قصير سرّاً وقال

بل الرجال جثّماً قعودا

فقال . لما عليها من المتاع الثقيل النفيس فامرت بالاحمال فادخلت قصرها وكان وقت المساء فقالت . اذا كان غدا انظرنا الى ما أتيتنا به ، فلما جنّ عليهم الليل فتحوا الجواليق وخرجوا فقتلوا جميع من فى القصر وكان لها سرب قد أعدته للفزع والهرب ان حل بها روع تخرج الى الصحراء وقد كان قصير عرف ذلك المكان و وصفه لعمرو فبادر عمرو الى السرب فاستقبلته الزباء فولت هاربة نحو السرب فاستقبلها بالسيف فمصت فصها وكان مسموما وقالت بيدى لا بيدك يا عمرو ولا بيد العبد ، فقال عمرو بيده و بدى سواء وفى كليهما اشفاء وضربها بسيفه حتى قتلها واقبل قصير حتى وقف عليها فجعل يدخل سيفه فى فرجها و يقول

ولو رأونى وسيفى يوم أدخله * فى جوف زبّاء ماتوا كلهم فرحا

وغنم عمرو وأصحابه من مدينتها أموالا جليلة وانصرفوا الى الحيرة فكان الملك بعد خاله جذيمة وعمرو وهذا هو جد النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدى ، ومنهن صاحبة الجعد بن الحسين أبى صخر بن الجعد وكان جعد قد طعن فى السن وكان يكنى أبا الصموت وكانت له وليدة سوداء فقالت يا أبا الصموت زعم بنوك ان يقتلونى اذا أنت مت قال ، ولم ذاك قالت مالى اليهم ذنب غير حبك فاعتقنى فاعتقها فبقيت يسيرا ثم قالت يا أبا الصموت هذا اعرابة من اهل عدن يخطبنى قال ما كان هذا ظنى بك قالت انما أريد مالالك فقال ائتنى به فجاءت به فزوجها منه فولدت منه وقربته من مال جعد وكانت تأتى الجعد فتخضب رأسه ثم قطعته فقال الجعد

أبلغ لديك بنى عمر مغلغلة * عوفاً وعمراً فما قولى بمردود
بأنّ بيتى أمسى فوق داهية * سوداء قد وعدتنى شرّ موعود
تعطى غرابة بالكفين مختضباً * من الخلوق وتعطينى على العود
أمسى غرابة ذا مال وذا ولد * من مال جعد وجعد غير محمود

ومنهن . امرأة مروان بن الحكم وكانت ام خالد بن يزيد بن معاوية وهى ابنة هشام ابن عتبة فاراد مروان الخروج الى مصر فقال لخالد ، اعرنى سلاحك فاعاره فلما رجع قال له خالد رد على سلاحى فابى عليه وكان مروان فحاشا فقال له يا ابن الرطبة فجاء خالد الى امه فقال هذا

ماصنعت بى سبتنى على رؤس الملاو قال لى كيت وكيت قالت ، اسكت فانى اكفيك أمره فجاء مروان فرقد عندها فامرت جوار بها فطرحن عليه الشوادكين — يعني الملاحف — ثم غططنه حتى قتلنه وخرجن يصحن: وا امير المؤمنيناه فدعا عبد الله بامرأة ابيه ليقتلها فقالت ان الذى يبقى عليك من العار اعظم من قتل ابيك: قال وماذاك قالت يقول الناس ان اباك قتلته امرأة فامسك عنها

﴿ محاسن مكر النساء ﴾

ذكروا ان الحجاج بن يوسف ارق ذات ليلة فبعث الى ابن القرية فقال: انى ارقت فحدثني حديثا يقصر على طول ليلى وليكن من مكر النساء وفعالهن فقال اصلح الله الامير ذكروا ان رجلا يقال له عمرو بن عامر من اهل البصرة كان معروفا بالنسك والسخاء وكانت له زوجة يقال لها جميلة وله صديق من النساك فاستودعه عمرو الف دينار وقال .. ان حدثت بى حادثة ورايت اهلى محتاجين فاعطهم هذا المال فعاش ما عاش ثم دعى فاجاب فمكثت جميلة بعده حينا ثم ساءت حالها وامرت خادمتها يوما ببيع خاتمها للغداء يوم او عشاء ليلة فبينا الخادمة تعرض الخاتم على البيع اذ لقيها الناسك صديق عمرو فقال ، فلانة ، قالت: نعم قال ما حاجتك ، فأخبرته بسوء الحال وما اضطرت اليه مولاتها من بيع خاتمها فهملت عيناه دموعا ثم قال ان لعمرو قبلى ألف دينار فاعلمى بذلك صاحبتك فاقبلت الجارية ضاحكة مستبشرة وهى تقول رزق حلال عاجل من كد مولاى الكريم الفاضل فلما سمعت مولاتها ذلك سألتها عن القصة فاخبرتها فخرت ساجدة وحمدت ربها وبعثت بالجارية الى الناسك فاقبل الناسك ومعه المال فلما دخل الدار كره ان يدفع المال الى أحد سواها فخرجت فلما نظر الى جمالها وكمالها أخذت بمجامع قلبه وفارقه النهى وذهب عنه الحياء وأنشأ يقول

قد سلبت الجسم والقلب معاً * وبريت العظم مما تلحظين
فاردُدى قلب عميد واقبلى * صلة الضعفين مما ترتجين

فاطرقت جميلة لقوله طويلا ثم قالت ويحك ألست المعروف بالنسك المنسوب الى الورع قال بلى ولكن نور وجهك سل جسمي فتداركيني بكلمة تقيمين بها أودى فهذا مقام اللائذ بك قالت أيها المرائى المخادع اخرج عنى مذموما مدحورا فخرج عنها وقد هام قلبه واضحت جميلة تعمل الحيلة فى استخراج حقها فاتت الملك ترفع اليه ظلامتها فلم تصل اليه فاتت الحاجب فشكت اليه فاعجب بها إعجابا شديدا وقال . ان لوجهك صورة ارفعها عن هذا ولا يجمل بمثلك الخصومة فهل لك فى ضعفى مالك فى ستر ورفق فقالت سوأة لامرأة حرة تميل الى ريبة فانصرفت الى صاحب الشرطة فانهت ظلامتها اليه فاعجب بها وقال ان حجتك على الناسك لاتقبل الا بشاهدين عدلين وأنا مشتر خصومتك ان انت نزلت عند مسرتى فانصرفت عنه الى القاضى فشكت اليه

وقال . أيتها الملكة اصعدى على القصر لتنظرى ما أتيتك به ، فصعدت فنظرت الى ثقل الاحمال على الجمال فقالت

ما للجمال مشيها وئيدا * أجندلا يحملن أم حديدا
أم صرفانا باردا شديدا

فأجابها قصير سرا وقال

بل الرجال جثما قعودا

فقال . لما عليها من المتاع الثقيل النفيس فأمرت بالاحمال فادخلت قصرها وكان وقت المساء فقالت . اذا كان غدا نظرنا الى ما أتيتنا به ، فلما جن عليهم الليل فتحوا الجواليق وخرجوا فقتلوا جميع من فى القصر وكان لها سرب قد أعدته للفزع والهرب ان حل بها روع تخرج الى الصحراء وقد كان قصير عرف ذلك المكان ووصفه لعمرو فبادر عمرو الى السرب فاستقبلته الزباء فولت هاربة نحو السرب فاستقبلها ابا السيف فمصت فصها وكان مسموما وقالت بيدى لا بيدك يا عمرو ولا بيد العبد ، فقال عمرو بيدى وبيدى سواء وفى كليهما اشفاء وضربها بسيفه حتى قتلها واقبل قصير حتى وقف عليها فجعل يدخل سيفه فى فرجها ويقول

ولو رأونى وسيفى يوم أدخله * فى جوف زباء ماتوا كلهم فرحا

وغنم عمرو وأصحابه من مدينتها أموالا جليلة وانصرفوا الى الحيرة فكان الملك بعد خاله جذيمة عمرو وهذا هو جد النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدى ، ومنهن صاحبة الجعد بن الحسين أبى صخر بن الجعد وكان جعد قد طعن فى السن وكان يكنى أبا الصموت وكانت له وليدة سوداء فقالت يا أبا الصموت زعم بنوك ان يقتلونى اذا أنت مت قال ، ولم ذاك قالت مالى اليهم ذنب غير حبك فاعتقنى فاعتقها فبقيت يسيرا ثم قالت يا أبا الصموت هذا اعرابى من اهل عدن يخطبنى قال ما كان هذا ظنى بك قالت انما أريد مالا لك فقال ائتنى به فجاءت به فزوجها منه فولدت منه وقربته من مال جعد وكانت تأتى الجعد فتخضب رأسه ثم قطعته فقال الجعد

أبلغ لديك بنى عمرو مغلغلة * عوفا وعمرا فما قولى بمردود
بأن بيتى أمسى فوق داهية * سوداء قد وعدتنى شر موعود
تعطى غرابة بالكفين مختضبا * من الخلوق وتعطينى على العود
أمسى غرابة ذا مال وذا ولد * من مال جعد وجعد غير محمود

ومنهن . امرأة مروان بن الحكم وكانت ام خالد بن يزيد بن معاوية وهى ابنة هشام ابن عتبة فاراد مروان الخروج الى مصر فقال لخالد ، اعرنى سلاحك فاعاره فلما رجع قال له خالد رد على سلاحى فابى عليه وكان مروان فحاشا فقال له يا ابن الر بوخ الرطبة فجاء خالد الى امه فقال هذا

ماصنعت بى سبتنى على رؤس الملا وقال لى كيت وكيت قالت ، اسكت فانى اكفيك أمره فجاء مروان فرقد عندها فامرت جوار بها فطرحن عليه الشواذكين — يعنى الملاحف — ثم غططنه حتى قتلنه وخرجن بصحن : وا امير المؤمنيناه فدعا عبد الله بن أبيه ليقتلها فقالت ان الذى يبقى عليك من العار اعظم من قتل ابيك : قال وماذاك قالت يقول الناس ان اباك قتلته امرأة فامسك عنها

﴿ محاسن مكر النساء ﴾

ذكروا ان الحجاج بن يوسف ارق ذات ليلة فبعث الى ابن القرية فقال : انى ارقت فحدثنى حديثا يقصر على طول ليلى وليكن من مكر النساء وفعالهن فقال اصلح الله الاميرذكروا ان رجلا يقال له عمرو بن عامر من اهل البصرة كان معروفا بالنسك والسخاء وكانت له زوجة يقال لها جميلة وله صديق من النساك فاستودعه عمرو الف دينار وقال .. ان حدثت بى حادثة ورايت اهلى محتاجين فاعطهم هذا المال فعاش ماعاش ثم دُعى فاجاب فمكثت جميلة بعده حينا ثم ساءت حالها وامرت خادمتها يوما ببيع خاتمها الغداء يوم او عشاء ليلة فبينا الخادمة تعرض الخاتم على البيع اذ لقيها الناسك صديق عمرو فقال ، فلانة ؛ قالت : نعم قال ماحاجتك ، فأخبرته بسوء الحال وما اضطرت اليه مولاتها من بيع خاتمها فهملت عيناه دموعا ثم قال ان لعمرو قبلى ألف دينار فاعلمى بذلك صاحبتك فاقبلت الجارية ضاحكة مستبشرة وهى تقول رزق حلال عاجل من كد مولاى الكريم الفاضل فلما سمعت مولاتها ذلك سألتها عن القصة فاخبرتها فخرت ساجدة وحمدت ربها وبعثت بالجارية الى الناسك فاقبل الناسك ومعه المال فلما دخل الدار كره أن يدفع المال الى أحد سواها فخرجت فلما نظر الى جمالها وكمالها أخذت بمجامع قلبه وفارقه النهى وذهب عنه الحياء وأنشأ يقول

قد سلبتِ الجسمَ والقلبَ معاً * وبريتِ العظمَ مما تلحظين
فاردُدِى قلبَ عميدٍ واقبلى * صِلةَ الضعفين مما ترتجين

فاطرقت جميلة لقوله طويلا ثم قالت ويحك ألست المعروف بالنسك المنسوب الى الورع قال بلى ولكن نور وجهك سل جسمى فتداركينى بكلمة تحيين بها أودى فهذا مقام اللائذ بك قالت أيها المرائى المخادع اخرج عنى مذموما مدحورا فخرج عنها وقد هام قلبه واضحت جميلة تعمل الحيلة فى استخراج حقها فاتت الملك ترفع اليه ظلامتها فلم تصل اليه فاتت الحاجب فشكت اليه فاعجب بها إعجابا شديدا وقال : ان لوجهك صورة ارفعها عن هذا ولا يجمل بمثلك الخصومة فهل لك فى ضعفى مالك فى ستر ورفق فقالت سوأة لامرأة حرة تميل الى ريبة فانصرفت الى صاحب الشرطة فانهت ظلامتها اليه فاعجب بها وقال ان حجتك على الناسك لا تقبل الا بشاهدين عدلين وأنا مشترخصومتك ان انت نزلت عند مسرتى فانصرفت عنه الى القاضى فشكت اليه

فاخـذت بقلبه وكاد القاضى يجن اعجابا بها وقال ياقرة العين انه لا يزهد فى أمثالك فهل لك فى مواصلتى وغناء الدهر فانصرفت وباتت تحتال فى استخراج حقها فبعثت الجارية الى نجار فعمل لها تابوتا بثلاثة ابواب كل منهم مفرد ثم بعثت الجارية الى الحاجب ان يأتيها اذا اصبح والى صاحب الشرطة ان يأتيها ضحوة والى القاضى ان يأتيها اذا تعالى النهار والى الناسك ان يأتيها اذا انتصف النهار فأتاها الحاجب فاقبلت عليه تحدثه فما فرغت من حديثها حتى قالت لها الجارية صاحب الشرطة بالباب فقالت للحاجب ليس فى البيت ملجأ الا هذا التابوت فادخل اى بيت شئت منه فدخل الحاجب بيتا من التابوت فأقفلت عليه ودخل صاحب الشرطة فاقبلت جميلة عليه تضاحكه وتلاطفه فما كان باسرع من ان قالت الجارية القاضى بالباب فقال صاحب الشرطة اين أختبئ فقالت لا ملجأ الا هذا التابوت وفيه بيتان فادخل أيهما شئت فدخل فاقفلت عليه فلما دخل القاضى قالت مرحبا وأهلا وأقبلت عليه بالترحيب والتلطيف فبيناهى كذلك اذ قالت الجارية الناسك بالباب فقال القاضى ماذا ترين فى رده فقالت مالى الى رده سبيل قال فكيف الحيلة قالت انى مدخلتك هذا التابوت ومخاصمته فاشهد لى بما تسمع واحكم بينى و بينه بالحق قال نعم فدخل البيت الثالث فأقفلت عليه ودخل الناسك فقالت له مرحبا بالزائر الجانى كيف بدالك فى زيارتنا قال شوقا الى رؤيتك وحنينا الى قربك قالت فالمال ما تقول فيه اشهد الله على نفسك برده أتبع رأيك قال اللهم انى أشهدك ان لجميلة عندى الف دينار وديعة زوجها فلما سمعت ذلك هتفت بجاريتها وخرجت مبادرة نحو باب الملك فانهت ظلامتها اليه فارسل الملك الى الحاجب وصاحب الشرطة والقاضى فلم يقدر على واحد منهم ففقدها وسألها البينة فقالت يشهد لى تابوت عندى فضحك الملك وقال يحمل ذلك لجمالك فبعث بالعجلة فوضع التابوت فيها وحمل الى بين يدى الملك فقامت وضربت بيدها الى التابوت وقالت أعطى الله عهدا لتنطقن بالحق ولتشهدن بما سمعت أو لاضرمنك نارا فاذا ثلاثة أصوات من جوف التابوت تشهد على اقرار الناسك لجميلة بالف دينار فكبر ذلك على الملك فقالت جميلة لم أجد فى المملكة قوما أوفى ولا أقوم بالحق من هؤلاء الثلاثة فاشهدتهم على غريمى ثم فتحت التابوت وأخرجت الثلاثة نفر وسألها الملك عن قصتها فاخبرته وأخذت حقها من الناسك فقال الحجاج : لله درها ما أحسن ما احتالت لاستخراج حقها . قال وكان يعقوب بن يحيي المدائنى و يحيي الكاتب كاتب سهل بن رستم يتحدثان الى مهدية جارية سليمان بن الساحر فقال يعقوب يوما ليحيي أنا أشتهى ان أرى بطن مهدية فقال يحيي ما تجعل لى ان أنا احتلت لك بحيلة حتى تراه قال ما شئت قال برذونك هذا قال ، نعم ، قال ، فتوثق منه وأتى مهدية فقال لها كان لى برذون موافق فاره فنفق وأنت لو شئت لحملتنى على برذون فاره ، قالت ، انا افعل وأشتريه لك بما بلغ الثمن ، قال ، أنت قادرة عليه بغير الثمن ، قالت

كيف ذلك ، فاخبرها بالقصة فقالت ، قد حملك الله على البرذون وار بحك النظر الى بطن حسن فاذا كان غدا فتعال أنت و يعقوب فاجلسا فان سليمان يعبث بوصيفته فلانة كثيرا فاذا فعل ذلك وجئت أنا فقل أنت يامهدية لو علمت ماصنع فلان لقتلته ، قال ، نعم ، فلما جاءت مهدية قال لها ان أمر سليمان مع وصيفته اشنع مما قدرته ، فوثبت مستشيطة غضباً وقالت ، مثلك يا ابن الساحر يفعل هذا مرة بعد اخرى وشقت جيبها الى ان جاوزت أسفل البطن وهي قائمة فنظر الى بطنها فتاملناها ساعة وهي تشتم ابن الساحر فقام اليها يترضاها و يسكنها و يعقوب يقول وابرذوناه فاخذه منه يحيي ، وعن المساور قال كان عندنا بالاهواز رجل متاهل وكانت له ارض بالبصرة وكان في السنة ياتيها مرة أو مرتين فتزوج بها امرأة ليس لها إلا ع في الدار وكان يكثر الانحدار بعد ذلك الى البصرة فانكرت الاهوازية حاله فدست من يعرف خبره ثم احتالت و بعثت من أورد خطاالمرأة البصرية وسالت من كتب كتابا من عم البصرية الى زوجها على خطه بان ابنة أخ ، توفيت و يساله القدوم لاخذ ما خلفت ودست الكتاب مع انسان شبيه بالملاح فلما أتى بالكتاب خرج اليه فدفع الكتاب ولم يشك ان امرأته البصرية ماتت فقال لامرأته اجملي لي سفرة قالت ولم قال اريد الخروج الى البصرة قالت وكم هذه البصرة قد رابني أمرك وما اشك ان هنالك لك امرأة فانكر ذلك فقالت ان كنت صادقا فاحلف بطلاق كل امرأة لك غيري فقال في نفسه تلك قد ماتت وليس علي ان احلف بطلاقها فارضي هذه فحلف لها بطلاق كل امرأة له سوى الاهوازية فقالت الاهوازية ياجارية هاتي السفرة فقد اغنانا الله عن الخروج قال وماذاك قالت قد طلقت الفاسقة وقصت عليه القصة فعرف مكرها واقام

— مساوي مكر النساء —

وذكروا ان لقمان بن عاد صاحب لبد خرج يجول في قبائل العرب فنزل بحي من العماليق فبينا هو كذلك اذ ظعن القوم فظعن معهم فسمع بامرأة تقول لزوجها فلان لو حملت سفطي هذا حتى تجاوز به الثنية فان فيه من متاع النساء ما لا بد لهن منه واعدل البعير يقع فيتكسر وذلك من لقمان بمنظر ومسمع فقال افعل فاحتمله على عاتقه فلما انحدر وجد بللا في صدره فشمه فاذاهو ريح بول قد جاء من السفط الذي على راسه ففتح السفط فاذا هو بغلام قد خرج منه يعدو ، فلما نظر لقمان قال باحدى بنات طبق — و بنات الطبق ان تاتي الحية السلحفاة فتلتوي عليها فتبيض بيضة واحدة فتخرج منها حية شبرا أو نحوه لا تضرب شيئاً الا اهلكته — فتبعه لقمان حتى لحقه فجاء يحمله واجتمع الناس اليه وقالوا يالقمان احكم فيما ترى فقال ردوا الغلام في السفط يكون له مثوى حتى يرى و يعلم ان العقاب فيما أتى وتحمله المرأة بفعلها حملوها ما حملت زوجها

شدوه عليها فان ذلك جزاء مثلها فعمدوا الى الغلام فشدوه فى السفط ثم شدوه فى عنق المرأة ثم تركوهما حتى ماتا ثم فارقهم لقمان فاتى قبيلة اخرى فنزل بهم فبيناهو كذلك اذ بصر بامرأة قد قامت عن بنات لها فسألت احداهن أين تذهبين قالت الى الخلاء ثم خرجت الى بيوت الحى فعارضها رجل فمضيا جميعا ولقمان ينظر فوقع الرجل عليها وقضى حاجته منها فقالت المرأة هل لك ان أتماوت على أهلى فاغماهو ثلاثة أيام أكون فى رجمى ثم تجىء فتستخرجنى فنتمتع فقال الرجل افعلى وكان اسمه الخلى وزوج المرأة اسمه الشجى فقال لقمان — ويل للشجى من الخلى فذهبت مثلا فلم تلبث المرأة الا أياما حتى تماوتت على أهلها وكان الميت منهم اذا مات تجعل فوقه الحجارة ولم تكن اذذاك قبور فلما كان اليوم الثالث جاءها خليلها فاخرجها وانطلق بها الى منزله وتحول الحى من ذلك المكان وخافت المرأة أن تعرف فجزت شعرها وتركت لنفسها جمة فبيناهم كذلك اذ خرج بنات المرأة فاذاهن بامرأة جالسة ذات جمة فقالت الصغرى أمى والله ، قالت الوسطى صدقت والله ، قالت المرأة كذبتما ما أنا لكما بام ، قالت الكبرى صدقت والله لقد دفنا أمنا غير ذات جمة ما كان لامنا الا لمة ، قالت الصغرى هبك أنكرت أعلاها أما تعرفين أخراها فتعلقت بها فقالت الام صغراهن مراهن فذهبت مثلا واجتمع الناس وجاء زوج المرأة فارتفعوا الى لقمان فقالوا احكم بيننا فقال لقمان * عند جهينة الخبر اليقين *

فذهبت مثلا وكان يلقب بجهينة فقال لقمان للمرأة أخبرك أم تخبرينى ، قالت بل قل قال انك فلت لهذا انى متماوتة على أهلى فاذا دفنونى فى رجمى جئت فاستخرجتنى وأتنكر لهم فلا يعرفونى فنتنعم ما بقينا فاعترفت المرأة فقيل للقمان احكم بيننا قال ارجموها كما رجمت نفسها فحفر لها حفرة وألقوها فيها ورجموها وكانت أول مرجومة فى العرب ثم ان زوجها تعلق بالخلى فقال يالقمان هذا فرق بينى وبين أهلى فقال لقمان لكل ذكرانثى ولكل اول آخر فرق بينك وبين انثاك وتفرق بين ذكره وبين انثييه فقطع ذكره فمات

﴿ محاسن الغيرة ﴾

روى انه اذا لم يغر الرجل فى اهله او فى بعض مناكحه او مملوكته فلم يغر بعث الله جل اسمه اليه طيرا يقال له القرقفنة حتى يسقط على عارضة بابه ثم يمهله اربعين صباحا يهتف به إن الله غيور يحب كل غيور فان هو تغير وانكر ذلك والا طار حتى يسقط على راسه فيخفق بجناحيه على عينيه ثم يطير عنه فينزع الله منه روح الايمان وتسميه الملائكة الديوث ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء فان كانت المعاينة واللقاء كان الداء الذى لا دواء له . وروى إن امرأة ذات عقل ورأى حملت من فاجر فقيل لها فى ذلك فقالت قرب الوساد

وطول السواد . تريد قرب مضجعه منها وطول مسارته اياها ، وقال صلى الله عليه وسلم النساء حبائل الشيطان وقال سعيد ابن مسلم لان يرى حرمتي الف رجل على حال تكشف وهي لا تراهم احب إلي من ان ترى حرمتي رجلا مواجهة . وقيل لعقيل بن علفة الا تزوج بناتك فقال اجيعهن فلا ياشرن واعريهن فلا يظهرن فوافق احدى كلمتيه قول النبي صلى الله عليه وسلم . الصوم وجاء السيئة والاخرى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه . استعينوا عليهن بالعري وغاية اموال الرجال وكسبهم وهمهم وما يملكون انما هو مصروف الى النساء فلو لم يكن الا ما يعد لهن من الطيب والحلي والكساء والفرش والآنية كان في ذلك ما كفى ولو لم يكن الا الاهتمام بالحفظ والحراسة وخوف العار من خيانتهن والجناية عليهن لكان في ذلك المؤونة العظيمة والمشقة الشديدة غير إن اولى الاشياء بالرجال حفظهن وحراستهن فليس شي عليهن اصلح من مباعدتهن عن الرجال وقمعهن بالعري والجوع ومن حق الملوك ان لا يرفع احد من خاصتها وبطانتها رأسه الى حرمة لها صغرت ام كبرت فكم من فيل وطئ هامة عظيم وبطنه حتى بدت امعاؤه وكم من شريف وعزيز قوم قد مزقته السباع ونهشته وكم من جارية كريمة على قومها عزيزة في اهلها قد أكلها حيتان البحر وطير الماء وكم من جمجمة كانت تصان وتعل بالمسك والبان قد القيت بالعراء وغيبت جثتها في الثرى بسبب الحرم والخدم والغلمان ولم يأت الشيطان احداً قط من باب حتى يراه بحيث من يهوى مستقيم اللحم والاعضاء هو أبلغ من مكيدته وأحرى أن يرى فيه أمنية من هذا الباب اذ كان من ألطف مكائده وأدق وساوسه وأجل تزايينه ، وقيل لابنة الخس لم زنيت بعبدك ولم تزني بحر قالت طول السواد وقرب الوساد .. وقيل لو أن أقبح الناس وجهاً وأنتنهم رائحة وأظهرهم فقراً وأسقطهم نفساً وأوضعهم حسباً قال لامرأة تمكن من كلامها ومكنته من سمعها : والله يا مولاتي لقد أسهرت ليلي وأرقت عيني وشغلتني عن مهم أمري فما أعقل أهلا ولا ولدا ولو كانت أبرع الناس جمالا وأكملهم كمالا وأملحهم ملاحة وان كانت عينه تدمع بذلك ثم كانت تكون مثل أم الدرداء أو معاذة العدوية أو رابعة القيسية لمالت اليه وأحبته ومنها قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اضربوهن بالعري فان النساء يخرجن الى الاعراس ويقمن في المناحات ويظهرن في الاعياد ومتى كثر خروجهن لم يعدم من أن يرين من هو من شكلهن ولو كان بعلهن أتم حسناً وأحسن وجها والذي رأت انقص حسنا ولكان ما لا تملكه أظرف عندها مما تملكه ولكان ما لم تملكه أو تستكثر منه أشد لها اشتغالا واجتذابا . قال الشاعر

وللعين ملهى بالنساء ولم يقد * هوى النفس شيء كاقتياد الطرائف

وكانت الاكاسرة اذا امتحنت الخاصة من أصحابها وخف الواحد عنهم على قلب الملك

وكان الرجل عالما بالحكمة موضعا للامانة فى الدماء والفروج والاموال على ظاهره فيأمره أن يتحول الى منزله وان تفرغ اليه حجرة وان لا يتحول اليه بامراة ولا جارية ولا حرمة ويقول له أريد بك الانس فى ليلى ونهارى ومتى كان معك بعض حرمك قطعك عنى فاجعل منصرفك الى منزلك فى خمس ليال فاذا تحول الرجل أنس به وخلا معه وكان آخر من ينصرف من عنده فيتركه على هذه الحالة أشهرا . امتحن ابرويز رجلا من خاصته بهذه المحنة ثم دس اليه جارية من بعض جواريه ووجه معها اليه بالطاف وهدايا وأمرها ان لا تقعد عنده فى اول مرة فاتته بالطاف الملك وقامت بين يديه ولم تلبث ان انصرفت حتى اذا كانت المرة الثانية امرها ان تقعد هنيهة وان تبدى عن محاسنها حتى يتاملها ففعلت ولاحظها الرجل وتأملها وجعل الرجل يحد النظر اليها ويسر بمحادثتها ومن شان النفس ان تطلب بعد ذلك الغرض من هذه المطايبة فلما ابدى ما عنده قالت اخاف ان يعثر علينا ولكن دعنى حتى ادبر فى هذا ما يتم به الامر بيننا ثم انصرفت فاخبرت الملك بذلك وبكل شىء جرى بينهما فلما كانت المرة الثالثة امرها ان تطيل القعود عنده وان تحدثه وان ارادها على الزيادة فى المحادثة اجابته اليه ففعلت ووجه اليه اخرى من خواص جواريه وثقاتهن بالطافه وهداياه فلما جاءت قال لها ما فعلت فلانة قالت اعتلت فاربد لون الرجل ثم لم تطل القعود عنده كما فعلت الاولى ثم عاودته فقعدت اكثر من المقدار الاول وابدت بعض محاسنها حتى تاملها وعاودته فى المرة الثالثة واطالت القعود والمضاحكة والمهازلة فدعاها الى ما فى تركيب النفس من الشهوة فقالت انا من الملك على خطا يسيرة ومعه فى دار واحدة ولكن الملك يمضى بعد ثلاث الى بستانه الذى بموضع كذا فيقيم هناك فان ارادك على الذهاب معه فاظهر انك عليل وتمارض فان خيرك بين الانصراف الى نسائك او المقام ههنا فاختر المقام واخبره انك لا تقدر على الحركة فان اجابك الى ذلك جئت من اول الليل فاكون معك الى آخره فسكن الرقيع الى قولها وانصرفت الجارية فاخبرت الملك بكل ما دار بينهما فلما كان فى الوقت الذى وعدته ان يخرج الملك فيه دعاه الملك فقال للرسول اخبره انى عليل فلما جاءه الرسول واخبره تبسم وقال هذا اول الشر فوجه اليه بمحفة يحمل فيها فاتاه وهو معصب فلما بصر به قال والمحفة الشر الثانى فبين العصابة فقال والعصابة الشر الثالث فلما دنا من الملك سجد فقال له متى حدثت بك هذه العلة قال هذه الليلة قال فاى الامرين احب اليك الانصراف الى نسائك لتمريضك ام المقام ههنا الوقت رجوعى قال المقام ههنا ايها الملك أوفق لقلة الحركة فتبسم ابرويز وقال حركتك ههنا ان تركت اكثر من حركتك فى منزلك ثم امر له بعصا الزناة التى كان يرسم بها من زنى فايقن الرجل بالشر وامر ان يكتب له ما كان من امره حرفا حرفا فيقرأ على الناس اذا حضروا وان ينفى الى اقصى مملكته وتجعل العصا فى راس رمح يكون معه حيث كان

ليحذر من يعرفه منه فلما خرج الرجل من المدائن متوجها به نحو فارس أخذ مدية كانت مع بعض الموكلين به فجب بها ذكره وقال من أطاع عضواً صغيراً من اعضائه افسد عليه جميع اعضائه فمات من ساعته ، وفيما يذكر عن انوشروان انه اتهم رجلا من خاصته فى بعض حرمه فلم يدر كيف يقتله لا هو وجد أمراً ظاهراً يحكم بمثله الحاكم فيسفك به دمه ولا قدر على كشف ذنبه لما فى ذلك من الهون على الملك والمملكة ولا وجد عذرا لنفسه فى قتله غيلة اذ لم يكن فى شرائع دينهم ووراثة سلفهم فدعا الرجل بعد جنايته بسنة فى خلوة فقال قد حزبنى أمر من اسرار ملك الروم وبى حاجة الى علمها وما اجدنى اسكن الى أحد سكونى اليك اذ حللت من قلبى المحل الذى أنت به وقد رأيت ان تحمل لى مالا الى هناك للتجارة وتدخل بلاد الروم فتقيم بها فاذا بعت ما معك حملت مما فى بلادهم من تجاراتهم وأقبلت الىّ وفى خلال ذلك تصغى الى اخبارهم وتطلع الى ما بنا الحاجة الى معرفته من أمورهم واسرارهم فقال افعل ايها الملك وأرجوا ان ابلغ فى ذلك محبة الملك ورضاه فامر له بمال وتجهز الرجل وخرج بتجارته فاقام فى بلاد الروم حتى باع واشترى وفهم من كلامهم ولغاتهم ما عرف به مخاطباتهم وبعض أسرار ملكهم وانصرف الى انوشروان بذلك فاراه الايثار به وزاد فى برورده الى بلادهم وأمره بالمقام والتربص بتجارته ففعل حتى عرف واستفاض ذكره فلم تزل تلك حاله ست سنين حتى اذا كانت السنة السابعة أمر الملك ان تصور صورة الرجل فى جام من جاماته التى يشرب فيها وتجعل صورته بازاء صورة انوشروان وتجعل مخاطباً لانوشروان ومشيراً عليه واليه وتدنى رأسه من رأس الملك فى تلك الصورة كانه يساره ثم وهب ذلك الجام لبعض خدمه وقال ان الملوك يرغبون فى مثل هذا الجام فاذا أردت بيعه فادفعه الى فلان اذا خرج نحو بلاد الروم بتجارته وقل له يبيعه من الملك نفسه فانه ينفعك فان لم يمكنه بيعه من الملك باعه من وزيره أو بعض خاصته فجاء غلام الملك بالجام وقد وضع الرجل رجله فى الركاب فسأله ان يبيع جامه من الملك وان يتخذ عنده بذلك يداً وكان الملك يعز ذلك الغلام وكان من خاصة غلمانه وصاحب شرابه فاجابه الى ذلك وأمر بدفع الجام الى صاحب خزانته وقال احفظه فاذا صرت الى باب الملك فليكن مما أعرضه عليه فلما صار الى باب الملك دفع صاحب الخزانة اليه الجام فعرضه على الملك فيما عرض عليه فلما وقع الجام فى يد الملك نظر اليه ونظر الى صورة انوشروان فيه والى صورة الرجل وتركيبه عضواً عضواً وجارحة جارحة فقال للرجل أخبرنى هل يصور مع صورة الملك رجل خسيس قال لا قال فهل تصور فى آنية الملك صورة لا اصل لها ولا علة قال لا قال فهل فى دار الملك اثنان يتشابهان فى صورة واحدة حتى يكون هذا كانه ذاك فى الصورة وكلاهما نديما الملك قال لا أعرفه قال له قم قائما فقام فوجد صورته فى الجام فقال له أدبر فادبر فتأمل صورته فى الجام فوجدهما بحكاية

واحدة فضحك ولم يجسر الرجل أن يسأله عن سبب ضحكه اجلالا له واعظاما فقال ملك الروم الشاة اعقل من الانسان اذ كانت تخفي مديتها وتدفنها وانما أهديت الينا مديتك بيدك فقال للرجل تعديت قال لا قال قربوا له طعاما قال أيها الملك أنا عبد والعبد لا يأكل بحضرة الملك قال الملك أنت عبد مادمت عند ملك الروم مطلعا على أموره متتبعا لأسراره ملك اذا قدمت بلاد فارس ونديم ملكها اطعموه فاطعم وسقي الخمر حتى اذا ثمل قال من سيرملو كنا ان لا نقتل الجاسوس الا في أعلا موضع نقدر عليه ولا نقتله جائعا ولا عطشانا فامر به فاصعد الى سطح كان يشرف منه على كل من كان في المدينة اذا اصعد فضربت عنقه هناك وألقيت جثته من ذلك السطح ونصب رأسه للناس فلما بلغ ذلك كسرى أمر صاحب الجرس أن يضرب باجراس الذهب ويمر على دور نساء الملك وجواريه ويقول كل نفس ذائقة الموت كل أحد اذا وجب عليه القتل في الارض يقتل الا من تعرض لحرمة الملك فانه يقتل في السماء فلم يدر أحد من اهل المملكة ما أراد به حتى مات

﴿ ومثله من أخبار العرب ﴾ ذكروا انه كان لطسم وجديس ملك يقال له عمليق ظلوم غشوم وكانت لا تزف جارية الى زوجها الا بدأ أو بها فافترعها وردها الى بعلها ثم أن رجلا من جديس تزوج غفيرة بنت غفار عظيم جديس ورئيسها فلما أرادوا أن يهدوها اليه بدأوا بها عمليق فادخلوها عليه ومعها القيان يتغنين ويضربن بالدفوف ويقلن

إبدي بعمليقَ ومهُ فاركبي * وبادري الصبحَ بأمرٍ مُعجبِ
فسوفَ تلقينَ الذي لم تطلبي * ولم يكنْ منْ دونهِ منْ مذْهبِ

فجعلت تقول وهي تزف

ما أحدٌ أذلُّ منْ جديسِ * أهكذا يفعلُ بالعرُوسِ
يرضى بهذا يا لقومي حرٌّ * منْ بعدِ ما أهدى وسيقَ المهرْ
لأنْ يلاقي المرءُ موتَ نفسِهِ * خيرٌ لهُ منْ فعلِ ذا بعرسه

فلما دخلت عليه افترعها ثم خلى سبيلها فخرجت ووقفت على أخيها الاسود بن غفار وهو قاعد في نادي قومه وقد رفعت ثوبها عن عورتها وأنشأت تقول

أيصلحُ ما يُؤتى إلى فتياتكمْ * وأنتمْ رجالٌ كثرةٌ عددَ الرّملِ
وترضونَ هذا يا لقومي لأختكمْ * عشيةَ زُفتْ في النساءِ إلى البعلِ
فإنْ أنتمُ لمْ تغضبوا بعدَ هذهِ * فكونوا نساءً في المنازلِ والحجلِ
ودونكمْ طيبَ النساءِ وإنما * خُلقتمْ جميعاً للتزيّنِ والكحلِ

فلو أننا كنا رجالا وكنتمُ * نساء لكنا لا نقيمُ على ذحل
فقبحاً لبعلٍ ليس فيه حميَّةٌ * ويختال يمشي بيننا مشية الفحل
فموتوا كراماً أو أصيبوا عدوَّكم * بداهية تُوري ضراماً من الجزل
وإلا تخلُّوا داركم أو ترحلوا * إلى بلدٍ قفرٍ خلاءٍ من الاهلِ
ولا تخرجوا للحرب ياقومُ إنها * تقوم بأقوامٍ شدادٍ على رجل
فيهلك فيها كلُّ وغدٍ مواكل * ويسلمُ فيها ذو الطعانِ وذو القتل

فلما سمعت جديس شعرها أنفت أنفاً شديداً وأخذتهم الحمية فتآمروا بينهم وعزموا على اغتيال الملك وجنوده فقالوا ان نحن بادئناهم بالحرب لم نقو عليهم لكثرة جندهم وانصارهم فاتفقوا على ذلك ثم ان الاسود أتى الملك فقال اني احب ان تجعل غداءك عندي أنت وجنودك، فقال عمليق ان عدد القوم كثير وأحسب ان البيوت لا تسعهم فقال الاسود . فنخرج لهم الطعام الى بطن الوادي فقال لقومه اذا اشتغل القوم بالاكل فسلوا سيوفكم واعملوا على ان تحملوا حملة رجل واحد واقتلوهم عن آخرهم وهيأ الاسود ما احتاج اليه من الطعام وجاء الملك فلما أكب القوم على الاكل بادرت جديس الى سيوفهم ثم حملت على الملك وعلى جنوده والاسود يرتجز ويقول

ياصُبْحة ياصبحة العروس * حتى عشتْ بدمٍ جميس
ياطسمُ مالقيتِ من جديس * هلكتِ ياطسمُ فهيسي هيسي

فقتلوه وجنوده جميعاً ، ومثله الفطيون ملك تهامة والحجاز فانه سلك مسلك عمليق في ملك طسم وجديس في امر النساء فأمر أن لا تزف من اليهود في مملكته امرأة إلا بدأوه بها فلبث على ذلك عدة أحوال حتى زوجت امرأة من اليهود على ابن عم لها وكانت ذات جمال رائع وكانت أخت مالك بن عجلان من الرضاعة فلما أرادوا أن يهدوها الى زوجها خرجت الى نادي الاوس والخزرج رافعة ثوبها الى سرتها فقام اليها مالك بن العجلان فقال ويحك ومادهاك فقالت وما يكون من الداهية أعظم من ان ينطلق بي الى غير بعلي بعد ساعة فأنف من ذلك أنفا شديدا فدعا بزة امرأة فلبسها فلما انطلقوا بالمرأة الى الفطيون صار كواحدة من نسائها اللواتي ينطلقن بها متشبها بامرأة وقد أعد سكينا في خفه فلما دخلت المرأة على الفطيون مال مالك الى خزانة في ذلك البيت فدخلها فلما خرج النساء ودخلت المرأة قام اليها ليفترعها فخرج اليه مالك بالسكين فوجأه فقتله ثم قال لليهود دونكم جنوده فاقتلوهم فاجتمعت عليهم فقتلوهم عن آخرهم

﴿ومنه أخبار وأمثال﴾ ذكروا ان اول من قال العجب كل العجب بين جمادى ورجب عاصم بن المقشعر الضبي وذلك ان الخنيفس بن خشرم كان اغير اهل زمانه واشجعهم

وكان لعاصم أخ يقال له عبيدة عزيز فى قومه فهوى امرأة كانت تأتى الخنيفس فبلغ الخنيفس ذلك فتواعد عبيدة وركب الخنيفس فرسه وأخذ رمحه وانطلق يتربص عبيدة حتى وقف على ثمره فاقبل عبيدة وقد قضى من المرأة وطراً وهو يقول

أَلا إنَّ الخُنَيفِسَ فاعلموه * كما سمّاهُ والدُهُ لعينُ
بَهيمُ اللونِ محتقرٌ ضئيلٌ * لئيماتٌ خلائقهُ ضنينُ
أيوعدُني الخُنَيفِسُ من بعيدٍ * ولما يلقَ ما بضمهُ الوتينُ
لهوتُ بجارتيهِ وحادثتني * ويزعمُ أنهُ أنفٌ شفونُ

فعارضه الخنيفس وهو يقول

أيا ابنَ المقشعرِّ لقيتَ ليثاً * له فى جوفِ أيكتهِ عرينُ
تقولُ له صددتُ حِذارَ حينٍ * وأنكَ نشوُ أبطالٍ مبينُ
وأنكَ قد لهوتَ بجارتينا * فهاكَ عُبيدَ لاقاكَ القرينُ
ستعلمُ أيُّنا أحمى ذِماراً * إذا قصرتْ شمالُكَ واليمينُ
لهوتَ بها لقد أبدلتَ قبراً * وباكيةً عليكَ لها رنينُ

فقال عبيدة أذكرك الله وحرمة خثيم فقال والله لا قتلنك فقتله فلما بلغ أخاه عاصماً خرج اليه ولبس أطماراً وركب فرسه وكان فى آخر يوم من جمادى فاقبل يبادر دخول رجب لانهم كانوا لا يقتلون فى رجب أحداً فانطلق حتى وقف بباب خنيفس ليلا وقال أجب المرهوق قال وماذاك قال العجب كل العجب بين جمادى ورجب وانى رجل من ضبة غصب أخ لى امرأة فخرج يستنقذها فقتل وقد عجزت عن قاتله فخرج الخنيفس مغضباً وأخذ رمحه وركب وانطلق معه فلما نحى به عن قومه دنا منه فقنعه بالسيف فابان رأسه ، و يقال ان أول من قال سبق السيف العذل ضمضم بن عمرو اللخمى كان يهوى امرأة فطلبها بكل حيلة فأبت عليه وطلبها عزيز بن عبيد بن ضمضمة فأتته وتأبت على ضمضم وكان ضمضم من أشد قومه بأساً فاغتاظ لذلك وانطلق ليلة وهو متقلد سيفه حتى صار بمكان يراهما اذا اجتمعا ولا يريانه فلما نام الناس وطال هدو ضمضم اذا العزيز قد أقبل على فرسه وهو يقول

أمامُ تَوَلِّيني وتأبى بنفسها * على ضمضمٍ تعساً ورغماً لضمضمِ

وضمضم يسمع فنزل وربط فرسه ونزل الى ناحية خبائها فصدح صدوح الحمام وكان آية ما بينهما فخرجت اليه فعانقها وضمضم ينظر ثم واقعها فلما رآهما مشى اليهما بالسيف وهو يقول

ستعلمُ أنى لستُ أعشقُ مبغضاً * فكان بنا عنها وعنكَ عزاءُ

وقتله فعلم القوم بضمضم فأخذوه فلما أصبح ابرز الى النادى ليقتل فجعلوا يلومونه على قتله ابن عمه فقال سبق السيف العذل ، ويقال ان أول من قال خير قليل وفضحت نفسى فاثرة امرأة مرة الاسدى وكانت من أجمل النساء فى زمانها وكان زوجها غاب عنها أعواما فهويت عبداً له حبشياً يرعى إبلها فأمرته ان يحضر مضجعها وكان زوجها منصرفا قد نزل تلك الليلة منها على مسيرة يوم فبيناهو يطعم ومعه أصحابه اذ نعق غراب فأخبره ان امرأته لم تمهر قط ولا تمهر الا تلك الليلة فركب فرسه ومر مسرعا وهو يرجوان هو منعها تلك الليلة أمهرها فأتى فانتهى اليها حين قام العبد عنها وندمت وهي تقول خير قليل وفضحت نفسى فسمعها زوجها وهو يرعد لما به من الغيظ فقالت له ما يرعدك فقال يعلمها انه قد علم خير قليل وفضحت نفسى فشهقت شهقة خرت ميتة فقتل زوجها العبد وجعل يقول

لعمرك ماتعتادنى منك لوعة * ولا أنا من وجد بذكراك أسهد

قيل وكانت هند بنت عتبة تحت الفاكه بن المغيرة المخزومى وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت ضيافة يغشاه الناس من غير اذن فخلا ذلك البيت يوما فضجع الفاكه وهند فيه فخرج الفاكه لبعض حوائجه وأقبل رجل ممن كان يغشى ذلك البيت فولجه فلما رأى المرأة ولى هاربا فرآه الفاكه وهو خارج من البيت فأقبل الى هند فضربها برجله وقال من هذا الرجل الذى خرج من عندك قالت ما رأيت احدا ولا انتبهت حتى نبهتنى فقال لها الحقى باهلك فتكلم الناس فيها فقال لها أبوها يا بنية ان الناس قد أكثروا فيك فاصدقينى فان كان الرجل فى قوله صادقا سببت له من يقتله فتنقطع عنك القالة وان كان كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن فحلفت له بما يحلفون به فى الجاهلية انه لكاذب فقال عتبة للفاكه يا هذا إنك قد رميت ابنتى بامر عظيم فحاكمنى الى بعض كهان اليمن فخرج عتبة فى جماعة من بنى عبد مناف وخرج الفاكه فى جماعة من بنى مخزوم وأخرجوا معهم هنداً ونسوة معها فلما شارفوا البلاد قالوا غدا نرد على الكاهن فتغيرلون هند فقال لها أبوها انى أرى ما بك فهلا كان هذا قبل خروجنا قالت لا والله يا أبتاه ماذلك لمكروه ولكن سنأتى بشرا يخطئ ويصيب فلا نأمن أن يسومنى مما يكون فيه سبة على باقى عمرى قال انى سوف اختبره قبل ان ينظر فى أمرك فاخذ حبة من حنطة فادخلها فى احليل فرسه وأوكى عليها بسير فلما ادخلوا على الكاهن قال له عتبة ما كان منى فى طريقى قال ثمرة فى كمرة قال احتاج الى أبين من هذا قال حبة بر فى احليل مهر قال صدقت فما بال حال هؤلاء النسوة فجعل يدنو من احداهن فيضرب بمنكبها حتى أتى الى هند فضرب بمنكبها وقال انهضى غير رسحاء ولا فاحشة ولتلدين ملكا يقال له معاوية فوثب اليها الفاكه فأخذ بيدها فنزعت يدها من يده وقالت اليك عنى والله لاجهدن ان يكون ذلك من غيرك فتزوجها أبو سفيان بن حرب فجاءت بمعاوية ، قيل وكان عمر

ابن الخطاب رضى الله عنه يعس بنفسه فسمع امرأة تقول

أَلَا سبيلٌ إلى خمرٍ فأشربها * أم هل سبيلٌ الى نصر بن حَجَّاج
إلى فتىً ماجدِ الاخلاقِ ذى كرمٍ * سهلِ المُحيا كريمٍ غيرِ ملجاج

فقال عمر أما مادام عمر إما ما فلا، فلما أصبح قال على بنصر بن الحجاج فاتى به فاذا هو رجل جميل فقال اخرج من المدينة، قال: ولم وما ذنبى، قال اخرج فوالله ما تسا كننى فخرج حتى أتى البصرة وكتب الى عمر رضى الله عنه

لعمرى لئن سيَّرتنى وحرمتنى * ولم آتِ إثماً إنَّ ذا لحرامُ
ومالىَ ذنبٌ غيرَ ظنٍّ ظننته * وبعضُ تصاديقِ الظنونِ إثامُ
وإن غنَّتِ الذلفاءُ يوماً بمنيةٍ * فبعضُ أمانىّ النساءِ غرامُ
فظنَّ بىَ الظنَّ الذى لو أتيته * لما كان لى فى الصالحينَ مُقامُ
ويمنعنى مما تمنت حفيظتى * وآباءُ صدقٍ سالفونَ كرامُ
ويمنعها مما تمنت صلاتها * وبيتٌ لها فى قومها وصيامُ
فهذان حالانا فهل أنت مُرجعى * فقد جُبَّ منّى غاربٌ وسنامُ

قال.. فردّه عمر بعد ذلك لما وصف من عفته، ويروى أيضاً ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يعس بالمدينة ذات ليلة اذ سمع امرأة تهتف وتقول

تطاولَ هذا الليلُ واسودَّ جانبه * وأرّقنى إذ لا خليلَ الاعبه
فوالله لولا الله لا ربَّ غيرُه * لزُعزعَ من هذا السريرِ جوانبه
ولكنَّ ربى والحياءَ يكفُّنى * وأُكرمُ بعلى أن تُوطا مراكبه

قال فرجع عمر الى منزله فسأل عن المرأة فاذا زوجها غائب فسأل ابنته حفصة كم تصبر المرأة عن الرجل فسكتت واستحيت وأطرقت فقال أربعة اشهر خمسة أشهر ستة أشهر فرفعت طرفها فعلم أنها لا تصبر اكثر من ستة اشهر فكتب الى صاحب الجيش ان يقفل من الغزو الرجال اذا أتمت ستة أشهر الى أهاليهم، وغزا رجل من الانصار وله جار يهودى فأتى امرأته واستلقى ذات ليلة على ظهره وأنشأ يقول

وأشعثَ غرَّه الإسلامُ منى * خلوتُ بعرسهِ ليلَ التمامِ
أبيتُ على ترائبها ويُضحى * على جرداءَ لاحقةِ الحزامِ

فسمع ذلك جاره فضربه بالسيف حتى قطعه فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال انشد الله رجلا كان عنده من هذا علم الا قام، فقام الرجل فحدثه فقال: أحسنت أحسنت،

وتمام الابيات

كأنَّ مَجامعَ الرَّبلاتِ منها * فئامٌ قدْ جُمِعْنَ إلى فئام

(ومنه أخبار الشعراء) قيل لما خرج امرؤ القيس بن حجر الى قيصر ملك الروم ليسأله النصرة على بني أسد لقتلهم أباه حجر بن الحارث راسل بنت قيصر وأراد ان يخدعها عن نفسها وبلغ ذلك قيصر وأراد ان يقتله فتندم من ذلك وأمر بقميص فغمس في السم وقال لامرىء القيس البس هذا القميص فاني أحببت ان أوثرك به على نفسي لحسنه وبهائه فعمل السم في جسمه وكثرت فيه القروح فمات منها فسمي ذا القروح وقد كان قيل لقيصر قبل ذلك انه هجاه فعندها يقول

ظلمتُ له نفسي بأنْ جئتُ راغباً * إليهِ وقدْ سيَّرْتُ فيهِ القوافيا

فإنْ أكُ مَظلوما فقدْما ظلمتهُ * وبالصَّاع يُجزى مثلَ ماقدْ جزانيا

قيل وكان النابغة يشبب بالمتجردة امرأة النعمان بن المنذر وكانت أكمل اهل عصرها جمالا فبلغ ذلك النعمان فهم بقتل النابغة فهرب منه وسار حتى أتى الشام والملك بها جبلة بن الايهم الغساني فنزل عليه واقام عنده وكتب الى النعمان

حلفتُ ولمْ أتركْ لنفسكَ ريبةً * وليْسَ وراءَ اللهِ للمرءِ مذهبُ

لئنْ كنتَ قدْ بُلِّغتَ عني خيانة * لَمُبلغكَ الواشي أغشُّ وأكذبُ

قيل وكانت امرأة شداد أبي عنترة ذكرت له أن عنترة ارادها عن نفسها فاخذه أبوه فضربه ضرب التلف فقامت المرأة فالقت نفسها عليه لما رأت مابه من الجراحات وبكته وكان اسمها سمية فقال عنترة

أمِنْ سُميةَ دمْعُ العينِ مَذرُوفُ * لوكانَ ذا منكِ قبلَ اليوْمِ معرُوفُ

كأنها يومَ صدّتْ ماتُكلّمنا * ظبيٌ بعُسفانَ ساجي العينِ مطرُوف

قامت تجالني لمّا هوَى قبلي * كأنها صنمٌ يعتادُ معكوفُ

المالُ مالكمُ والعبدُ عبدُكمُ * فهلْ عذابكِ عني اليومَ مصرُوفُ

قيل ولما انشد عبد بني الحسحاس عمر بن الخطاب رضي الله عنه قصيدته التي يقول فيها

تُوسّدُني كفا وتَثني بمعصَمٍ * عليَّ وتَحوِ رجلها من ورائيا

فما زالَ بُردِي طيباً منْ ثيابها * إلى الحوْلِ حتى أنهجَ البُرْدُ باليا

وهبَّتْ لنا ريحُ الشمالِ بقرّةٍ * ولا بُردَ إلا دِرعها وردائيا

أميلُ بهاميلَ الرَّديفِ وأتقي * بها الرِّيحَ والشفّانَ من عن شماليا

رأت قتبا رثا وأخلاق شملة * وأسود مما يلبس الناس عاريا
تجمعن شتى من ثلاث وأربع * وواحدة حتى كملن ثمانيا
سليمى وسلمى والرباب وتربها * وأروى وريا والمنى وقطاميا
وأقبلن من أقصى البلاد يعدنني * إلا إنما بعض العوائد دائيا

قال عمر رضي الله عنه أنت مقتول فلما قال

ولقد تحدر من كريمة معشر * عرق على متن الفراش وطيب

وجدوه شاربا علا فعرضوا عليه نسوة حتى مرت به التي يطلبونها فأهوى اليها فقتلوه

﴿ مساوى شدة الغيرة والعقوبة عليها ﴾

حكى عن سليمان بن عبد الملك انه كان في بعض أسفاره فسمر معه قوم فلما تفرقوا عنه دعا بوضوء فجاءته به جارية فبيناهي تصب الماء على يده اذا استمدها وأشار اليها مرتين أو ثلاثا فلم تصب عليه فأنكر ذلك ورفع رأسه فاذا هي مصغية بسمعها مائلة بجسدها الى صوت غناء من ناحية العسكر فأمرها فتنحت فسمع الصوت فاذا رجل يغني فانصت له حتى فهم ما غنى فدعا بجارية غيرها فتوضأ فلما أصبح أذن للناس فاجرى ذكر الغناء فلم يزل يخوض فيه حتى ظن القوم انه يشتهيه فأفاضوا فيه وذكروا ما جاء في الغناء والتسهيل لمن سمعه وذكروا من كان يسمعه من سروات الناس فقال هل بقي أحد يسمع منه فقال رجل من القوم عندي رجلان من اهل الابلة محكمان قال فاين منزلك من العسكر فاوما الى ناحية الغناء فقال سليمان ابعث اليهما ففعل فوجد الرسول احدهما وأقبل به وكان اسمه سمير فسأله عن الغناء وكيف هو فيه قال محكم قال متى عهدك به قال البارحة قال وفي اى النواحي كنت فذكر الناحية التي سمع منها الصوت قال وما اسم صاحبك قال سنان قال فاقبل سليمان على القوم فقال هدر الفحل فضبعت الناقة ونب التيس فشكرت الشاة وهدل الحمام فزافت الحمامة وغنى الرجل فطربت المرأة ثم امر به فخصى وسأل عن الغناء أين اصله قالوا بالمدينة وهم المخنثون فكتب الى عامله ان أخص من قبلك من المخنثين وحدث الاصمعي ان الشعر الذى سمعه سليمان يتغنى به هو

محجوبة سمعت صوتي فأرقها * من آخر الليل لما بلها السحر
تدني على الخد منها من معصفرة * والحلي باد على لباتها خصر
في ليلة البدر ما يدري مضاجعها * أوجهها عنده أبهى أم القمر
لم يمنع الصوت أبواب ولا حرس * فدمعها لطروق اللحن ينحدر

لو تستطيع مُشتَ نحوى على قدمٍ * تكادُ من رقةٍ فى المشى تنفطرُ

ثم دخل سليمان مضرب الخدم فوجد جارية على هذه الصفة قاعدة تبكى فوجه الى سنان فاحضره و وجهت الجارية رسولا الى سنان تحذره وجعلت للرسول عشر آلاف درهم ان سبق رسول سليمان فلما حضر أنشأ يقول

إستبقنى إلى الصباح أعتذرْ * إنّ اسانى بالشرابِ مُنكسر

فأرسِلِ المعرُوفَ فى قومٍ نُكُرْ

فامر به فخصى وكان بعد ذلك يسمى الخصى ، وعن على بن يقطين قال كنت عند موسى الهادى ذات ليلة مع جماعة من أصحابه اذ أتاه خادم فساره بشئ فنهض سريعاً فقال لا تبرحوا فمضى فابطأ ثم جاء وهو يتنفس ساعة حتى استراح ومعه خادم يحمل طبقا مغطى بمنديل فقام بين يده فاقبل يرعد وعجبنا من ذلك ثم جلس وقال الخادم ضع ما معك فوضع الطبق وقال ارفع المنديل فرفعه فاذا على الطبق رأسا جاريتين لم أر والله أحسن من وجهيهما قط ولا من شعورهما فاذا على رأسيهما الجوهر منظوم على الشعر واذا رائحة طيبة تفوح فاعظمنا ذلك فقال أتدرون ماشأنهما قلنا . لا قال بلغنى أنهما تحابا فوكلت هذا الخادم بهما لينهى إلى اخبارهما فجاءنى وأخبرنى انهما قد اجتمعتا فجئت فوجدتهما كذلك فى لحاف فقتلتهما ثم قال ياغلام ارفع و رجع فى حديثه كانه لم يصنع شيئاً ، وحدثنا ابراهيم بن اسماعيل عن ابن القداح قال ، كانت للربيع جارية يقال لها أمة العزيز فاهداها للمهدى فلما رأى حسنها وجمالها وهيأتها قال هذه لموسى أصلح فوهبها له فكانت أحب الخلق اليه وولدت له بنيه الاكابر ثم ان بعض أعداء الربيع قال لموسى انه سمع الربيع يقول ماوضعت بينى و بين الارض مثل أمة العزيز فغار موسى فدعا الربيع فتغدى معه وناوله كاسا فيه شراب فقال الربيع فعلمت أن نفسى فيها وانى إن رددتها من يدى ضرب عنقى فشربتها وانصرفت فجمع ولده وقال انى ميت فقال الفضل ابنه ولم تقول ذلك جعلت فداك قال ان موسى سقانى شربة فانا أجد عملها فى بدنى ثم أوصى بماله ومات فى يومه ،، قيل وطرب الرشيد الى الغناء فخرج متنكراً ومعه خادمه مسرور حتى انتهى الى باب اسحاق بن ابراهيم الموصلى فقال يامسرور إقرع الباب فخرج اسحاق فلما رأى الرشيد انكب على رجله فقبلها ثم قال ان رأى أمير المؤمنين أن يدخل منزل عبده فنزل الرشيد فدخل فرآى أثر الدعوة فقال يا اسحاق انى أرى موضع الشرب من كان عندك قال ما كان عندى يا أمير المؤمنين سوى جاريتى كنت أطارحهما قال فهما حاضرتان قال نعم قال فاحضرهما فدعا الجاريتين فخرجتا مع احداهما عود حتى جلستا فامر الرشيد صاحبة العود أن تغنى فغنت

بُنِيَ الحُبُّ على الجورِ فلوْ * أنصفَ المعشوقُ فيهِ لَسَمُج
ليسَ يُستحسَنُ في وصفِ الهوى * عاشقٌ يُكثِرُ تأليفَ الحُجج
فقليلُ الحُبِّ صِرفاً خالصاً * هو خيرٌ من كثيرٍ قدْ مُزِج

فقال الرشيد يا اسحاق لمن الشعر والغناء فيه قال لا علم لى به يا أمير المؤمنين فنكس رأسه ساعة ينكت فى الارض ثم رفع رأسه وأخذ العود من حجر هذه فوضعه فى حجر الاخرى ثم قال لها غنى فغنت

إن يمسِ حبلُك بعد طولِ تواصُلٍ * خلقاً وأصبحَ بيتُكم مهجوراً
فلقدْ أراني والجديد إلى بلَى * زمناً بوصلكَ راضياً مسروراً
كنتَ الهوَى وأعزَّ من وطءِ الحصى * عندي وكنتُ بذاك منكَ جديرا

فقال يا اسحاق لمن الشعر والغناء فيه قال لا علم لى يا سيدى فرد المسألة على الجارية فقالت لستى قال ومن ستك قالت علية أخت أمير المؤمنين فنكس رأسه ساعة ثم وثب وقال لمسرور خادمه امض بنا الى منزلة علية فلما وقف بالباب قال استاذن يا مسرور فخرجت جارية فلما رأت الخليفة رجعت تبادر تعلم ستها فخرجت تستقبله وتفديه فقال يا علية هل عندك ما نأكل قالت نعم يا سيدى قال وما نشرب قالت نعم فدخل وجلس فقدمت اليه الطعام فأكل حاراً وبارداً ورطباً ويابساً ثم رفع الطعام ووضع الشراب والطيب وأنواع الرياحين ودعت جواريها وكان عندها ثلاثون جارية يغنين فالبستهن أنواع الثياب وصفتهن فى الايوان وتناول الرشيد الشراب فقام الجوارى يغنين ثم سقى أخته حتى اخذ الشراب منها واحمرت وجنتاها وفترت اجفانها وكانت من اجل النساء فضرب الرشيد الى حجر بعض الجوارى فى اخذ العود وقال يا علية بحياتى غنى

بُنِيَ الحُبُّ على الجورِ فلوْ

فعلمت انها داهية فبكت فصاح الرشيد فخرج الجوارى وبقى هو وهى فدفعها واخذ وسادة فجعلها على وجهها وجلس عليها فاضطربت اضطراباً شديداً ثم بردت فنحى الوسادة عنها وقد قضت نحبها فخرج وقال للخادم اذا كان غداً فادخل وعزنى وركب متوجهاً الى قصره فلما كان الغد عزاه مسرور فبكى فقال

قبرٌ عزيزٌ علينا * لو أنَّ من فيه يُفدى
أسكنتُ قرّةَ عيني * ومهجةَ النفسِ لحداً
ما إن أرى لى عليها * من التوجّعِ بُدّا

ومنه ماحكى عن البهائم قال شيخ من بنى قشير كنا فى نتاج فامتنع فرس من حجرة فشددنا عينه فنزا عليها فلما فرغ فتحنا العصابة فرأى الحجرة وكانت أمه فعمد الى ذكره باسنانه فقطعه ،، ومنه فى خفة الغيرة قال سليمان بن داود الهاشمى لابنه لاتكثر الغيرة على أهلك فترمى بالشر من أجلك وان كانت بريئة ولاتكثر الضحك فيستخفك فؤاد الرجل الحلم وعليك بخشية الله فانها غلبت كل شئ وقال عبد الله بن جعفر لابنته: اياك والغيرة فانها مفتاح الطلاق واياك وكثرة العتب فانه يورث البغضاء وعليك بالكحل فانه أزين الزينة وأطيب الطيب الماء، قيل وكان كسرى ابرويز يتعشق امرأة رجل كان من مرازبته يقال له البارجان وكانت تأتيه سرا فبلغ زوجها ذلك فامسك عن امرأته واجتنبها ودخل الى كسرى ذات يوم فقال له كسرى بلغنى ان لك عين ماء عذبة وانك قد اجتنبتها فلا تقربها، ففطن فقال له: أيها الملك بلغنى ان الاسد يتتاب تلك العين فاجتنبتها خوفا منه فاعجب كسرى بذكائه وأمر أن يتخذ له تاج لاقيمة له ثم دخل كسرى دار نسائه فقاسمهن نصف حليهن فاجتمع من الجوهر مالا يحصى فبعث به الى امرأة البارجان بالقادسية ووقع ذلك الجوهر الى السائب بن الاقرع وكان على المقسم فباعه وجعل للمسلمين بكتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وقال بعضهم كنت أغار على امرأتى فاشرفت على يوما وانا مع جارية لى فلقيت منها اذا حتى حلفت ان ابيع الجارية فخرجت اريد شراء حوائج لى ومعى الجارية فاتيت دكان خلال لشرى الخل فوجدته خاليا فقلت له ياهذا أتأذن لى فى ملامسة جاريتى هذه فى دكانك فانى أريد بيعها قال نعم جعلت فداك ادخل حيث شئت فدخلت فاصبت من الجارية فلما خرجت اذا الخلال قد كمن ناحية وهو فى قميص قد أنعظ فقال فرغت قلت نعم قال بسم الله اتاذن لى جعلت فداك قلت وبلك ماتريد قال اقضى وطرى منها قلت ياابن الفاعلة حرمتى قال لايضرك شيأ فانى اسرع ثم وثب كانه السبع فضاربته حتى تخلصت الجارية بعد كل جهد، قال ودخل رجل من بنى زهرة من اهل المدينة على قينة فسمع غناءها عند مولاها فخرج مولاها فى حاجة ثم رجع فاذا جاريته على بطن الزهرى فقامت مذعورة فقعدت تبكى فقال مايبكيك قالت لانك لاتقبل لاجله عذرا قال يازانية لورأيتك على قفاك قلت صريع مغلوب ولو رأيتك على وجهك لقلت وعاء مكبوب اتمارأيتك فارسا مصلوبا، وحكى عن تماضر انه قال للمهدى ان النساء شققن شقا وان هشيمة نعتت نعتا وكانت هشيمة امرأة تماضر فسأله المهدى ان ينزل عنها ففعل واقام المهدى حتى انقضت عدتها ثم تزوجها وبنى بها ثم طلقها وخرج الى بيت المقدس فلما انقضت عدتها راجعها زوجها وقال أبو طاهر أنشدنى بعض الشعراء يهجو بنى القعقاع

بنى القعقاع أكرمكم لئيم * وأعظم مجدكم ركب حليق
وأنتم فى نسائكم اتساع * وفى أخلاقكم نكد وضيق

وعن عبدالله بن ياسين قال، كان فى المهدى غزل وشدة حب للخلوة بالنساء فبلغه عن ابنة لابى عبيد الله كاتبه جمال فقال للخيزران، استزيريها، فزارتها وجاءت اليها فقالت لها، هل لك فى الحمام قالت نعم فلما دخلت الحمام وافاها المهدى فبرزت له ولم تستتر عنه فقال لها المهدى انا وليك فزوجيني نفسك فقالت انا امتك فتزوجها ونال منها فلما انصرفت اخبرت اخوتها بما كان فقالوا امسكى عنه فلما كان بعد مدة قالوا لها استزيرى الخيزران فاستزارتها فلما صارت اليها قالت هل لك فى الحمام قالت نعم فلما دخلتا معا ماشعرت الخيزران الا ببنى أبى عبيد الله قد عمدوا عليها فاستترت عنهم فقالوا الوارد نا نفعل كما فعلتم بحرمتنا لفعلنا ولكنا لا نستحل، فقالت لهم والله لو رمتم ذلك لامرت الخدم بقتلكم فانصرفوا فلما رجعت الخيزران أخبرت المهدى بذلك فكان السبب فى قتل المهدى محمد بن أبى عبيد الله على الزندقة، وبلغه أيضا عن عونة بنت أبى عون جمال وهيئة فقال للخيزران استزيريها فاستزارتها فقالت لها الخيزران: هل لك فى الحمام قالت نعم، فلما دخلتا ماشعرت الا بالمهدى قد وافاها فاستترت بالخيزران وقالت والله لئن دنوت منى لاضربن بالكرنيب وجهك، فقال ويلك انما أردت ان أتزوجك قالت لا سبيل الى ذلك فانصرف عنها فاخبرت أباها فقال أحسنت فى فعلك

— محاسن القيادة —

الحسن الجرجانى قال حدثنى سهم بن عبد الحميد الحنفى قال خرجت من الكوفة اريد بغداد فلما نزلت بسط غلماننا وهيئوا غداءنا فاذا نحن برجل حسن الوجه والهيئة على برذون فاره فصحت بالغلمان فاخذوا دابته فدعوت بالغداء فبسط يده غير محتشم وما أكرمته بشىء الاقبله وكنا كذلك اذ جاء غلمانه بثقل كثير وهيئة جميلة فتناسبنا فاذا هو طريح بن اسماعيل الثقفى فارتحلنا فى قافلة منا لا يدرك طرفاها فقال طريح ماحاجتنا الى هذا الزحام وليست بنا اليهم وحشة ولا علينا خوف فاذا اخلونا بالخانات والطرق كان أروح لا بداننا قلت ذلك اليك فنزلنا من الغد الخان وتغدينا والى جانبنا نهر ظليل بالشجر فقال هل لك ان نستنقع فيه فررنا اليه فلما نزع ثيابه اذا بين جنبيه آثار ضرب كثير فوقع فى نفسى منه شر فنظر الى ففطن وتبسم وقال قد رأيناذعرك بما ترى وحديث ذلك يجرى اذا سرنا بالعشية فلما سرنا قلت له الحديث قال نعم قدمت من عند الوليد بن يزيد بالغناء واليسار وكتب الى يوسف بن عمر فلما أتيته ملأ يدى خيرا فخرجت مبادرا الى الطائف فلما امتد بى الطريق وليس يصحبنى فيه أحد عن لى اعرابى على قعود له فحدث أحسن الحديث وروى الشعر فاذا هو راوية فانشد فاذا هو شاعر فقلت، من أين أقبلت، قال: لا أدرى: قلت وما القصة قال: انا عاشق لامرأة قد افسدت على عيشى وقد حذرنى اهلها وجفانى لها أهلى وانما

استريح بان انحدر الى الطريق مع منحدر واصعد مع مصعد، قلت فأين هي، قال، ننزل غدا بازائها فلما نزلنا أرانى طريقا عن يسار الطريق فقال ترى ذلك الطريق فقلت أراه قال فترى الخيم التى هناك قلت، نعم قال، فانها فى الخيمة الحمراء فأدركتنى اريحية الحدث فقلت، والله آتى آتيها برسالتك فضيت حتى انتهيت الى الخيم فاذا امرأة ظريفة جميلة كانها مهرة عربية فذكرته لها فزفرت زفرة كادت تنقض أضلاعها قالت أوحى هو قلت نعم تركته فى رحلى وراء هذا الطريق قالت بأبى أنت وأمى أرى لك وجها حسنا يدل على الخير فهل لك فى أمر قلت نعم فقير اليه قالت البس ثيابى فاقم مكانى ودعنى حتى آتيه وذلك عند مغيربان الشمس فانك اذا اظلم الليل أتاك زوجى فقال لك يا فاجرة ويا هنة ابنة الهنة فيوسعك شتما فأوسعه صمتا ثم يقول فى آخر كلامه اقمى سقاءك يا عدوة الله فضع القمع فى هذا السقاء واياك وهذا السقاء الاخر فانه واه قلت نعم فاجبتها الى ما سألت فجاء الزوج على ما وصفت وقال اقمى سقاءك فخيرنى الله ان تركت الصحيح وقمعت الواهى فما شعر الا باللبن يتسبسب بين رجليه فعدا الى كسر الخيمة وحل متاعه وتناول رشاء من قد مدبوغ ثم ثناه باثنتين فجعل لا يتقى رأسا ولا وجها ولا رجلا حتى خشيت أن يبدوله وجهى فتكون الاخرى فالزمت وجهى الارض فعمل بظهرى ما ترى فلما تغيب عنى جاءت المرأة باكية فرأت ما بى من الشر واعتذرت وأخذت ثيابى وانصرفت قال وحدث بهذا الحديث محمد بن صالح بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب صلوات الله عليه بسر من راى سنة أربعين ومائتين وكان حمل من البادية الى المتوكل فاطلقه وكان اعرابيا فصيحا فعجب منه وكان حسن الوجه نجيبا قل ما رأيت فى الفتيان مثله قال كان منا فتى يقال له الاشتر بن عبد الله وكان سيد بنى هلال وأحسنهم وجها وأسخاهم كفا وكان معجبا بجارية يقال لها جيداء بارعة الجمال فلما اشتهر أمرهما وظهر خبرهما وقع الشر بين اهل بيتيهما حتى قتل بينهما القتلى فافترقوا فريقين فلما طال على الاشتر البلاء جاءنى يوما وقال يا نمير هل فيك خير قلت عندى ما أحببت قال فساعدنى على زيارة جيداء قلب بالحب والكرامة فانهض اذا شئت قال فركبنا وسرنا يوما وليلة والغداة حتى المساء فنظرنا الى أدنى سرب لهم فانخنا رواحلنا فى شعب وقعدنا هناك وقال يا نمير اذهب وانشد واذكر لمن يلقاك انك طالب ضالة ولا تعرض بذكرى بشفة ولا لسان الى أن تلقى جاريتها فلانة راعية الضأن فتقرئها منى السلام وتسألها عن الخبر وتعلمها بمكانى قال فخرجت لا أتعدى ما أمرنى به حتى لقيت الجارية فبلغتها الرسالة واعلمتها بمكانه وسألتها عن الخبر فقالت هى مشدد عليها محتفظ بها وعلى ذلك فوعدكما عند الشجرات اللواتى عند أعقاب البيوت مع صلاة العشاء فانصرفت فاخبرته ثم قدنا رواحلنا حتى أتينا الموعد فى الوقت الذى وعدتنا فيه فلم نلبث الا قليلا حتى اذا جيداء تمشى فدنت منا فوثب اليها الاشتر فتصافحا وسلم

عليها و وثبت مولياً عنهما فقالا أقسمنا عليك الا رجعت فوالله ما بيننا من ريبة ولا قبيح نخلوا به دونك فانصرفت اليهما وجلست معهما فقال الاشتر ما فيك حيلة يا جيداء فنتزود منك الليلة قالت لا والله ما الى ذلك سبيل الا ان أرجع الى الذى تعلم من البلاء والشر فقال لا بد من ذلك ولو وقعت السماء على الارض قالت فهل بصاحبك خير قلت بلى وهل الخير الا عندى فاسألى ما بدا لك فانى منته اليه ولو كان فى ذلك كله ذهاب نفسى فلبستنى ثيابها وأخذت ثيابى ثم قالت اذهب الى خبائى فادخل فى سترى فان زوجى يأتيك مع العتمة فيطلب منك القدح ليحلب فيه فلا تعطه من يدك فكذلك كنت افعل فيحلب ثم يأتيك بالقدح ملآن لبناً فيقول هاك فلا تأخذه منه حتى يطيل عليك نكدك ثم خذه أو ذره حتى يضعه ثم يستبد بردائه ولست تراه حتى يصبح فذهبت ففعلت ما أمرتنى به حتى جاء بالقدح فيه اللبن فاطلت نكدى عليه ثم أهويت لاخذه فاختلفت يدى و يده وانكفأ القدح فاندفق منه اللبن فقال ان هذا لطماح مفرط وضرب بيده الى جانب الخباء فاستخرج سوطاً فضربنى مقدار ثلاثين سوطاً حتى جاءت أمه وأخواته فانتزعونى منه ولا والله ما فعلوا ذلك حتى زايلتنى روحى وهممت أن أوجره بالسكين فلما خرجوا عنى وهو معهم قعدت كما كتب الله فما لبثت ان جاءت أم جيداء فحدثتنى وهى تحسبنى ابنتها فالقيتها بالسكوت وتغطيت بثوبى دونها فقالت يا بنية اتقى الله ولا تتعرضى للمكروه من زوجك فذلك أولى بك ثم خرجت من عندى فقالت سارسل اليك أختك تؤنسك وتبيت الليلة عندك فلم ألبث ان جاءت الجارية تبكى وتدعو على من ضربنى وأنا لا أكلمها ثم اضطجعت الى جانبى فلما استمكنت منها شددت يدى على فيها وقلت يا هذه تلك أختك مع الاشتر وقد قطع ظهرى بسببها وانت اولى من ستر عليها فاختارى لنفسك ولها فوالله لئن تكلمت لتكونن فضيحة شاملة ثم رفعت يدى عن فيها فاهتزت مثل القصبة من الروع وباتت معى ونلت منها الشهوة التامة و رافقتنى اصلح رفيق رافقته ولم أذق شيئاً الذ مما ذقت منها قط فلم تزل تحدث وتضحك منى ومما بليت به حتى برق النور وجاءت جيداء فلما رأتنا ارتاعت وقالت من هذا عندك قلت أختك قالت وما السبب قلت هى تخبرك فانها عالمة به وأخذت ثيابى وأتيت صاحبى فاخبرته بما أصابنى وكشفت له عن ظهرى فاذا فيه ما الله به عليم فقال لقد عظمت منتك عندى ووجب شكرك وخاطرت بنفسك فلا حرمنى الله مكافأتك ،، وعن رجل من بنى عامر انه خرج وهو غلام ما بقل وجهه وكان ذا جمال وهيئة صاحب غزل فهجم على قوم يتحملون وقد شدوا أثقالهم فبرزوا واذا امرأة جميلة قد تخلفت على جمل لها لاصلاح شأنها قال فوقفت عليها فاذا هى أحسن خلق الله وجها واغزله واملحه فتلاقينا كلاما غير كثير فقالت أسألك شيئاً فهل لك به علم قلت سلى فقالت ايها احسن جردة الرجل أم المرأة قلت الرجل قالت بل المرأة فان احببت ان تعلم

ذلك علمته قلت وكيف اعلمه قالت اتجرد ذلك من ثيابى وارمى بها عنى ثم امشى حتى ابلغ الاكمة ثم اقبل حتى آتيك فتعطيني عهد الله وميثاقه لتفعلن كما فعلت فقلت لك عهد الله ان فعلت لافعلنه قال فالقت ثيابها عن احسن ما نظرت اليه قط بياضا ونظافة وحسنا فلما انتهت الى قالت الوفاء قلت الوفاء ونمة عين نخلعت ثيابى وانا كاحى الفتيان واهياهم حتى مضيت بعد الغاية فلما انتصف بى المدى سمعت خرخرة جملى فاذا هى قد جالت على ظهره لابسة ثيابى متنكبة قوسى قد لزمت المحجة فناديتها فلم تعرج على ولبست ثيابها وتخمرت بخمارها وركبت بعيرها وزجرته فاتبعت فى أثر الحى وأخذت شق الوحشى حتى ماأراها وجعلت أكف عن الجمل اذ خشيت ان ألحق الظعن حتى رأونى من بعيد وجعلوا ينادون ويحك اقبلى وانا صامت لا أتكلم ولا أتقدم فلما طال عليهم أمرى بعثوا الجارية لهم مولدة فاقبلت تعدو حتى أتتنى ونشطت خطام الجمل من يدى وأنا متبرقع أحسن الناس وجها وعينا فنظرت الجارية فى وجهى ساعة ثم قالت لقد أمسيت حديدة الطرف وقادت الجمل حتى أتت الحى فقالت أم الجارية يابنية لقد استحييت من الناس مما دعوتك العشية ثم تأملت ونظرت وسائر النساء وقالت احداهن والله انه لرجل وفطن وانزلتنى العجوز وادخلتنى الستر وقالت من أنت لا أفلحت قلت بل ابنتك لا أفلحت ولا انجحت وقصصت عليها قصتها فقالت نشدتك الله الا اعرتنى نفسك هزيعا من الليل فانا كنا على ان نبنى بابنتى صاحبة الجمل الليلة وما فى الحى رجل غير زوجها وهو انسان فيه لوثة ولا بد من ان أدخلك عليه فانك غلام أمرد فلا ينكرك ولا أراه اقوى منك ان اعتركتما فلك عندى يد بيضاء وأقبلت واخت لابنتها وخالتها فالبسننى ثوب العروس وطيبتنى ثم دلفن بى نحو الرجل بعيد العتمة وقالت أمها انا لك الفداء تجلد ساعة بالامتناع فانه منصرف عنك وستأتيك الكافرة فادخلتنى على مثل الاسد الا ان به لوثة كما قالت فاعتركنا حتى اعيى وكف عنى وطال بى الليل حتى سمعت خرخرة جملى فلم ألبث الا هنيهة حتى جاءت أمها وخالتها وهى معهما فجعلنها مكانى وفتشت عن سرها فاذا هى قد ظلت مع انسان كانت تهواه وأتيت ثيابى فنهضت مبادرا الا ألوى على شىء حذرا مما لقيت ، قيل وملك النعمان بن المنذر أربعين سنة فلم ترمنه سقطة غير هذه وهوانه ركب يوما فبصر بجارية قد خرجت من الكنيسة فاعجبته جدا فدعا بعدى بن زيد وكان نديمه ووزيره فقال له يا عدى لقد رأيت جارية لئن لم اظفر بها انه الموت ولا بد من ان تلطف أو تتلطف لى حتى تجمع بينى وبينها قال ومن هى ، قال : سل عنها فقيل هى امرأة حكم بن عمرو رجل من اشرف الحيرة ، قال ، فهل اعلمت احدا ، قال : لا ، قال : فاكتمه فاذا اصبحت فجدد لحكم كرامة وبرا فلما أذن للناس بدأبه فاجلسه معه على سريره وكساه فاستعظم الناس ذلك فلما اصبح بدأ ايضا بالاذن له وبجله فانكر الناس ذلك فقالوا ، ما هذا الا لامر فصنع به ذلك اياما ثم قال له عدى ، ايها الملك عندك عشر نسوة فطلق

احداهن ثم قل له فليتزوجها ففعل فلما دخل عليه قال يا حكم ما كانت نفسى تسمح بهذا لولد ولا لوالد فتزوج فلانة فقد طلقتها فخرج حكم الى عدى فقال يا أباعو بمر ماصنع الملك باحد ماصنع بى وما أدرى بما أكافيه قال له عدى طلق امرأتك كما طلق لك امرأته ففعل وحظى بها عدى عنده وعلم حكم انه قد مكر به فى امرأته وفيه يقول الشاعر

ما فى البرية من أنثى تعادلها * إلا الذى أخذ النعمان من حكم

وحدث الفضل بن العباس عن الزبير بن بكار عن محمد بن بشير الخارجى قال ، قدم علينا رجلان من اهل المدينة يصيدان ومعهما نسوة والفساطيط مضروبة وكان سليمان بن عبد الله الاسلمى وابن اخ له مقيمين بناحية الروحاء فارسل النسوة الى سليمان وابن أخيه امالكما حاجة فى الحديث فرد الرسول ان يكن لنا فيه حاجة فكيف لنا بذلك مع ازواجكن فقلن انما خرج ازواجنا للصيد وقد بلغنا ان لكم صاحبا يعرف من طلب الصيد مالا يعرفه غيره فلو طرح لهم شيئاً من ذكره لاسرعوا اليه وتخلفتم وتحدثتم ماشئتم يعنين به محمد بن بشير فضى اليه سليمان وابن اخيه فقالا ، يا أبا محمد ارسل الينا النسوة بكذا وكذا وسألونى ان اخرجك الى الصيد فقلت لا والله لا افعل ولا اتعب ولا انصب وانتم تلهون وتتحدثون انا الذى أشد حبا وأكثر صبابة وشوقا فارسلا الى النسوة بمقالتى فارسلن الى رسولا وعاهدننى لئن أخرجتهم ليحتلن لى حتى اخلو معهن ليلة حتى الصبح فصرت اليهم وذكرت لهم الصيد فخرجوا معى فما زلت احدثهم بالصدق حتى اخذت فى الكذب مما يضارع الصدق حتى افنيته فاقمت معهم ثلاثة ايام ولياليها ثم انصرفوا من غير ان اصطدنا شيئاً فقلت فى ذلك

إنى انطلقتُ معى قومٌ ذوو حسبٍ * ما فى خلائقهم زهوٌ ولا حمقُ
إنى لأعجبُ منهم كيف أخدعُهم * أم كيف آفكُ قوماً ما بهم رهقُ
أظلُّ فى الارضِ ألهيهم وأخبرُهم * أخبارَ قومٍ وما كانوا ولاخلقوا
ولو صدقتُ لقلتُ القومُ قد دخلوا * حينَ انطلقنا وإنى ساعةَ انطلقوا
فلو أجاهدُ ماجاهدتُ دونكمُ * فى المشركين لأدركتُ الأولى سبقوا
إن كنتُ أبداً جارى من حلائلكم * والدهرُ ذو عنفٍ أيامهُ طرقُ
فإنّ كلَّ جديدٍ عائدٌ خلقاً * فلنْ يعودَ جديداً ذلكَ الخلقُ

قال فظفر اصحابى بالحديث والمغازلة وانابالجهد والخيبة مع ألم القيادة والتعب وكذب المحادثة ، وحدثنا وهب بن سليمان عن عمه الحسن بن وهب قال خرج محمد بن عبد الملك الزيات من عند الواثق ومزيد بن محمد بن ابى الفرج الهارونى وكيل عبد الله بن طاهر فاذا بجارية حسناء

فى منظرة لها فلما بصرت به ورأت موكبه وكان جميلا ظريفا أومأت اليه بالسلام وأومأت بيدها الى صدرها فأعجب بها فلما صار الى منزله دخلت اليه فرأيته بخلاف ما عهدت وكان لا يكتمنى شيئاً فقلت مالى أراك مدلهاً يا أبا الحسن قال رأيت شيئاً آنفا فيه مفكر ثم أنشأ يقول

وا بأبى مخضب * أومى الينا بيده
أومى بها يخبرنى * راحته فى كبده
أن الضنى فى جسدى * يخبرنى عن جسده
فليس للحاسد إلا * خصلة من حسده

ثم شرح لى القصة ثم انصرفت من عنده ووافيت مولى الجارية فسألته أن يبيعها فقال اشتريتها للامير عبد الله بن طاهر وليس الى بيعها من سبيل فلم أزل به حتى اشتريتها بخمسين الف درهم ووجهت بها اليه وكتبت اليه

هذا محبك مطوى على كمده * عبرى مدامعه تجرى على جسده
له يد تسأل الرحمن راحتها * مما به ويد أخرى على كبده

فقبلها وحسن موقعها عنده فولانى خراج ديار ربيعة فاصبت فيها الف الف درهم : قال السجستانى : أرق الرشيد ذات ليلة فوجه الى عبد الملك الاصمعى والى الحسين الخليع فاحضرهما وشكا اليهما مدافعة نومه وشدة أرقه وقال لهما . عللانى باحاديثكما وابدأ أنت يا حسين ، قال : نعم يا أمير المؤمنين خرجت فى بعض السنين منحدرا الى البصرة وممتدحا لآل سليمان فقصدت محمد بن سليمان بقصيدتى فقبلها وأمرنى بالمقام فخرجت ذات يوم الى المربد وجعلت المهالبة طريقى فأصابنى حر وعطش فدنوت من باب دار كبير لاستسقى فاذا أنا بجارية أحسن ما يكون كأنها قضيب يتثنى وسناء العينين زجاء الحاجبين مهفهفة الخصر حاسرة الرأس مفتوحة الجر بان عليها قميص لاذ جلنارى ورداء عدنى قد علت شدة بياض بدنها حمرة قميصها تتلألأ من تحت القميص بثديين كرمانتين وبطن كطى القباطى وعكن مثل القراطيس لها جمة جعدة المسك محشوة وهى يا أمير المؤمنين متقلدة خرزاً من ذهب والجوهر يزهر بين ترائبها وعلى صحن جبينها طرة كالسبج وحاجبان مقرونان وعينان كحلاوان وخدان أسيلان وأنف أقنى تحته ثغر كاللؤلؤ وأسنان كالدر وقد غلب جربانها سواد المسك والغالية ودابر العود النهدى على لبتها عبق الخلوق وهى والهة حيرى واقفة فى الدهليز وجائية تخطر فى مشيتها قد خالط صرير نعلها أصوات خلخالها كأنها تخطر على أكباد محبيها فهى كما قال الاوفوه الاودى

ليس منها ما يقال لها * كملت لو أن ذا كملا

كلُّ جزء من محاسنها * كائنٌ من حسنها مثلا
لو تمنّت في براعتها * لم تجد في حسنها بدلا

فهبتها والله يا أمير المؤمنين ثم دنوت منها لاسلم عليها فاذا الدار والدهليز والشارع قد عبقت بالمسك فسلمت عليها فردت السلام بلسان منكسر وقلب حزين محرق فقلت لها يا سيدتى أنى شيخ غريب أصابنى عطش فامرى لى بشربة من ماء تؤجرى . قالت : اليك عنى يا شيخ فانى مشغولة عن سقى الماء وادخار الاجر ، فقلت لها ، ياسيدتى لاية علة ، قالت ، لانى عاشقة من لا ينصفنى وأريد من لا يريدنى ومع ذلك فانى ممتحنة برقباء فوق رقباء ، قلت لها ، ياسيدتى هل على بسيط الارض من تريدينه ولا يريدك ، قالت ، انه لعمرى على ذلك الفضل الذى ركب الله فيه من الجمال والدلال ، قلت لها ، ياسيدتى فما وقوفك فى الدهليز ، قالت ، هو طريقه وهذا أوان اجتيازه ، قلت لها ، ياسيدتى هل اجتمعتما فى خلوة فى وقت من الاوقات أم حبّ مستحدث ، فتنفست الصعداء وأرخت دموعها على خديها كطلّ على ورد ، وأنشأت تقول .

وكنا كغصنى بانة وسط روضة * نشم جنا اللذات فى عيشة رغد
فافرد هذا الغصن من ذاك قاطعٌ * فيا من رأى فرداً يحنُّ إلى فرد

قلت لها ، ياهذه ما بلغ من عشقك هذا الفتى ، قالت ، أرى الشمس على حائطهم أحسن منها على حائط غيرهم وربما أراه بغتة فابهت وتهرب الروح عن جسدى وأبقى الاسبوع والاسبوعين بغير عقل ، قلت لها ، عزيز علىّ وأنت على ما بك من الضنى وشغل القلب بالهوى وانحلال الجسم وضعف القوى ما أرى بك من صفاء اللون ورقة البشرة فكيف لو لم يكن بك من الهوى شىء أراك كنت مفتنة فى أرض البصرة ، قالت ، كنت والله ياشيخ قبل محبتى لهذا الغلام تحفة الدلال والجمال والكمال ولقد فتنت جميع ملوك البصرة وفتننى هذا الغلام ، فقلت ياهذه ما الذى فرق بينكما ، قالت ، نوائب الدهر وأوابد الحدثان وحديثى وحديثه شان من الشان وأنبيك أمرى انى كنت اقتصدت فى بعض أيام النيروز فامرت فزين لى وله مجلس بانواع الفراش وأوانى الذهب ونضد نا الرياحين والشقائق والمنثور وأنواع النهار وكنت دعوت لحبيبى عدة من متظرفات البصرة فيهن من الجوارى جارية شهران وكان شراؤها عليه من مدينة عمان ثمانمائة الف درهم وكانت الجارية والعة بى وكانت اول من اجابت الدعوة وجاءتنى منهن فلما حصلت عندى رمت بنفسها علىّ تقطعنى عضاً وقرصاً ثم خلونا نتمزز القهوة الى ان يدرك طعامنا ويجتمع من دعونا فتارة هى فوقى وتارة انا فوقها فحملها السكر على ان ضربت يدها على

تكتى خلفها وزعت هى سرا و بلها وصارت بين نخذى كصير الرجال من النساء فبينا نحن كذلك اذا دخل على حبيبي وقد الزق قرطى بخلخالى فلما نظر الينا اشمأز لذلك وصدف عنى وعنها صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل اللجم وعض على أنامله وولى خارجا فانا ياشيخ منذ ثلاث سنين أسل سخيمته واستعطفه فلا ينظر إلى بعين ولا يكتب إلى بحرف ولا يكلم لى رسولا : قلت لها . ياهذه أمن العرب هو أم من العجم . قالت . هو من جلة ملوك البصرة . قلت . من أولاد نبابها أو من أولاد تجارها . قالت . من عظيم ملوكها . قلت لها . أشيخ هو أم شاب . فنظرت إلى شزرا وقالت . انك لاحمق أقول هو مثل القمر ليلة البدر امرد اجرد وطرة رقعاء كحنك الغراب تعلوه شقرة فى بياض عطر لباس ضارب بالسيف طاعن بالرمح لاعب بالنرد والشطرنج ضارب بالعود والطنبور يغنى و ينقر على أعدل وزن لا يعيبه شئ إلا انحرافه عنى لا نقصا لى منه بل حقد الما رآنى عليه . قلت . ياهذه وكيف صبرك عنه . فانشأت تقول

أما النهار فمستهام واله * وجفون عينى ساجفات تدمع
والليل قد أرعى النجوم مفكرا * حتى الصباح ومقلتى لا تهجع
كيف اصطبارى عن غزال شادن * فى لحظ عينيه سهام تصرع
وجه يضئ وحاجبان تقوسا * وكأن جبهته سراج يلمع
و بياض وجه قد أشيب بحمرة * فى وجنتيه كأنه مستجمع
والقد منه كالقضيب إذا زهى * والغصن فى قنوانه يترعرع
تمت خلائقه وأكمل حسنه * كمثال بدر بعد عشر أربع

قلت لها ياسيدتى ما اسمه وأين يكون ، قالت تصنع به ماذا قلت اجهد فى لقائه وانعرف الفصل بينكما فى الحال قالت على شريطة قلت ، وماهى قالت تلقانا اذا لقيته وتحمل لنا اليه رقعة قلت لا أكره ذلك قالت ، هو ضمرة بن المغيرة بن المهلب بن أبى صفرة يكنى بابى شجاع وقصره فى المربد الاعلى وهو اشهر من ان يخفى ثم صاحت فى الدار ياجوارى دواة وقرطاسا وشمرت عن ساعدين كانهما طومار افضة ثم حملت القلم وكتبت بسم الله الرحمن الرحيم سيدى تركى الدعاء فى صدر رقعتى بنبئ عن تقصيرى ودعائى ان دعوت يكون هجنة فلولا ان بلوغ المجهود يخرج عن حد التقصير لما كان لما تكلفته خادمتك من كتب هذه الرقعة معنى مع اياسها منك وعلمها بتركك الجواب سيدى فجد بنظرة وقت اجتيازك فى الشارع الى الدهليز تحيى بها نفسا ميتة

اسرى وأخطط بخط يدك بسطها الله بكل فضيلة رقعة فاجعلها عوضا من تلك الخلوات التى كانت بيننا فى الليالى الخاليات التى انا ذاكرتها سيدى الست لك محبة وبك مدنفة فان رجعت مولاى الى الاشبه بك وانقذتنى من عوارض التلف كنت لك خادمة ولك شاكرة فلما فرغت من الكتاب يا أمير المؤمنين ناولته اياى فقلت لها ياسيدتى قد وجب حقك على ولزمتك حرمتى لطول وقوفى عليك وكنت قد سألت شربة ماء قالت استغفر الله ما فهمنا عنك ثم صاحت فى الدار اخرجنا الينا شرابا من ماء وغير ماء فما كان الا ان اقبل ثلاثون وصيفة بايديهن الطاسات والجامات واقداح مملوءة ماء وثلجا وفقاعا وشرابا فشربت الماء ثم قلت ياسيدتى مع قدرتك على هذا من استواء الحال وكثرة الخدم والعبيد والجوارى فلم لا تأمرين احدى الجوارى ان تقف مراعية للغلام حتى اذا مر اعلمتك فتخرجين اليه قالت لا تغلط ياشيخ فتمثلت

عَبالةُ عُنقِ الليثِ من أجلِ أنهُ * إذا رامَ أمراً قامَ فيه بنفسهِ

ثم انصرفت عنها يا امير المؤمنين فلما اصبحت غدوت على محمد بن سليمان فوجدت مجلسه محتفلا بالملوك وابناء الملوك ورايت غلاما قد زان المجلس وفاق من فيه حسنا وجمالا قد رفعه الامير فوقه فسألت عنه فقيل ضمرة بن المغيرة فقلت فى نفسى بالحقيقة حل بالمسكينة ما حل هو والله قاتلها فيما أرى ثم قمت فقصدت المربد ووقفت على باب داره فاذا هو قد ورد فى موكب جليل فوثبت اليه وبالغت فى الدعاء والثناء ثم دنوت منه وفاوضته فى الذى جرى بينى وبينها وناولته الرقعة فلما قرأها ضحك ثم قال ياشيخ قد استبدلنا بها فهل لك فى ان تنظر الى البديل قلت نعم فصاح فى الدار ياجوارى اخرجن الينا الذيذ أفا كان الا إن طلعت جارية وضيئة الكمين ناهدة الثديين تمشى مشية مستوحل ترتج من دقة خصرها على كبر عجز هادات تخذين وعجيزتين تختطفان الاقس اختطافا على رأسها بطيخة من الكافور مكتوب على جبينها

آهٍ من الحبِّ آهْ * ما أقتلَ الحبَّ وأضناهْ

ودون ذلك مكتوب

غيارةٌ ميّاسةٌ فى الخطى * رخيمةُ الدلّ صيودٌ للرّجالِ

وقد كتبت بالغالية على عصابتها ثلاثة أسطر وهى

إذا غضبتْ رأيتَ الناسَ قتلى * وإنْ رضيتَ فأرواحٌ تعودُ

لها فى عينها لحظاتُ سحرٍ * تُميتُ بها وتُحيي من تُريدُ

وتسبي العالمينَ بمقلتيها * فكلُّ العالمينَ لها عبيدُ

فناولها الرقعة وقال اقرئي واجبي صاحبتك فلما قرأت الرقعة اصفرت وعرقت ومزقتها

وضربت بها فى وجه الغلام وغابت فى الستر فقال لى اما انت ياشيخ فاستغفر الله مما امشيت فيه قلت بل انت استغفر الله من هجرانك اياها وتركك اتيانها والله ماارى لها فى البشر نظيرا قال لا افضل ولوانها فى حسن يوسف وكمال حواء فخرجت ياامير المؤمنين وانا اجر ذيلى حتى وردت عليها فاستأذنت ودخلت فبدأت بى فقالت ماوراء الشيخ قلت البؤس واليأس قالت لا عليك فاين الله والقدر ثم امرت لى بخمسمائة دينار وعشرة اثواب وخرجت من عندها وانا ممتدح لا آل سليمان فلم يكن لى والله الا معرفة خبرها فى العام الذى عدت فيه الى البصرة فوردت عليها فوجدت على بابها امراً ونهياً واسبابا لا تكون الا على باب الخلفاء فاستأذنت فدخلت فاذا فوق راسها ثلاثون رجلا من شيوخ وشبان وخدم وقوف بسيوفهم فلما نظرت الى عرفتنى ووثبت الى وقبلت راسى وقالت ياشيخ الحمد لله الذى جعل العبيد بالصبر ملوكا وجعل الملوك بالتيه عبيدا ان الذين تراهم وقوفا اصحاب ضمرة يسلون سخيمتى ويسالوننى الرجوع له والله لا نظرت اليه فى وجه ولوانه فى حسن يوسف وكمال حواء فسجدت ياامير المؤمنين شماتة بضمرة وتفرباالى الجارية فقال بعض حجاب ضمرة مهلا ياشيخ فمن طاب محضره طاب مولده ثم انصرفوا فناولتنى خريطة فيها اوراق فقالت هذا اول ماورد علينا منه فاذا فيها ثوب خز ابيض يقق مكتوب فيه بماء الذهب بسم الله الرحمن الرحيم لولا تغاضى عليك ادام الله حياتك لوصفت شطراً من غدرك ولبسطت سوط عتبى عليك وحكمت سيف ظلامتى فيك اذ كنت الجانية على نفسك والمظهرة لسوء العهد وقلة الوفاء المؤثرة علينا غيرنا فخالفت هواى وفرشت نفسك لها على حالتى جد وهزل وصحو وسكر والمستعان الله على ما كان من سوء اختيارك ولقد ضمنت رقعتى هذه ابيات شعر انت المتفضلة بالنظر اليها وهى

قَطَعَ قلبي فراقُكم قِطَعاً * وكُنتُ أقضي لبينِكم جزَعا
ما تكحلُ العينُ بالرُّقادِ ولا * ينامُ جَنبي فى الليلِ مُضطجِعاً
لاعيشَ لى مذ نات ولا وجدَتْ * عيناىَ فى الارضِ قط متسعاً

قلت لها افلا تحدثيني كيف سليت عنه وابتلى قالت كيف لا احدثك افتصدت تفاحة جارية محمد بن سليمان فدعينا الى خورنق لمحمد بن سليمان فلما اطممنا دعت لنا بالشراب فبينا نحن كذلك اذا بحراقة سلطانية قد وردت وفيها عدة من ابناء الملوك وفيهم هذا العيار ولا علم لى بمكانه وكنت حملت العود وغنيت

أبلى فؤادي وشفنى الارقُ * والدمعُ منْ مُقلتيّ يستبقُ
منْ حُبِّ ظبي أغنّ ذى دَعج * وقلبُهُ للشقاءِ مُنطبقُ

فلما وجبت العتمة انصرفنا وأبطأت الجارية وأتاني هؤلاء القوم من عنده يسلون سخيمتي ويستعطفونني عليه ثم انصرفت عنها يا أمير المؤمنين ودخلت الحمام من ساعتي فما كان الا أن دخلت حتى أتاني غلامي فقال جماعة من جلة الناس قد طرقوا دارك يطلبونك فلبست ثيابي وخرجت مسرعا فاذا بضمرة قد كبس داري في عدة من الرؤساء فقال والله لا برحنا حتى تنفق علينا الخمسمائة دينار التي أخذتها من الجارية سيدتي قلت أي والله بالسمع والطاعة ثم جذبني الى نفسه فلم يزل يناظرني في أمرها حتى أقبل المساء ثم انصرف الى رحله فلما كان من الغد وردت له رقعة مع خادم وكيس فيه ألف دينار واستزارني فقبلت ذلك وصرت معه اليه فلما نظر الى تنحى عن مقعده وأقعدني ثم قال هذا قد أعددته للنيروز لسيدتي هدية وانت أولى من تجشم مع الخادم اليها قلت السمع والطاعة ثم صاح في الدار هاتوا الهدية فاذا مائة تخت من ثياب وصندوق من ذهب مقفل عليه فقال لي في التخت والصندوق مبلغ ثلاثين ألف دينار وانت أولى من تفضل بالايصال فصرنا اليها واستاذنا فاما مثلنا بين يديها أنكرتني وقالت من الشيخ قلت الخليع شاعر العراق ومعي هدية عبدك ضمرة فصاحت في الدار تلك فاذا جارية كانها الظبية المنفلتة من الشبكة قالت لها خذي هذه الهدايا وفرقيها على جواري الدار ثم قالت أيطمع الخصوص من أن يجتمع معي بعد قبولي الهدية في ثلاثين سنة قلت لها العفو عند المقدرة يعدل عتق رقبة قالت ففي خمس عشرة سنة قلت لها انقصيها أولى بك قالت ففي ثلاثة سنين قلت لها حطة أخرى وقد اجتمعنا قالت لا والله لا آكل ولا أشرب حتى آتيه وأمرت ان يسرج لها وبادرت الى باب ضمرة مبشرا فما وصلت أو سمعت صلاصل اللجم فاذا هي قد سبقتني في جواريها وخدمها فدخلت فاذاهما يتعانقان ويتعاتبان فقلت ياسيدتي ما أنتما الى شيء أحوج منكما الى خلوة قالا هو ذاك فانصرفت عنهما ثم بكرت عليهما فاذا هي في المرقد الاول جالسة عليها جبة وشي مطير وهي تعصر الماء عن ذوائبها وتصلح قرونها فاستحيتني وقالت لا تفكرن في ريبة فوالله ما صلينا البارحة حتى بعثت الى عبد الرحمن بن أبي ليلى القاضي فزوجت نفسي سيدي ولكن صر اليه فانه في المرقد الثاني فصعدت اليه فلما نظر الى وثب الى وقبل بين عيني وقال ياشيخ قد جمع الله بيني وبين سيدتي بك ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب الى ابن نوح الصيرفي في ثلاثة آلاف دينار فرجعت اليها فقالت بماذا برك سيدي فاقرأتها الرقعة فقالت نعجل اليك مثلها فدعت بمال وطيار ووزنت ثلاثة آلاف دينار ودعت بعشرة أثواب من ثياب مصر وقالت هذه وظيفتك علينا كل عام فخرجت من عندها وأخذت مرفوعي من آل سليمان وانصرفت الى العراق وكان الرشيد متكئاً فاستوى جالسا وقال أوه ياحسين لولا أن ضمرة سبقني اليها لكان لي ولها شان من الشان

﴿ ومنه مع الشعراء ﴾ قال استأذنت بنت لعبد الملك بن مروان في الحج فاذن لها وكتب

الى الحجاج يأمره بالتقدم الى عمر بن أبى ربيعة ان لا يذكرها فى شعره فلما بلغ عمر مقدمها لم يكن له همة الآن يتهيأ بأجمل ما يقدر عليه من الحلل والثياب وضربت لها قبة فى المسجد الحرام فكانت تكون فيها نهارا فاذا أمست تحولت الى منزلها لتنظر اليه وتجلس بازاء القبة وقد خبر عمر بشأنها فاذا أرادت الطواف أمرت جوارها فيسترنها بالمطارف فكانت تتطلع الى عمر كثيرا وكانت تسأل من دخل عليها عنه رجاء أن يكون قد قال شيئا فلم يفعل حتى قضت الحج ورحلت ونزلت من مكة على أميال فأقبل راكب من مكة فسألته من أين أقبلت ، قال من مكة ، قالت عليك وعلى فرقة أنت منها لعنة الله قال ولم يا ابنة عبد الملك قالت قدمنا مكة فاقمنا أشهرا أفما استطاع الفاسق عمر بن أبى ربيعة أن يزودنا من شعره أبياتا كنا نلهو بها فى سفرنا هذا قال فلعله قد فعل قالت فاذهب اليه واساله وتلك فى كل بيت تأتينى به منه عشرة دنانير فاقبل الرجل وأتى عمر ابن أبى ربيعة فاخبره الخبر فقال له قد فعلت ولكن أحب أن تكتم على قال افعل ثم انشده

راعَ الفؤادَ تفرُّق الاحبابِ * يومَ الرَّحيلِ فهاجَ لى أطرابى
فظلِلتُ مكتئباً أكفكِفُ عبرةً * سَحًّا تفيضُ كوابلِ الأسرابِ
لما تنادَوْا للرَّحيـلِ وقرّبوا * بُزُلَ الجمالِ لطيَّةٍ وذهابِ
كادالاسى يقضى عليك صبابةً * والوجهُ منك لبينِ إلفكَ كابى
قالت سُعيدةُ والدموعُ زوارِفٌ * منها على الخدَّينِ والجلبابِ
ليتَ المُغيرِى الذى لم نجزِهِ * فيما أطالَ تصيدِّى وطلابى
كانتْ تردُّلنا المُنى أيامنا * إذ لا نُلامُ على هوىً وتصابى
أيامَ نكتمُ ودِّنا ونودُّهُ * سرًّا مخافةَ منطِقِ المغتابِ
أُخبرْتُ ما قالتْ فبتُّ كانما * يُرمى الحشا بنوافذِ النشّابِ
فبعثتُ جاريتى وقلتُ لها اذهبى * قولى لها فى خفيةٍ وقرابِ
أسُعيدُ ما ماءُ الفراتِ وطيبُهُ * منى على ظمأٍ وطيبِ شرابِ
بألذَّ منكِ وإنْ نأيتِ وقلَّما * ترعى النساءُ أمانةَ الغيّابِ
إنْ تبذُلى لى نائلا أشفى به * سقمَ الفؤادِ فقدْ أطلتِ عذابى
وعصيتُ فيكِ أقاربى فتقطعتْ * بينى وبينهمُ عُرى الأسبابِ
فبقيتُ كالمهرِيقِ فضلةَ مائهِ * فى حرِّ هاجرةٍ للمعِ سرابِ

ثم أتى اليها بالابيات فاعجبت بها وأمرت جوارها بحفظها ثم وفت له بما وعدت وسلمت اليه فى كل بيت عشرة دنانير وقال أخبرنا محمد بن خلف قال أخبرنى ابو بكر العامرى قال حدثنى

موسى بن عمر بن أفلح مولى فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قال حدثني بلال مولى ابن أبي عتيق قال قام الحارث بن عبد الله بن عباس بن ابي ربيعة من الحج فاتاه ابن ابي عتيق ، فقال ، كيف تركت ابا الخطاب فقال هجرت الثريا عمر فقال

مَنْ رَسولي إلى الثريا فإني * ضِقْتُ ذرعاً بهجرها والكتابِ
سَلبتني مُجاجةُ المِسْكِ عقلي * فَسَلوها بما يحلُّ اغتصابي
أبرزوها مثلَ المهاة تَهادى * بين خمسٍ كواعبٍ أتراب
وهي مَمْكورةٌ تَحَيَّر منها * في أديم الخدَّين ماءُ الشباب
وتكنفنها كواعبُ بيضٌ * واضحاتُ الخدودِ والاقراب
في سِخاب من القرنفلِ والدُّ * رُّ نفيسٍ واهاً لهُ من سِخاب
قلتُ لما ضربْنَ بالسَّجف دوني * ليسَ هذا لودِّنا بثواب
فتبدَّتْ حتى إذا جُنَّ قلبي * حالَ دوني ولائدٌ بالثياب
حين شبَّ القَتولَ والعنقَ منها * حُسْنُ لون يلف كالزرياب
ذكرتني ببهجةِ الشمسِ لمّا * طلعتْ في دُجُنَّةٍ وسحاب
دُمْية عندَ راهبٍ وقسيس * صوَّرُوها في مذبح المحراب
فارجحنَّتْ في حُسنِ خَلق عميم * تتهادى في مشيها كالحباب
ثمَّ قالوا تُحبُّها قلت بهراً * عددَ الرَّملِ والحصا والتُّراب

وقال لغلامه انطلق بكتابي هذا الى ابن ابي عتيق بالمدينة فادفعه اليه فاقبل الغلام بالكتاب حتى دفعه اليه فلما قرأه قال والله أنا رسوله اليها فسار حتى قدم مكة لا يعلم به اهله فاتى منزله فوجده غائبا فانطلق غلام عمر الى عمر ، فقال ، ان رجلا قدم وهو يطلبك من شأنه وهيئته كذا ، قال ، ويحك ذلك ابن ابي عتيق اذهب اليه فقل له ان مولاي ياتيك الآن وكان عمر على فرسخين بل على راس ثلاثة اميال من مكة فاتاه الغلام فاخبره فقال اسرج لي انت برذون عمر فان دابتي قد تعبت وكلت فاسرجه له فركب واتى الحي فصهل البرذون وسمعت الثريا صهيله ، فقالت لجوار بها هذا هو برذون الخبيث عمر ثم دعت ببغلة لها فوضعت عليها رحلها فخرجت فاذا هي بابن ابي عتيق فقالت مرحبا بعمي ماجاء بك ياعم ، قال ، انت والفاسق جئتها بي قالت اما والله لو بغيرك تحمل علينا ما اجبناه ولكن ليس لك مدفع امر ربنا نحوه فاقبل حتى انتهى الى عمر فخرج عمر اليه وقبل يده ثم قال انزل جعلني الله فداك ، فقال ماء مكة على حرام حتى اخرج منها ثم دعا ببغلته فركبها وانصرف الى المدينة وخلا عمر بالثريا . وحدث الزبير ابن بكار عن

أبى محرم عن ابراهيم بن قدامة قال قال عمر بن أبى ربيعة ألا أحدثك حديثاً حلواً ، قال قلت نعم قال بينا أنا جالس اذ جاءنى خالد الخريت ، فقال يا أبا الخطاب هل لك فى هند وصواحبها فقد خرجن الى نزهة ، قلت وكيف لى بذلك قال تلبس لبسة أعرابى وتعتم عمامته وتركب مركبه كانك ناشد ضالة ، قال ففعلت وجئت حتى وقفت عليهن أنشد ضالتى فقلن إنزل فنزلت وقعدت أحادثهن وأغازلهن فلما رمت النهوض قالت لى هند اجلس لا جلست أنت الا ترى أنك وقفت علينا غريبا ونحن والله وقفنا على غريتك نحن بعثنا خالداً وخدعناه وأطمعناه فى أنفسنا حتى جاء بك فقال خالد صدقن والله خدعننى وخدعنك فجلست وتحدثنا فانشدتهن ، فقالت هند ياسيدى لقد رأيتنى منذ أيام وقد أصبحت عند أهلى فادخلت رأسى فى جيبى ونظرت الى هنى فاذاهو مل ْ الكف ومنية المتمنى فناديت ياعمراه ياعمراه ياعمراه ، قال عمر : فقلت يالبيك يالبيك يالبيك ثلاثا ومددت فى الثالثة صوتى فضحكت وحادثتهن ساعة ثم ودعتهن وانصرفت فذلك قولى

عَرَفْتُ مَصِيفَ الحَيِّ والمتربعا * ببطن حُلَيَّاتٍ دَوَارِسَ بلقعاً
إلى السَّفح من وادى المغمس بدَّلت * معالمه وبلاً ونكباء زعزعا
لهندٍ وأترابٍ لهندٍ إذ الهوى * جميعٌ وإذ لم نخش أن يتصدعا
وإذ نحن مثلُ الماء كان مزاجُهُ * إذا صفق السّاقى الرّحيق المشعشعا
وإذ لا نطيع الكاشحين ولا نرى * لواشٍ لدينا يطلبُ الصّرمَ مطمعا

وقال عمر ما رأيت يوما غابت عواذله وحضرت عوادره بأحسن من يومنا ولا صبوة كصبوتنا ولا قيادة كقيادة خالد ولا أملح ولقد وصفت ذلك فى شعر ، فقلت فى تمام ما تقدم

أتانى رسولٌ من ثلاثِ حرائرٍ * ورابعةٍ تزكوها الحسنُ أجمعا
فقلتُ لمُطْريهنَّ فى الحسن إنما * ضررت فهل تستطيعُ نفعاً فتنفعا
لئن كان ماحدّثتَ حقّا لما أرى * كمثل الاولى أطريتَ فى الناسِ أربعا
وهيّجتَ قلباً كان قد ودّع الصبا * وأشياعهُ فاشفع عسى أن تُشفعا
فقال تعالَ انظر فقلت فكيف لى * أخافُ مقاما أن يشيعَ ويشنعا
فقال اكتفل ثم التثم وأت باغيا * فسلّمْ ولا تُكثرْ بأن تتورعا
فإنى سأخفى العينَ عنك ولا ترى * مخافة أن يفشو الحديثُ فيُسمعا
فاقبلت أهوى مثل ما قال صاحبى * لموعده أزجى قعوداً موقّعا
فلمّا تواقفنا وسلّمتُ أشرقتْ * وُجوهٌ زهاها الحُسنُ أن تتقنّعا

تباهلنَ بالعرفان لمّا عرفنني * فقلن امرؤ باغ أضلّ وأوضعا
فلما تنازعن الاحاديث قلن لي * أخفت علينا ان نغرّ ونخدعا
فماجئتنا الا على وفق موعد * على ملاء منا خرجنا له معا
رأينا خلاء من عيون ومجلسا * دميث الثرى سهل المحلة ممرعا
وقلن كريم نال وصل كرائم * وحق له في اليوم أن يتمتعا
وفيهن هند تكمل الهم والمنى * وإخداع عيني كلما رمت مهجعا
قال ولما أنشد عمر بن أبي ربيعة بن أبي عتيق قصيدته التي يقول فيها :
فاتتها طبّة عالمة * تخلط الجد مرارًا باللعب
ترفع الصوت إذ لانت لها * وتراخى عند سورات الغضب
قال ابن أبي عتيق امرأتي طالق ان لم يكن الناس في طلب مثل هذه مذ قتل عثمان يجعلونها خليفة فلم يقدر واعليها وأنت تريدها قوادة ، قال ولما هجا كثير بني ضمرة فقال
ويحشر نور المسلمين أمامهم * ويحشر في أستاه ضمرة نورها
اشتدت بنو ضمرة عليه وعلى عزة وأرادوا قتله ووضعوا العيون فمكث شهرا لا يصل اليها فالتقى جميل وكثير فشكى أحدهما الى صاحبه مايلقى ، فقال جميل أنا رسولك الى عزة فاخبرني ما كان بينكما ، قال آخر مالقيتها بالطلحة مع أتراب لها قال فاتاهم جميل وهو ينشد ذودا له فقطنت عزة ، فقالت تحت الطلحة ألتمس ذودا هناك فانصرف جميل فاخبر كثيرا فلما كان في بعض الليل أتيا الطلحة وأقبلت عزة وصاحبة لها فتحدثا مليا وجعل كثير يرى عزة تنظر الى جميل وكان جميلا وكثير دميما فغضب كثير وغار عليها وقال لجميل انطلق بنا قبل أن يصبح علينا الصبح فانطلقا فعند ذلك يقول
رأيت ابنة الشبلى عزة أصبحت * كمحتطب مايلقى بالليل يحطب
وكانت تمنينا وتزعم أننا * كبيض الأنوق في الصفا المتغيب
ثم قال كثير لجميل متى عهدك ببثينة ، قال في أول الصيف بوادي الدوم ومعها جوار لها يغسلن ثيابا فخرج كثير حتى أناخ بهم وهو يقول
وقلت لها ياعز أرسل صاحبي * على بعد دار والرسول موكل
بأن تجعلي بيني وبينك موعدا * وأن تأمريني بالذي فيه أفعل
أما تذكرين العهد يوم لقيتكم * بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل
فعلمت بثينة ما أراد فصاحت اخسأ اخسأ فقال عمها ماداهاك يابثينة ، قالت ان كلبا يأتينا

من وراء هذا التل فيأ كل ما يجد ثم يرجع فرجع كثير . وقال لجميل قد وعدتك التل فدونك فخرج جميل وكثير حتى انتهيا الى الدومات وقد جاءت بثينة فلم تزل معه حتى برق الصبح وكان كثير يقول ما رأيت مجلسا قط أحسن منه . عمر بن شبة عن اسحق ابن ابراهيم الموصلي . قال حدثني شيخ من خزاعة قال ذكرنا ذا الرمة وعندنا عصمة بن مالك الفزاري وهو يومئذ ابن عشرين ومائة سنة فقال اياي فاسألوا عنه كان من أظرف الناس خفيف العارضين آدم حلو المضحك اذا أنشد اختصر وأتاني يوما فقال ان مية منقرية وان بني منقر أخبث حي واعلمه بأثر فهل عندك من ناقة نزورها عليها قلت أي والله عندي اثنتان قال فسرنا فخرجنا حتى أشرفنا على الحي وهم خلوف فعرف النساء ذا الرمة فعدلن بنا الى بيت مي وأنخنا عندهن فقلن لذي الرمة أنشدنا يا أبا الحارث فقال أنشدهن فانشدتهن قوله

نظرت الى أظعان مي كأنها * ذرى النخل أو أثل تميد ذوائبه
فأسبلت العينان والصدر كاتم * بمغرورق نمت عليه سواكبه
بكى وامق جاء الفراق ولم تجل * جوائلها أسراره ومعاتبه

فقالت ظريفة منهن ابكِ اليوم فمررت فيها حتى انتهيت الى قوله

إذا سرحت من حب مي سوارح * على القلب آبته جميعاً عوازبه

فقالت الظريفة قتلته قتلك الله فقالت ما أصحه وهنيئاً له فتنفس ذو الرمة تنفسا كادت حرارته تساقط لحمي ثم مررت فيها حتى انتهيت الى قوله

وقد حلفت بالله مية ما الذي * أقول لها إلا الذي أنا كاذبه
إذا فرماني الله من حيث لا أرى * ولا زال في أرضي عدو أحاربه

فالتفتت مي الى ذي الرمة فقالت ويحك خف عواقب الله ثم أنشدت الى أن انتهيت الى قوله

إذا نازعتك القول مية أو بدا * لك الوجه منها أو نضا الدرع سالبه
فيا لك من خد أسيل ومنطق * رخيم ومن خلق يعلل جاذبه

فقالت تلك الظريفة أما القول فقد نازعتك والوجه فقد بدا لك فمن لنا بان ينض الدرع سالبه فقالت لها مي قاتلك الله ما أنكر ما تجيئين به اليوم فتحادثنا ساعة ثم قالت تلك الظريفة ما أحوج هذين الى الخلوة فنهضت وسائر النساء فصرت الى بيت قريب منهما حيث أراهما فما ارتبت بشيء ولا رأيت أمراً كرهته فلبث ساعة ثم أتاني ومعه قارورة وثلاث قلائد فقال هذا طيب زودتناه مي وقلائد أتحفتك بها ابنة الجودي فكنا نختلف اليها حتى انقض المربع ودعانا الصيف فرحلوا فأقبلنا وأتاني ذو الرمة فقال قد ظعنت مي فلم يبق الا الديار والنظر الى الآثار فاخرج

بنا الى دارها فخرجت معه حتى اذا وقفنا عليها أنشأ يقول

ألا فاسلمي يادَارمىّ على البلى * ولا زالَ مُنهلاً بجرعائك القطرُ

حتى أتى على آخرها ثم انهملت عيناه بعبرة . فقلت له ماهذا فقال . انى لجليد وان كان مني ماترى فما رأيت أحداً أحسن شوقاً وصبابة وعزاء منه : وعن سليمان راوية أبي نواس . قال كنت مع ابى نواس أسير حتى انتهينا الى درب القراطيس فخرج من الدرب شيخ نصرانيّ وخلفه غلام كانه غصن بان يثنى كاحسن مارأيت فقال ياسليمان اماترى الدرة خلف البعرة ثم قال هل لك ان تأخذمني رقعة فتوصلها اليه قلت بلى فكتبها ودفعها الى فاوصلتها اليه فاذا املح غلام واخفه روحا فقال من صاحب الرقعة قلت ابونواس . قال أين هو . قلت على باب درب القراطيس قال فليقف مكانه حتى اروح وكان فى الرقعة

تمرُّ فاستحييك أنْ أتكلما * ويثنيك زهوُ الحسنِ عن أن تُسلّما

ويهتزُّ فى ثوبيك كلَّ عشيةٍ * قضيبٌ من الريحانِ أضحى منعماً

فحسبك أنَّ الجسمَ قد شفهُ الهوى * وأنّ جفوني فيك قد ذرفت دما

أليسَ عجيبٌ عندَ كلِّ موحدٍ * غزالٌ مسيحيٌّ يعذبُ مسلماً

فلولا دخولُ النارِ بعدَ تنصُّرٍ * عبدتُ مكانَ اللهِ عيسى بن مريما

وحدثنا الجماز قال كنت يوما على باب عدى الدراع فمر بى ابونواس شبيها بالمجنون فاذا خلفه غلام كانه مهر عربى فقلت له مالك فقال

إنَّ الرَّزيةَ لارزيةَ مثلُها * عوزُ المكانِ وقد تهيا المركبُ

فعدلت به وبالغلام فاقاما سائر يومهما قال وكان عبيدالله بن يحيى يعشق غلاما من دار المتوكل يقال له رشيق فلا يصل اليه حتى طال ذلك عليه وكان ابوالاخطل يخلفه فى الموكب وينبسط اليه فقال له عبيدالله يوما ياابا الاخطل من لى برشيق فقال الصفر الصغار والبيض الصحاح وجعل عبيدالله يلقى رشيقا فى الدار فيخلو به ويساره ويعطيه مائة دينار فى كل لقية الى ان علم رشيق بما فى نفس عبيدالله وكان يتعذر عليهما الاجتماع لقضاء الوطر واللذة . فركب أمير المؤمنين يوما ومعه أبوالاخطل فطلب عُبيدالله وتعمد أبوالاخطل رشيقا فرده اليه فلما ظفر به فى منزله خاليا قضى حاجته منه وركب بريد أمير المؤمنين مسرعا فوصل الى الموكب وقد تصبب عرقا فقال ابوالاخطل

لاخيرَ عندي فى الخليلِ ينامُ عن سهرِ الخليل

قولوا لاكفرِ من رأيتُ لكلِّ معروفٍ جليلِ

هل تشكرن لى الغداة تلطفى لك فى الرسول
إذ نحن فى صيد الجبال وأنت فى صيد السهول

﴿ ماقيل فيه من الشعر ﴾

وتمشيت فى الجيل فأسرعت * وإن كنت لست تات جميلا
إن من مد للقيادة رجلا * لحرى بأن يكون نبيلا

وقال آخر

لهواه لإيلاف * وملاه لاختلاف
ليس يقرأ من كتاب الله إلا لإيلاف

وقال آخر

إن الرقاشى من تكرمه * بلغه الله منتهى همه
يبلغ من بره ورأفته * حملان أضيافه على حرمه

﴿ ومن محاسن ذلك ﴾ حدثنا على بن الحسين بن على بن عثمان بن على بن الحسن قال كانت ضمير جارية مولدة لميمونة بنت الحسن بن على بن زيد فادبتها وعلمتها الغناء فبرعت فيه وكانت من أحسن الناس وجها وبدنا وأبرعهم غناء وضربا فأعطيت بها مولاتها عشرة آلاف دينار فلما رادت ان تبيعها وأحضر المال بكت وقالت ياسيدتى ربيتنى واتخذتينى ولدا ثم تريدين بيعى فاتغرب عنك ولا أرى وجهك قالت أشهد الله ومن حضر أنك حرة لوجه الله فلما ماتت ميمونة خطبها آل أبى طالب وغيرهم فغلب عليها جعفر بن حسن بن حسين فتزوجها وأحبها حبا شديدا فقدم بها البصرة فقال على بن الحسين وكان يجالسها ويسمع غناءها فأردت الخروج الى الرضى بخراسان فودعت جعفرا وخرجت فأقمت بالاهواز أياما أتهيأ للخروج على طريق فارس فورد على كتاب جعفر أنه قد وقع بينه وبين ضمير شر وأنها قد أغلظت له حتى تناولها ضاربا وانها على مفارقته وسالنى القدوم لا صلح بينهما فقال على بن الحسين وكانت لى حاجة بالرضى وكنت أرجو لذلك فى وجهى منه ومن المأموم الغنى فلما قرأت كتابه لم أعط صبرا حتى انصرفت راجعا الى البصرة فجئت الى جعفر افاوقمت به شتما وعذلا ثم أرسلت اليها أقسمت عليك بحقى الا رجعت فخرجت مرهاء شعثة وسخت الثياب حتى جلست فجلست بينهما فاقبل جعفر يعطينى من قسمه لها كل ما أريد وهى ساكتة ثم قلت ياجارية هاتى العود فاخذته فاصلحت منه حتى تغنت وهى تبكى ودموعها تنكف

أرتجى خالقى وأعلم حقا * أنه مايشاء ربى كفانى

لا تلمني وارفق خليلي بشاني * إنه ما عناكَ يوما عناني

قال علي بن الحسين فوالله ما رأيت أحسن منها ولا أرق من غنائها بهذا الصوت فما برحت حتى اصطلحا والمتنى والله عن الغنى فقمت بالبصرة، وعن الكلبي قال بينا عمر ابن أبي ربيعة يطوف بالبيت في حال نسكه فاذاهو بشاب قد دنا من شابة ظاهرة الجمال فالقى اليها كلاما فقال له عمر يا عدو الله في بلد الله الحرام وعند بيته تصنع هذا فقال يا عماه انها ابنة عمي وأحب الناس الي واني عندها لكذلك وما كان بيني و بينها من سوء قط أكثر مما رأيت قال ومن أنت قال أنا فلان ابن فلان قال أفلا تتزوجها قال أبى علي أبوها قال ولم قال يقول ليس لك مال فقال انصرف والقنى فلقيه بعد ذلك فدعى ببغلته فركبها ثم أتى عم الفتى في منزله فخرج اليه فرحا بمجيئه و رحب وقرب فقال ما حاجتك يا أبا الخطاب قال لم أرك منذ أيام فاشتقت اليك قال فانزل فانزله وألطفه فقال له عمر في بعض حديثه اني رأيت ابن أخيك فعجبني تحركه وما رأيت من جماله وشبابه قال له اجل ما يغيب عنك افضل مما رأيت قال فهل لك من ولد قال لا الا فلانة قال فما يمنعك ان تزوجه اياها قال انه لا مال له قال فان لم يكن له مال فلك مال قال فاني اضن به عنه قال لكني لا اضن به عنه فزوجه واحتكم قال مائة دينار قال نعم فدفعها عنه وتزوجها الفتى وانصرف عمر الى منزله فقامت اليه جارية من جواريه فاخذت رداءه والقى نفسه على فراشها وجعل يتقلب فاتته بطعام فلم يتعرض له فقالت اظنك والله قد وجدت بعض ما كان يعرض لك من حكم النساء فلا تكتمها فقال هاتي الدواة فكتب

تقولُ وليدتي لما رأتني * طربتُ وكنتُ قد أقصرتُ حينا
أراكَ اليومَ قد احدثتَ شوقا * وهاجَ لك الهوى داء دفينا
وكنتَ زعمتَ انكَ ذو عزاء * إذا ما شئت فارقتَ القرينا
بعيشِكَ هلْ أتاكَ لها رسولٌ * بسرِّكَ أم لقيتَ لها خدينا
فقلتُ شكا إليَّ أخٌ مُحبٌ * كبعضِ زماننا إذْ تعلمينا
وذو القلبِ المصابِ ولوْ تعزّى * مشوقٌ حين يلقى العاشقينا
فقصَّ عليَّ ما يلقى بهندٍ * وأشبهَ ذاك ما كنا لقينا
فكم منْ خلّةٍ أعرضتُ عنها * وكنتُ بودِّها دهراً ضنيناً
أردتُ فراقها فصبرتُ عنها * ولو جنَّ الفؤادُ بها جنونا

قال وقال عمر بن ابي ربيعة بينا انا خارج محرما اذ اتتني جارية كانها دمية في صفاء اللجين في ثوب قصب كقضيب على كثيب فسلمت علي وقالت انت عمر بن ابي ربيعة فتى

قريش وشاعرها قلت أنا والله ذاك قالت فهل لك أن أريك أحسن الناس وجها قلت ومن لى بذلك قالت أنا والله لك بذلك على شريطة قلت وماهى قالت أعصبك وأربط عينيك وأقودك ليلا قلت لك ذاك قال فاستخرجت معجراً من قصب عجرتنى به وقادتنى حتى أتت بى مضربا فلما توسطته فتحت العجارة عن عينى فاذا أنا بمضرب ديباج أبيض مزرر بحمرة مفروش بوشى كوفى وفى المضرب ستارة مضروبة من الديباج الاحمر عليها تماثيل ذهب ومن ورائها وجه لم أحسب أن الشمس وقعت على مثله حسناً وجمالا فقامت كالخجلة وقعدت قبالتى وسلمت على فخيل لى أن الشمس تطلع من جبينها وتغرب فى شقائق خدها قالت أنت عمر بن أبى ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت أنا ذلك يامنتهى الجمال قالت أنت القائل

بينما ينعتننى أبصرننى * دون قيد الميل يعدو بى الاغر
قالت الكبرى أتعرفن الفتى * قالت الوسطى بلى هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمتها * قد عرفناه وهل يخفى القمر

قلت أنا والله قائلها ياسيدتى قالت ومن هؤلاء قلت ياسيدتى والله ماهو عن قصد منى ولا فى جارية بعينها ولكنى رجل شاعر أحب الغزل وأقول فى النساء قالت ياعدو الله يافاضح الحرائر أنت قد فشا شعرك بالحجاز وأنشده الخليفة والامراء ولم يكن فى جارية بعينها ياجوارى أخرجنه فخرجت الوصائف فاخرجننى ودفعننى الى الجارية فعجرتنى وقادتنى الى مضربى فبت بليلة كانت أطول من سنة فلما أصبحت بقيت هائما لا أعقل ما اصنع فمازلت ارقب الوقت فلما كان وقت المساء جاءتنى الجارية وسلمت على وقالت ياعمر هل رأيت ذلك الوجه قلت اى والله قالت فتحب ان اريكه ثانية قلت اذا اكرمت فتكونين اعظم الناس على منة فقالت على الشريطة فاستخرجت المعجر وعجرتنى وقادتنى فلما توسطت المضرب فتحت العصابة عن وجهى فاذا انا بمضرب ديباج احمر مدثر ببياض مفروش بفرش ارمنى فقعدت على نمرقة من تلك النمارق فاذا انا بالشمس الضاحية قد اقبلت من وراء الستر تمايل من غير سكر فقعدت كالخجلة فسلمت على وقالت انت عمر بن ابى ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت انا ذاك قالت انت القائل

وناهدة الثديين قلت لها اتكى * على الرمل فى ديمومة لم توسد
فقالت على اسم الله أمرك طاعة * وإن كنت قد كلفت مالم أعود
فمازلت فى ليل طويل ملثما * لذيذ رضاب المسك كالمتشهد
فلما دنا الاصباح قالت فضحتنى * فقم غير مطرود وإن شئت فازدد

ثم ازددت منها وانشحت بمرطها * وقلت لعيني اسفحا الدمع من غد
فقامت تعفي بالرداء مكانها * وتطلب شذرا من جمان مبدد

قلت أنا قائلها قالت فمن الناهدة الثديين قلت ياسيدتي قد سبق في الليلة الاولى والله ماهو مني قصدولا في جارية بعينها ولكني رجل شاعر احب الغزل واقول في النساء قالت ياعدو الله انت قد فشا شعرك بالحجاز ورواه الخليفة وتزعم انه لم يكن في جارية بعينها ياجواري ادفعنه فوثبت الجواري فأخرجنني ودفعنني الى الجارية فعجرتني وقادتني الى مضربي فبت في ليلة كانت اطول من الليلة الاولى فلما اصبحت امرت بخلوق فضرب لي وبقيت ارقب الوقت هائما فلما كان وقت المساء جاءتني الجارية فسلمت علي وقالت ياعمر هل رايت ذلك الوجه قلت اي والله قالت افتحب ان اريكه الثالثة قلت اذا تكونين اعظم الناس علي منة قالت على الشريطة قلت نعم فاستخرجت المعجر وعجرتني به وقادتني حتى انت بي المضرب فلما توسطته فتحت العصابة عن عيني فاذا انا في مضرب ديباج اخضر مدنر بحمرة مفروش بخز احمر واذا انا بالشمس الضاحية قد اقبلت من وراء الستر كحور الجنان فسلمت علي وقالت انت عمر بن ابي ربيعة فتى قريش وشاعرها قلت انا ذاك قالت أنت القائل

نعب الغراب ببين ذات الدملج * ليت الغراب ببينها لم يشحج
مازلت أتبعهم وأتبع عيسهم * حتى دفعت إلى ربيبة هودج
قالت وعيش أخي وحرمة والدي * لأنبهن الحي إن لم تخرج
فلثمت فاها آخذا بقرونها * شرب النزيف ببرد ماء الحشرج
فتناولت كفي لتعرف مسها * بمخضب الاطراف غير مشنج

قلت أنا قائلها : قالت : ياعدو الله أنت الذي فضحتها ونفسك وجهي من وجهك حرام ان عدت الي ياجواري أخرجنه فوثب الي الوصائف وأخرجنني ودفعنني الى الجارية فعجرتني وقادتني وقد كنت عند خروجي من مضربي ضربت يدي بالخلوق وأسدلت عليها ردائي فلما صرت الى باب مضربها اخرجت يدي ووضعتها على جانب المضرب وضعا بينا فلما أصبحت بعثت بغلماني وعبيدي ولي الف عبد من اتاني بخبر المضرب الذي ضرب فيه بكذا وكذا فهو حر لوجه الله فلما كان في وقت المساء اتت وليدة سوداء ، فقالت . قد عرفت المضرب وهو لرملة اخت عبد الملك بن مروان فاعتقتها وامرت لها بمائتي دينار وامرت بمضربي فقلع وضرب بحذاء مضربها وكتب بالخبر الى عبد الملك بن مروان فكتب اليها بالرحيل فركبت هودجها وركبت فرسي فزاحمتها في بعض الطريق فاشرفت علي من هودجها ، فقالت . اليك

عني أيها الرجل، قلت. خاتم أو قميص اذكرك به، فقالت، لبعض جوار بها التي اليه قميصا من قمصي فاخذته وانا أقول

فلا وأبيكَ ماصوتُ الغواني * ولاشربُ التي هي كالفصوصِ
أرَدْتُ برحلتي وأريد حظا * ولا أكلَ الدّجاجِ ولا الخبيصِ
قميصٌ ما يُفارقني حياتي * أنيس في المُقامِ وفي الشُّخوصِ

وجعلت أنزل بنز ولها وأركب بركوبها حتى كنا من الشام على ثلاث مراحل فاستقبلها عبد عبد الملك في خاصته فدخل اليها، ثم قال يا رملة ألم أنهك أن تطوفي بالبيت الا ليلا يحفك الجواري و يحف الجواري الخدم الوكلاء لئلا يراك عمر بن ابي ربيعة، قالت والله وحياة أمير المؤمنين ما رآني ساعة قط فخرج من عندها فبصر بمضربي، فقال، لمن المضرب قيل لعمر بن ابي ربيعة قال عليّ به فاتيته بلا رداء ولا حذاء فدخلت عليه وسلمت عليه فقال يا عمر ما حملك على الخروج من الحجاز من غير اذني ، قلت شوقا اليك يا امير المؤمنين وصبابة الى رؤيتك فاطرق مليا ينكت في الارض بيده ثم رفع رأسه فقال يا عمر هل لك في واحدة، قلت وماهي يا أمير المؤمنين قال رملة ازوجكها قلت يا امير المؤمنين وان هذا الكائن ، قال أي ورب السماء ثم قال قد زوجتك فادخل اليها من غير أن تعلم فدخلت عليها فقالت من انت هبلتك امك فقلت يا سيدتي انا المعذب في الثلاث فارتحلت وانا عديلها فانشأت اقول

لعمري لقد نلتُ الذي كنتُ أرتجي * وأصبحتُ لاأخشى الذي كنتُ أحذر
فليس كمثلي اليومَ كسرى وهرمزٌ * ولا الملكُ النُّعمانُ مثلي وقيصر

فلم ازل معها باحسن عيش وغبطة

﴿ محاسن الديب ﴾

الاصمعي. قال، اخبرني رجل من بني اسد انه خرج في طلب ابل قد ضلت فبيناهو يسير في بلاء وتعب وقدامسى في عشية باردة اذ رفعت له أعلام. قال. فقصدت بيتا منها فاذا انا بامرأة جميلة ذات جزالة فسلمت فردت عليّ السلام ثم قالت ادخل فدخلت فبسطت لي ومهدت واذا في حجرها صبي اطيب ما يكون من الولدان فبيناهي تقبله اذ أقبل رجل امام الابل دميم المنظر ضئيل الجسم كانه بعرة دمامة واحتقارا فلما بصر به الصبي هش اليه وعدا في تلقائه فاحتمله وجعل يقبله ويفديه. فقلت. في نفسي أظنه عبدا لها فجاءني ووقف بباب الخيمة وسلم فرددت عليه السلام، فقال، من ضيفكم هذا فاخبرته فجلس الى جانبها وجعل يداعبها فطفقت أنظر اليها تارة واليه أخرى اتعجب من اختلافهما كانها الشمس حسنا وكانه القرد قبحا ففطن لنظري. وقال.

يا أخا بني اسد أرى عجبا . قال . تقول احسن الناس وجها واقبح الناس وجها فليت شعري كيف جمع بينهما أخبرك كيف كان ذلك . قلت ما أحوجني الى ذلك : قال . كنت سابع اخوتي كلهم لو رأيتني معهم ظننتني عبد ألهم وكان أبي واخوتي كلهم أصحاب ابل وخيل وكنت من بينهم مطر وحا لكل عمل دني لا عبودية تارة ولرعى الابل أخرى فبينا أنا ذات يوم تعب مكتئب اذ ضلت لنا بعير فتوجه اخوتي كلهم في بغائه فلم يقدروا عليه فأتوا أبي وقالوا ابعث لنا فلانا ينشد لنا هذا البعير فدعاني أبي وقال اخرج فانشد هذا البعير . فقلت والله ما أنصفتني ولا بنوك أما اذا الابل درت ألبانها وطاب ركوبها فأنتم جماعة اهل البيت أربابها واذا ندت ضلالها فانا باغيها . فقال قم يا لكع فاني أراد آخر يومك فغدوت مقهورا خلق الثياب حتى أتيت بلادا لا أنيس بها فطفقت يومي ذلك اجول القفر فلما أمسيت رفعت لي أبيات فقصدت اعظم بيت منها فاذا امرأة جميلة مخيلة للسؤدد والجزالة فبدأتني بالتحية وقالت انزل عن الفرس وأرح نفسك فانني بمشاء فتعيشت وأقبلت هذه تسخر مني وتقول ما رأيت كالعشية أطيب رائحة منك ولا انظف ثوبا ولا اجمل وجها : فقلت ، يا هذه دعيني وما أنا فيه فاني عنك في شغل شاغل قالت عليّ . وقالت هل لك أن نأتيني على السجف اذا نام الناس فاغراني والله الشيطان فلما شبعت من القرى وجاء ابوها واخوتها فضجعوا أمام الخيمة قمت وكرتها برجلي قالت ومن أنت قلت الضيف ، قالت لا حياك الله اخرج عليك لعنة الله فعلمت اني لست في شيء من أمرها فوليت راجعا فوثبني كلب لهم كانه السبع لا يطاق فأراد أكلي فانشب أنيابه في مدرعة صوف كانت عليّ وجعل يمزقني فردني القهقرى وتعذر عليّ الخلاص فأهويت أنا والكلب من قبل عقبي في بئر فأحسن الله اليّ انه لا ماء فيها فلما سمعت المرأة الواغية أتت بحبل فادلته وقالت ارتق لعنك الله فوالله لولا انه يقتص اثري غدا لوددت انها قبرك فاعتنقت الحبل فلما كدت ان اتناول يدها قضى أن تهور ما تحت قدميها فاذا انا وهي والكلب في قرار البئر بئر أيما بئر انما هي حفرة لا طي لها ولا مرقاة كاشد بلية بناعضا الكلب ينبح من ناحية وهي تدعى بالويل والثبور من ناحية وانا منقبع قد برد جلدي على القتل من ناحية فلما اصبحت امها فقدتها فلما لم تزها اتت اباها فقالت ياشيخ اعلم ان ابنتك ليس لها اثر يحس وكان ابوها عالما بالآثار تابعها لها فلما وقف على شفير البئر ولى راجعا فقال لولده يا بني اتعلمون ان اختكم وضيفكم وكلبكم في البئر فبادروا كالسباع فمن بين آخذ حجرا وآخر سيفا أو عصا وهم يومئذ يريدون ان يجعلوا البئر قبري وقبرها فلما وقفوا على شفير البئر قال ابوهم ان قتلتم هذا الرجل طلبتم بدمه وان تركتموه افتضحتم وقد رأيت ان ازوجها اياه فوالله ما يقدح لها في نسب ولا في حسب ثم قال لي افيك خير فلما شممت روح الحياة وثاب الى عقلي ، قلت وهل الخير كله الا فيّ فهات اختكم فقال . مائة بكرة

و بكرة وجارية وعبد، فقلت لك ذلك وان شئت فازدد فاخرجت أولا والكاب ثانيا وأخرجت ثالثا فأبيت أنى ، فقال لا : أفلحت فاين البعير ، قلت أربع عليك أيها الشيخ فانه كان من القصة كيت وكيت ، قال افعل والله ولا آخذك فدعا بالابل فاعد منها مائة بكرة و بكرة وسقناها مع جارية وعبد وأخذت منه هذه غرة نفسها ، قال هي والله كذلك وجعلت تصدف عن حديث زوجها صدوف المهرة العربية سمعت لجامها ورمت قالت لا أطاب الله خبرك

— ضده مساوى الديب —

قال وقيل لخراش الاعرابى حدثنا ببعض هناتك ، قال : خرجت فى بغاء ذود لى فدفعت فى عيشة شاتية الى أخبية كثيرة فضافوا وحيوا ورحبوا فلما أردت النوم أقاموا فتاة لهم من موضع مبيتها وجعلونى مكانها فلا أنا أتاذى بالغنم وانى لمضطجع اذا أنا بيد انسان يجامشنى و يريد فى الظلمة مؤاتاتى فقعدت فاذا أنا برجل بعيده ومعه علبة فيها أرنب مشوية فاخذتها وجعلتها فى شئ كان معى ثم مد يده ثانيا فناولته يدى فاقبضنى على غرمول كمثل الوتد فلم أنهر منه ولم أره وحشة وجردت ما عندى وتناولت يده فاقبضته على مثل ما أقبضنى عليه ففطن ورمى بالحنة خزكانت عليه ووثب مذعورا فنفرت الابل وهاجت الغنم وكدت أغشى لمابى من الضحك وأخفيت ما بى وكتمته فلما أصبحت ركبت راحلتى ومعى الملحفة والعلبة والارنب فلما امتد الضحى اذا أنا بابل فاخذت نحوها فاذا شاب حسن الهيئة فسلمت فرد السلام ثم قال ان كان معك ما نأكل نصب من هذا الوطب فاخرجت العلبة فلما رآها عرفها وقال انك هو ، قلت وما هو ، قال صاحب البارحة قلت نعم ان كنت اياه قال الحمد لله الذى أتى بك اذ لولم تأت لظننت انى أوسوس وذلك انى لصاحبة الستر عاشق وتعلم ما فعلت وفعلت البارحة ولا تطيقت له حتى ابتلانى الله بك البارحة وجعلت أقول حين أقبضتنى عليه أراها تحولت رجلا وانى لفى شك من أمرى حتى أتانى الله بك : فاكلت أنا وهو الارنب وشربنا من اللبن وصرنا أصدقاء : الاصمعى قال أتى خالد بن عبد الله اعرابى فأضافه وأحسن اليه و بذل له صحن الدار فلما كان فى بعض الليل أشرف عليه يتعاهد منه ما كان يتعاهد من ضيفه فاذا هو قد دب على جارية وهو على بطنها فأعرض عنه فما لبث الاعرابى ان فرغ وقام يمسح فيشلته بالحائط فضربته عقرب فصاح واستغاث وأشرف خالد عليه وهو يقول

وداري إذا نامَ سُكانها ❊ تقيمُ الحدُودَ بها العقربُ
إذا غفلَ الناسُ عنْ دينهمْ ❊ فإنَّ عقاربَنا تغضبُ

قال وكان اعرابى ضيفا لقوم فنظر الى جارية جميلة فدب اليها فاذا عجوز فى صحن الدار

تصلى فعاد الى فراشه ثم عاودها فنبح الكلب ثم عاد اليها فاذا القمر قد طلع فانشأ يقول

لم يخلق الله خلقا كنت أكرهه * إلا العجوز وعين الكلب والقمر
هذا يصيح وهذا يستضاء به * وهذه شيخة قوامة السحر

وقال وشرب سعيد بن حميد البصرى عند راشد فدب على غلامه فكتب اليه سعيد

ما سمعنا من قبلها باديب * بارع الظرف ماجد قمقام
ضل عنه وهو المهذب علما * فتكات الكؤس بالأحلام
أين ماجاء من حديث رسول الله * مولاى سيد الحكام
ماعلى مثقل من النوم والسكرا * ن عيب فيما أتى من آثام
ثم أين الذى به حكم المأ * مون فى الظرف منه والاسلام
أيما ماجد أراد سرورا * باجتماع من معشر الندام
فعليه طى البساط بما قد * سنه السكر من قبيح وذام
حلت بينى وبين عقلى بأرطا * لك والمترعات من كل عام
ثم وكلت فى المسوف رشيقا * فسقانى بطرفه والمدام
ثم باكرتنى بعتبك واللو * م لقد حدت عن سبيل الكرام
وتغضبت أننى قدت عمرا * ثم ثنيت بعده بغرام
هل رأيت الإله يأخذ مجنو * نا بسكر أو حالما فى منام
لن ترانى معاشرا لك ما عشت * ولو دمت عائشا ألف عام
أو ترى تائبا وتستغفر الله * لما كان من شنيع الكلام

فأجابه راشد فقال

ياأبا جعفر سليل المعالى * ونجيب الاخوال والاعمام
إن يكن قد أتاك عنى مزح * لم يكن عن حقيقة فى الكلام
أو أكن فيه كالذى كان يغدو * بملام عليك فى اللوام
إننى عالم بأنك لم تأ * ت قبيحا ولا ارتكاب الإثام
هو ذنب المدام لاذنب خل * لم يزل حافظا لعهد الذمام
ثم ذنب العيون ياابن حميد * فله الذنب بعد إست غرام
قمدا فى طريق أيرك حتى * عرضاه للظن والإتهام

فتغمّدْ أخاكَ بالصفحِ فالصفـحُ دليلٌ على سجايا الكرام
إنني تائبٌ وأستغفرُ الله لما كان من شنيع الكلام

ماقيل فى ذلك من الشعر

فما أعينٌ عشرٌ على ساقِ نرجسٍ * تُضاحكُ عينَ الشمسِ بالمقلِ الصُفرِ
بأحسنَ ممّنْ زارنى بعدَ هجعةٍ * بعيسٌ هُوَ بنافى الظلامِ على ذُعْر

قال ودب رجل على قينة فى مجلس فغنت

ماذا يشوّشُ طرْبى * ياقوم فى وقتِ السحرْ
ماذا يُعالجُ يكتى * ويلاهُ عذّبنى السهرْ

وقال علىّ بن حمزة

مُتورّدُ الخدّينِ من خجلٍ * مُتخاذلُ الاعضاءِ من كسلِ
خاضَ الدُجا والشوقُ يحملهُ * وأتاكَ يمشى غيرَ مُتعلِ
مارَاعنى إلا تدافُعهُ * كالغصن بين الصدْرِ والكفلِ

وقال عمر بن أبى ربيعة المخزومى :

قالتْ وأبثثتُها سرّى وبُحتُ به * قدكنتَ عندى تحبُ السترَ فاستترِ
ألستَ تُبصرُ من حولى فقلتُ لها * غطى هواكِ وما ألقى على بصرى

— محاسن الباه —

حكى عن عالج جارية مكشوح أنها حدثت مولاتها أنها كانت تغتسل كل يوم فسألتها عن ذلك ، فقالت ياهذه أنه يجب على المرأة مايجب على الرجل بعد احتلامه ، قالت أو تحتلمين قالت انه لا تأتى على ليلة لا أجامع فيها الا وأحتلم ، قالت فكيف يكون ذلك قالت أرى كان رجلا جامعنى ولقد رأيت ليلة كانى مررت بدكان أبى مالك الطحان و بغل له واقف قد أدلى و رمانى تحته وأولجه فاحتلمت ثم انتبهت وأنا أجده مكانه فى مراق بطنى ولذة فى سويداء قلبي وكان هذا البغل اذا أدلى حك الارض برأس ايره وضرب به فى بطنه فترى الغبار يتطاير عن يمينه وشماله ، قال وكانت مهدية بنت جبير التغلبية تقول ما فى بطن الرجل بضعة أحب الى المرأة من بضعة تناط بعقد الحالبين ومنفرج الرجلين ، حدثنى جهم قال قلت لامرأة من كلب ما أحب الاشياء من الرجال الى النساء قالت مايكثر الاعداد و يزيد فى الاولاد حربة فى غلاف تناط بحقوى رجل جاف اذا غافس أوهى واذا جامع أنجى ، قال وقال أبو تمامة لامرأة من زبيد وهى

تبكى عنـد قبر من الميت قالت كان يجمع بين حاجبى والساق و يهزنى هز الصارم الاعناق و والله لولا ماذكرته لك ما استهلت بالدموع عيناى وقد كذبتك امرأة تبكى على زوجها النير ما أعلمتك

قال و ركب الرشيد حماراً مصرياً وطاف على جواريه ، فقالت له واحدة يامولاى ما أكثر ماتركب هـذا الحمار ، قال لانه يسب طيفور ، قالت فمن يسب طيفور يركب قال نعم قالت فى حر أم طيفور قال فنزل و واقعها وأنشد فى مثله

نظرتُ الىها حين مرّتْ كأنها * على ظهر عاديٍّ فتاة من الجنّ
ولى نظرةٌ لو كان يُحبل ناظرٌ * بنظرته أنثى لقد حبلتْ منى

— ضده فى مساوى العنين —

قال بعضهم تزوج العجاج امرأة يقال لها الدهناء بنت مسحل فلم يقدر عليها فشكت ذلك الى أهلها فسالوه فراقها فابى وقال لابيها تطلب لابنتك الباه قال نعم عسى أن ترزق ولداً فان مات كان فرطاوان عاش كان قرة عين فقدموه الى السلطان فاجله شهراً ثم قال

قدْ ظنتِ الدهناء وظنّ مِسْحَلُ * أن الامير بالقضاء يُعجِلُ
عنْ كسلانى والحصانُ يكسلُ * عنِ السّفادِ وهوَ طرفٌ هيكلُ

ثم أقبل على امرأته فضمها الى صدره فقالت

تنحَّ لنْ تملكنى بضمّ * ولا بتقبيل ولا بشمّ
إلا بزعزاعٍ يُسلى همّى * يَسقطُ منهُ فتخى فى كمّى
يطيرُ منهُ حزنى وغمّى

ابن أبى الدنيا ان اعرابيا أخبره ان امرأة منهم زفت الى رجل فعجز عنها فتذاكر الحى أمر الضعفاء من الازواج عن الباه وامرأة الاعرابى تسمع فتكلمت بكلام ليس فى الارض اعف منه ولا ادل على عجز الرجل عن النساء فقالت متمثلة

تبيتُ المطايا حائداتٍ عن الهدى * إذا ما المطايا لم تجدْ من يُقيمُها

الرقاشى قال حدثنى أبو عبيدة قال سمعت ناسا من الحجاز يقولون تزوج رجل منا امرأة فعجز عنها الا انه اذا لامسها ابتأر فيها فقضى ان حملت وما مكثت الا ان رأس ولدها فجلس فى المجلس فقال له قائل لقد جئت من بلل قليل قال جئت من بلل لو أصاب مغيض أمك لكان كما قال الشاعر

رَطبُ الطباعِ إذا حرّكتَ جوهرَه * وجدتَ أعضاءهُ غرقى من البللِ
ولمْ أُهجّنهُ إلا أنهُ رجلٌ * قلتْ سلامتُهُ منْ جانبِ الكفلِ

الهلالى قال رأيت وافر بن عصام يساير المهدى فحدثه بحديث فضحك فقلت له حدثنى ما حدثت به المهدى قال سألنى ما عندك للنساء فقلت مالهن عندى الاحديث ابن حزم قال وما حديثه قلت عمر حتى بلغ الثمانين فتزوج ابنة عم له فلما أهديت اليه قعد بين شعبها فاكسل وأراق على بطنها فأقبل عليها كالمعتذر فقال هذا خير من الزناء قالت كل ذلك لا خير فيه قال وشكت امرأة زوجها وأخبرت عن عجزه أنه اذا استقط عليها انطبق والنساء يكرهن وقوع الرجل على صدورهن فقالت زوجى عياياء طباقاء وكل داء له دواء وقيل فى ذلك

جزاكَ اللهُ شرًّا منْ رفيقٍ * إذا بُلغتَ منْ رَكبِ النساءِ

رماكَ اللهُ منْ عِرْقٍ بأفعى * ولا عافاكَ منْ جهدِ البلاءِ

أُجبنا فى الكريهةِ حين تلقى * وأنعظا حين تعبُرُ فى الخلاءِ

﴿ محاسن النيروز والمهرجان ﴾

قال الكسروى كان أول من أبدع النيروز وأسس منازل الملوك وشيد معالم السلطان واستخرج الذهب والفضة والمعدن واتخذ من الحديد آلات وذلل الخيل وسائر الدواب واستخرج الدر وجلب المسك والعنبر وسائر الطيب وبنى القصور واتخذ المصانع وأجرى الانهار كياخسرو بن أبرو بزجهان وتفسيره حافظ الدنيا ابن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وكان الاصل فيه أنه فى النيروز ملك الدنيا وعمر أقاليم ايران شهر وهى أرض بابل فيكون النيروز فى اول ما اجتمع ملكه واستوت أسبابه فصارت سنة وكان فى ملكه ألف سنة وخمسين سنة ثم قتله البيوراسف وملك بعده الف سنة الى أفريدون بن أثفيان وفيه يقول حبيب

وكأنه الضحاكُ فى فتكاتهِ * بالعالمين وأنتَ أفريدُونُ

فطلب البيوراسف وملك بعده الف سنة وخمسين سنة وأسره بارض المغرب وكبله وسجنه بجبل دنباوند واستوفى عدة ما كتب الله له من عمره واتفق لافريدون سجن البيوراسف يوم النصف من مهرماه ومهر روز فسمى ذلك اليوم المهرجان فالنيروز لجم والمهرجان لافريدون والنيروز أقدم من المهرجان بالفى وخمسين سنة وقسم جم أيام الشهر وجعل الخمسة الايام الاولى للاشراف وبعدها خمسة أيام نيروز الملك يهب فيها ويصل ثم بعدها خمسة أيام لخدم الملك وخمسة أيام لخواص الملك وخمسة أيام لجنده وبعدها خمسة أيام للرعاع فذلك ثلاثون يوما وابتدع المهرجان أفريدون لما أسر البيوراسف رزمهر وكان الملك اذا لبس زينته ولزم مجلسه فى هذين اليومين أتاه رجل رضى الاسم مختبر باليمن طلق الوجه ذلق اللسان فيقوم قبالة الملك ويقول إئذن لى بالدخول فيسأله من أنت ومن أين جئت وأين تريد ومن سار بك ومع من قدمت وما

الذى ممك فيقول جئت من عند الايمنين وأريد الاسعدين وسار بى كل منصور واسمى
خجسته أقبات مع السنة الجديدة وأوردت الى الملك بشارة وسلاماً ورسالة فيقول الملك ائذنوا
له فيقول له الملك ادخل ويضع بين يديه خوانا من فضة قد جمع فى نواحيه أرغفة قد خبزت من
أنواع الحبوب من البر والشعير والدخن والذرة والحمص والعدس والارز والسمسم والباقلى
واللوبيا وجمع من كل صنف من هذه الحبوب سبع حبات فجعل فى جوانب الخوان ووضع فى
وسطه سبعة من قضبان الشجر التى يتفائل بها وباسمها ويتبرك بالنظر اليها كالخلاف والزيتون
والسفرجل والرمان منها ما يقطع على عقدة ومنها على عقدتين ومنها على ثلاثة ويجعل كل قضيب
باسم كورة من الكور ويكتب فى مواضع ابزود وابزائد وابزون وبروار وفراخى وفراهية
تاويله زاد ويزيد وزيادة ورزق وفرح وسعة ويوضع سبع سكرجات بيض ودراهم بيض
من ضرب سنته ودينار جديد وضغث من اسبند ويتناول ذلك كله ويدعوا له بالخلود ودوام
الملك والسعادة والعز ولا يؤامر يومه فى شيء اشفاقا من أن يبدو منه ما يكره فجرى على سنته وكان
أول ما يقدم اليه صينية ذهب أو فضة عليها سكر أبيض وجوز هندى مقشر رطب وجامات فضة
أو ذهب ويبتدى بالبن الحليب الطرى منه قد انقع فيه تمر طرى فيتناول بالنارجيل تمرات
ويتحف من أحب منه ويذوق ما احب من الحلوى وكان يرفع فى كل يوم من أيام النيروز باز
أبيض وكان ممن يتيمن بابتدائه فى هذا اليوم لقمة من اللبن الصرف الطرى والجبن الطرى وكان
جميع ملوك فارس يتبركون بذلك وكان يسرق له فى كل يوم نيروز ماء فى جرة من حديد أو فضة
ويقول استرق هذا الاسعدين ويتحمل الايمنين وجعل فى عنق الجرة قلادة من يواقيت خضر
منظمة فى سلك الذهب ممدود فيها خرز من زبرجد أخضر ولم يكن يسرق ذلك الماء الا الابكار
من أسافل دارات الارحاء وصنائع الغنى فكان متى اجتمع النيروز فى يوم سبت أمر الملك لرأس
الجالوت باربعة آلاف درهم ولم يعرف له سبب أكثر من ان السنة جرت منهم بذلك فصارت
كالجزية فكان يبنى قبل النيروز بخمسة وعشرين يوماً فى صحن دار الملك اثنتا عشرة اصطوانة
من لبن تزرع اصطوانة منها براً واصطوانة شعيراً وأخرى أرزاً وأخرى عدساً وأخرى باقلى
وأخرى قرطماً واخرى دخناً واخرى ذرة واخرى لوبيا واخرى حمصاً واخرى سمسماً
وأخرى ماشاً ولم يكن يحصد ذلك الا بغناء وترنم ولهو وكان يوم السادس من يوم النيروز واذا
حصد نثر فى المجلس ولم يكسر الى روزمهر من ماه فروردين وانما كانوا يزرعون هذه الحبوب
للتفاؤل بها ويقال أجودها نباتا واشدها استواء دليل على جودة نبات ما زرع منها فى تلك السنة
فكان الملك يتبرك بالنظر الى نبات الشعير خاصة وكان مؤدب الرماة يناول الملك يوم النيروز قوسا
وخمس نشابات ويناول الملك قبجه على دار المملكة أترجة فكان فيما يغنى بين يدى الملك غناء

المخاطبة وأغاني الربيع وأغاني يذكر فيها أبناء الجبابرة وتوصف الانواء وأغاني أفرين والخسرواني والماذراستاني والفهلبد وكان أكثر ما يغني العجم الفهلبد مع أيام كسرى أبرويز وكان من أهل مرو وكان من اغانيه مديح الملك وذكر أيامه ومجالسه وفتوحه وذلك بمنزلة الشعر في كلام العرب يصوغ له الالحان ولا يمضي يوم الا وله فيه شعر جديد وضرب بديع وكان يذكر الاغاني التي يستعطف بها الملك ويستميحه لمرازبته وقواده ويستشفع لمذنب وان حدثت حادثة أو ورد خبر كرهوا انهاءه اليه قال فيه شعراً وصاغ له لحناً كما كان فعل حين نفق مركوبه شبديز ولم يجسروا على انهاء ذلك فغنى بها وذكر أنه ممدود في آريه مادّ قوائمه لا يعتلف ولا يتحرك فقال الملك هذا قد نفق اذاً قال أنت قلت ذلك أيها الملك وكان يضطر باشعاره أن يتكلم بالذي يكره عماله ان يستقبلوه به

(العلة في صب الماء) ذكروا أن العلة في صب الماء انه كان اول من تكلم في المهد قبل المسيح زو بن طهماسب وكان مات أبوه على قحط شديد قد شمل الاقاليم فتكلم ودعا الله تبارك وتعالى فسقى الناس الغيث واخصبت أرضهم وعاشت مواشيهم فجعلوا صب الماء فيه سنة، وقد حكى أيضاً عن ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين صلوات الله عليه انه قال في ذلك ان ناساً من بني اسرائيل أصابهم الطاعون فخرجوا من مدينتهم هاربين الى أرض العراق فبلغ كسرى خبرهم فامر ان يبني لهم حظيرة يجعلون فيها لترجع انفسهم اليهم فلما صاروا في الحظيرة ماتوا وكانوا أربعة آلاف نفس ثم ان الله تبارك وتعالى أوحى الى نبي ذلك الزمان ان رأيت محاربة بلاد كذا لحاربهم بني فلان فقال يارب كيف أحاربهم بهم وقد ماتوا فاوحى الله اليه أني أحييهم لتحارب بهم وتظفر بعدوك فمطر الله عز وجل ليلة صب الماء فاصبحوا احياء فهم الذين قال الله تعالى فيهم «ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم» قال هؤلاء قوم أصابهم محنة من الازل فحطوا زماناً فهزلوا واجدب بلدهم فعيثوا في هذا اليوم برشة من مطر فعاشوا واخصبت بلادهم فجعله الفرس سنة

(صفة الايام) قال كسرى يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للهو والشرب وقال غيره يوم السبت يوم مكر وخديعة والاحد يوم غرس وبناء ويوم الاثنين يوم سفر وطلب رزق والثلاثاء يوم حجامة والاربعاء يوم ضنك ونحس والخميس يوم الحج والجمعة يوم مسجد ونساء وكساء

(في البرد) سئل بعض الحكماء عن البرد أيه اشد فقال اذا اصبحت السماء نقية والارض ندية والريح شامية

﴿ محاسن الهدايا ﴾

قال وكتب الناس فى الهدايا فأكثروا من الكلام المنثور والشعر الموزون وكل يكتب ويقول بمقدار عقله وعلمه حتى قالوا أنها قرابة وصلة كالرحم الماسة والقرابة القريبة وكلحمة النسب وأكثروا من الشفيع لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم تهادوا وتحابوا وقيل الهدية تفتح الباب المصمت وتسل سخيمة القلب وروى عن عائشة أنها قالت اللطفة عطفة وتزرع فى القلوب المحبة، قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ماهو خير منها وقال عليه الصلاة والسلام. لو أهدى الىّ ذراع لقبلت ولو دعيت الى كراع لاجبت، وقال عليه الصلاة والسلام. الهدية رزق من الله عز وجل فمن أهدى اليه شىء فليقبله، وقال صلى الله عليه وسلم نعم الشىء الهدية أمام الحاجة ما ارضى الغضبان ولا استعطف ولا استميل الهاجر ولا توقى المحذور بمثل الهدية والبر وقال الله عز وجل (وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون) وروى أن عاملا لعلى رضى الله عنه قدم من بعض الاطراف فاهدى الى الحسن والحسين سلام الله عليهما ولم يهد الى ابن الحنفية فقال متمثلا

وما شرُّ الثلاثة أمَّ عمرو * بصاحبِكِ الذى لا تصحبينا

فاهدى العامل اليه كما أهدى الى أخويه وروى من امير المؤمنين علىّ عليه السلام ان قوما من الدهاقين اهدوا اليه جامات فضة فيها الاخبيصة فقال ماهذا قالوا يوم نيروز فقال نيروزنا كل يوم فأكلوا الخبيص واطعم جلساءه وقسم الجامات بين المسلمين وحسبها لهم فى خراجهم وقيل أن جلساء المهدى اليه شركاؤه فى الهدية والهدية تجلب المودة وتزرع المحبة وتنفى الضغينة وتركها يورث الوحشة ويدعو الى القطيعة والهدية تصير البعيد قريباً والعدو صديقاً والبغيض وليا والثقيل خفيفا والعدو حرا والحر عبدا وفيها قول الشاعر

ما من صديق وإن أبدى مودَّتَه * يوماً بأنجح فى الحاجاتِ من طَبَقِ
إذا تقنَّعَ بالمنديلِ مُنطلقاً * لم يخشَ نبوةَ بوّابٍ ولا غلقِ
لا تُكثرَنَّ فإنَّ الناسَ مذْ خلقوا * لرغبةٍ كلما يعطون أو فرقِ

وقال آخر

إذا أردتَ قضاءَ الحاجِ من أحدٍ * قدِّمْ لنجواكَ ما أحببتَ من سببِ
إنَّ الهدايا لها حظٌّ إذا وردتْ * أحظى من الابنِ عند الوالدِ الحدبِ

وقد قيل كل يهدى على قدره. وذكروا أن سليمان بن داود عليهما السلام بينا يسير بالريح

اذ أتى على عش قنبرة فيها افراخ لها فاس الريح فعدلت عن العش فلما نزل وافق يومه ذلك النيروز فجاءت تلك القنبرة حتى رفرفت على رأس سليمان وألقت فى حجره جرادة فقيل له فى ذلك فقال كل يهدى على قدره . وكان مما تهديه ملوك الامم الى ملوك فارس طرائف مافى بلدهم فمن الهند الفيلة والسيوف والمسك والجلود ومن تبت والصين المسك والحرير والسك والاوانى ومن السند الطواويس والببغاء ومن الروم الديباج والبسط وكان القواد والمرازبة والاساورة يهدون النشاب والاعمدة المصمتة من الذهب والفضة والوزراء والكتاب والخاصة من قراباتهم جامات الذهب والفضة المرصعة بالجوهر وجامات الفضة المملوءة بالذهب والعظماء والاشراف البزاة والعقبان والصقور والشواهين والفهود والسروج وآلاتها ورعا أهدى الرجل الشريف سوطاً فقبله وكانت الحكماء يهدون الحكمة والشعراء الشعر واصحاب الجوهر الجوهر واصحاب نتاج الدواب الفرس الفاره والشهرى النادر والحمار المصرى والبغال الهماليج والظرفاء قرب الحرير الصينى مملوءة ماء ورد والمقاتلة القسى والرماح والنشاب والصياقلة والزرادون تصول السيوف والدروع والجواشن والبيض والاسنة وكانت نسوة الملك تهدى احداهن الجارية الناهدة والوصيفة الرائعة والاخرى الدرة النفيسة والجوهرة المثمنة وفص خاتم ومالطف وخف واصحاب البزالثوب المرتفع من الخز والوشى والديباج وغير ذلك والصيارفة نقر الذهب والفضة وجامات الفضة مملوءة دنانير واوساط الناس دنانير ودراهم من ضرب سنتهم مودعة اترجة أوسفرجلة أوتفاحة والكاتب واقف يكتب كل مهد وجائزة كل من يجيزه الملك على هديته ليودع ذلك ديوان النيروز

ومن الهدايا التى لم يسمع السامعون بمثلها هدية ابرويز الى ملك الروم بعقب محاربة بهرام جوبين وقد شارف الروم فانفذ رسولا يستنجده وبعث اليه مائة غلام من ابناء الاتراك مختارين فى صورهم ونفوسهم فى آذانهم اقرطة الذهب معلق فيها حب الدر على مراكب بسروج الذهب منظمة باليواقيت والزمرد وبعث معه بمائدة من عنبر فتحها ثلاثة اذرع مكللة المستدار بالدر لها ثلاث قوائم من ذهب احداها ساعد أسد مع كفه والاخرى ساق وعل مع ظلفه والثالثة كف عقاب فى كف الاسد ياقوتة خضراء وبين ظلفى الوعل ياقوتة حمراء وفى كف العقاب قبجة من اللاز ورد عيناها ياقوتتان حمراوان تتوقدان حمرة وفى وسط المائدة جام من جزع يمانى فاخر فتحه شبر فى شبر مملوء يواقيت حمر وسفط ذهب فيه مائة درة كل درة مثقال ومائة لؤلؤة كل لؤلؤة مثقال ومائة خاتم من ذهب مرصع بالجوهر مشبك الاعلى حشوه مسك وعنبر ووصل رسل ابرويز الى ملك الروم بهذه الهدية فانجده وارسل اليه عشرين الف فارس بالسلاح الشاك وبعث اليه بألفى ألف دينار لارزاق جنده وألف ثوب منسوج

وعشرين جارية من بنات ملوك الصقالبة باقبية الديباج المطير في آذانهن أقرطة الذهب المزينة بالدر والياقوت وعلى رؤسهن أكلة الجوهر وأهدى اليه عشرين مركباً على كل مركب صليب تحت كل صليب ألف فارس وألف برذون وألف شهرى والف بغلة والف نجيب بسروج مذهبة وأكف مذهبة ولجم من ذهب مصبوب وبرادع مذهبة وجلال وبراقع ديباج منسوج بالذهب واللؤلؤ وأوقار البغال من السندس والاستبرق والذهب واللؤلؤ وبعث اليه مساحة جريب ارض من ذهب فيه نخل من ذهب سعفه الزمرد وطلعه اللؤلؤ وشمار يخها الياقوت الاحمر وكربه الجزع وبعث اليه الف الف لؤلؤة كل لؤلؤة بالف دينار وبعث اليه الف الف درهم مثاقيله الف الف دينار خسرواني وانى به واعتذر اليه من التقصير فقابله ملك الروم عامة المقبل يوم النيروز بفارس من ذهب على شهرى من فضة عينا الشهرى جزع أبيض محدق بسواد وناصيته وعرفه وذنبه شعر اسود بيد الفارس صولجان من ذهب والى جانبه ميدان من فضة في وسط الميدان كرة عقيق أحمر بحمل الميدان ثوران من فضة والشهرى يبول الماء فاذا بال انحط الصولجان على الكرة فرمى بها الى اقصى الميدان فتحرك بحركتها الثوران والميدان ويركض الفارس على عجل تحت حوافر الشهرى ، فاما أهل الاسلام فلم يسمع مثل هدية حسان النبطي الى هشام بن عبد الملك فانه اهدى اليه والى امهات اولاده هدية كثيرة من الكساء والعطر والجوهر وغيرها فاستكثرها هشام وقال بيت المال احق بهذا ثم امر فنودي عليها فبلغت مائة الف دينار فبعث حسان أعوانها وقال يا أمير المؤمنين قد طابت الآن هذه مائة الف دينار تحمل الى بيت المال فاقبل هديتي فقبلها ونادى على منادبه حسان سيد موالى امير المؤمنين قد طابت الآن هذه ، واستملح المامون من ابي سلمة ذكر هدية لطيفة قال اهدى الى امير المؤمنين خوانا من جزع ميلا في ميل فقال المامون او قبضت الهدية قيل نعم قال اهي في دارى ام دارى فيها قال بل هي في منديل فدعا بهديته فاذا خوان من جزع عليه ميل من ذهب قد صنع من مائة مثقال بطول الخوان وعرضه فاستملحه وقبله ، واهدت اسماء بنت داود الى اسماء بنت المنصور مائة مركن من فضة فيها انواع اللخالخ والريحان المطيب ومائة جفنة مطيبة وانواع من الاطعمة والاشربة وعشراً من الوصائف في قد واحد فقومت هديتها فبلغت خمسين الف دينار ، وبعث الحسن بن وهب الى المتوكل بجام من ذهب فيه الف مثقال من العنبر وكتب اليه

يا إمامَ الهدى سُعدتَ من الدهـــرِ بركنٍ من الإلهِ عزيزِ

وبظلٍّ من النعيم مـــديدٍ * وبحرزٍ من الليالى حريزِ

لا تزل ألفَ حجةٍ مهرجانٍ * أنتَ تُقضى به الى النيروزِ

وانميمِ ألذُّ من نظرِ المشـوقِ من بعدِ نبوةٍ ونشوزٍ

قال خالد المهلبي أهديت الى المتوكل فى يوم نيروز ثوب وشى منسوج بالذهب ومشمة عنبر عليها فصوص جوهر مشبك بالذهب ودرعا مضاعفة وخشبة بخور نحو القامة وثوبا بغداديا فاعجبه حسنه ثم دعا به فلبسه : وقال يامهلبى اعا لبسته لاسرك به فقلت يا أمير المؤمنين لو كنت سوقة لوجب على الفتيان تعلم الفتوة منك فكيف وأنت سيد الناس . وأحسن من جميع ما تقدم ذكره قول عبد الله العباسى والى الحرمين فانه قال هذا يوم يهدى فيه الى السادة والعظماء والواجب أن أهدى الى سيدى الاكبر ثم دعا بعشرة آلاف دينار فقسمها على اهل الحرمين فكانت فكرته فى هذا أحسن من فعله

﴿ التلطف فى الهدايا ﴾ كتب سعيد بن حميد الى بعضهم النفس لك والمال منك غير أنى كرهت أن اخلى هذا اليوم من سنة فاكون من المقصرين اوأدعى ان فى ملكى ما يفى بحقك فاكون من الكاذبين وقد وجهت اليك بالسفرجل لجلالته والسكر لحلاوته والدرهم لنفاقه والدينار لعزه فلازلت جليلا فى العيون مهيبا فى القلوب حلو الاخوانك كحلاوة السكر عزيزا عند الملوك لأنحسن أفنيتهم الابك ولازلت نافقا كنفاق الدرهم : وأهدى احمد بن يوسف الى ابراهيم بن المهدى وكتب اليه الامراء أعزك الله تسهل سبيل الملاطفة فى البر فاهديت هدية من لا يحتشم الى من لا يغتنم مالا ولا أكثره تبجحا ولا اقله ترفعا

﴿ هدايا النيروز ﴾ قال كتب الحسن بن وهب الى المتوكل فى يوم نيروز بهذه الرقعة اسعدك الله يا أمير المؤمنين بكر الدهور وتكامل السرور وبارك لك فى اقبال الزمان وبسط بيمن خلافتك الامال وخصك بالمزيد وأبهجك بكل عيد وشد بك أزر التوحيد ووصل لك بشاشة ازهار الربيع المونق بطيب أيام الخريف المغدق وقرب لك التمتع بالمهرجان والنيروز بدوام بهجة ايلول وتموز وعواقب تمكين لا يجاوزه الامل وغبطة الهيا نهاية ضارب المثل وعمر ببلائك الاسلام وفسح لك فى القدرة والمدة وامتع برأفتك وعدلك الامة وسربلك العافية وردك السلامة ودرعك العز والكرامة وجعل الشهور لك بالاقبال متصدية والازمنة اليك راغبة متشوقة والقلوب نحوك سامية تلاحظك عشقا وترفرف نحوك طربا وشوقا وكتب فى آخره

فداكَ الزمانُ وأهلُ الزمانِ * إمامَ الهدى بكَ مستبشرينا
قدْ ألقوا اليكَ مقاليدَهمْ * جميعاً مطيعينَ مستوسقينا
ولازلتَ زيناً لاعيادنا * وللدينِ كهفاً وحصناً حصينا
يعزُّ بدولتكَ الصالحونَ * ويشقى بكَ الشركُ والمشركونا

فيا رُبَّ مشكلةٍ أبرقتْ * فجليتها السيفَ حقاً يقينا
بصدقٍ عزيمة مستبصرٍ * وضربٍ يقدُّ الطُّلى والمتونا
وسمتَ النصارى بشيطانها * وذلّت منها الاعزّ البطينا
وكم فعلٍ لك في المشركين * أقرّت عيونا وأبكت عيونا

وكتب آخر

المهرجانُ لنا يومٌ نسرُّ به * يومٌ تعظمهُ الاشرافُ والعجمُ
وأنتَ فيه لنا بدرٌ يضيءُ كما * أن السماء ببدرِ الليلِ تتسمُ

وكتب آخر

عيدٌ جديدٌ وأنت جدّدتهُ * يامنْ به للزّمانِ تجديدُ
لازالَ طولَ الزّمانِ يرجعهُ * وظلُّ مُلكٍ عليك ممدودُ

وقيل للمازني أي هؤلاء أظرف في شعره الذي يقول

جُعلتُ فداكَ للنيروزِ حقٌّ * فأنتَ على أعظمُ منه حقا
ولو أهديتُ فيه جميعَ ملكي * لكان جليلهُ لك مُستدقا
فأهديتُ الثناء بنظم شعرٍ * وكنتَ لذاك مني مُستحقا

أم الذي يقول

دخلتُ السوقَ أبتاعُ * وأستطرفُ ما أهدي
فما استطرفتُ للإهدا * ءِ إلا طُرَفَ الحمدِ
إذا نحنُ مدحناك * رعينا حرمةَ المجدِ

أم الذي يقول

وكم من مُرسلٍ لك قدْ أتاني * بما يُهدي الخليلُ إلى الخليل
فأظهرتُ السرورَ وقلتُ أهلاً * وسهلاً بالهديةِ والرّسولِ

فقال أشعرهم جميعهم وأظرفهم الذي يقول

فوالله لا أنفكُّ أهدي شواردًا * اليكَ يحمّلنَ الثناء المبجّلا
ألذّ من السلوى وأطيبَ نفحة * من المسكِ مفتوتا وأيسرَ محملا

و بعث سعيد بن حميد الى احمد بن أبي طاهر قارورة ماء ورد وكتب اليه

وزائرةٍ حوريةٍ فارسيةٍ * كنشرِ حبيبٍ حاديوماً عن الصدّ

تُرْدُّ ريعا فى مصيف بنفحةٍ * إذا فقدت ورداً تنوب عن الورد
حكى نشرُها منهُ خلائقَ نشرهِ * كنشر نسيم الرَّوض فى جنة الخلد
وشبَّهتها فى صفوها بصفائه * لإخوانه فى القرب منهُ وفى البعد
وأهدت لنا منهُ النسيمَ نسيمهُ * وإنْ كان إنْ حالت يدوم على عهد

وعن اسحاق بن ابراهيم الموصلى . قال دار كلام بين الامين و بين ابراهيم بن المهدى . قال فوجد عليه الامين فهجره فوجه اليه ابراهيم بوصيفة مغنية مع عبد هندى فابى الامين أن يقبلهما فكتب اليه

هتكتَ الضميرَ بردِ اللطفْ * وكشفتَ هجرَكَ لى فانكشفْ
فإنْ كنتَ تحقدُ شيئاً مضى * فهبْ للخلافةِ ماقدْ سلفْ
وجدْ لى بعفوكَ عن زلتى * فبالفضلِ تاخذُ أهلَ الشرف

فرضى عنه ودعاه للمنادمة

﴿ هدايا الفصد ﴾ قال ابن حمدون النديم افتصد المأمون فاهدى اليه ابراهيم بن المهدى جارية معها عود ورقعة فيها

عفوتَ وكانَ العفوُ منكَ سجيةً * كما كانَ معقوداً بمفرقكَ الملكُ
فإنْ أنتَ أتممتَ الرضى فهو المنى * وإنْ أنتَ جازيتَ المسيءَ فذا الهلكُ

فقال المأمون خرف الشيخ يوم مثل هذا يذكر الثواب والآخرة فلم يقبل الوصيفة واغتم ابراهيم وكتب اليه مع الوصيفة

لا والذى تسجدُ الجباهُ لهُ * مالى بما دونَ ثوبها خبرُ
ولا بفيها ولا هممتُ بها * ما كانَ إلاَّ الحديثُ والنظرُ

فقال المأمون نعم الآن أقبلها فقبلها ، قال أبو القاسم بن أبى داود كنت عند أحمد بن محمد العلوى وقد افتصد فخرج بعض الخدم ومعه طبق من فضة عليه تفاح طيب مكتوب حواليه بالذهب

سرَّ الغداةَ بوجهكَ اللعبُ * وجرى بيُمنِ فصادكَ الطربُ
وتداعتِ العيدانُ فى زجَلٍ * وتناولتْ راحاتها النخبُ
فاشربْ بهذا الجام يا ملكى * شرباً حثيثاً إنهُ عجبُ
واجملْ لمنْ قدْ خفَّ فى لطفٍ * منْ زورهُ يخشى و يرتقبُ

فقال للخادم اخرجها الى الستارة فخرجت وخلا ليلته بها . وقيل افتصد المعتصم فاهدت

اليه شمائل صينية عقيق عليها اقدح أسبل عليهما منديل مطيب مكتوب عليه بالعنبر فى كل ربع منه بيت شعر

خضب الخليفة كفه من فصده * بدم يحاكى عبرة المشتاق
تاه الفصاد فما يقام لتيهه * إذ صار مفتصدا أبو إسحاق
وتوافت العيدان عند حضوره * قب البطون ذوابل الاعناق
ملك إذا خطر الشراب ببـاله * لبس السرور وغلائل الإشراق

فلما قرأه أمر باحضار اسحق بن ابراهيم الموصلى وأمره أن يجعل له لحنا وأمر مسرورا باخراجها من وراء الستارة ثم لم يزل اسحاق يردد هذه الابيات حتى أحكمتها شمائل وغنت فكأن سقط الدر يتناثر من فيها وأمر لاسحاق بمال وللجارية بخمس وصائف وخمسة آلاف دينار المبرد قال أهدى اليزيدى الى الرشيد يوم فصد جام بلور وشمامات غالية وكتب اليه يا أمير المؤمنين تفاءلت فى الشرب فى الجام بجمام النفس ودوام الانس والغالية للغلو فى السرور والازدياد من الخير والحبور وقلت

دم الفصد من يدك العاليه * يداعى لجسمك بالعافيه
كسا الدهر ثوبا من الارجوان * بديع الطراز بنى الحاشيه
وعصفر صفحة وجه الربيع * بصبغ من أسراره الجاريه
فكم روضة نشرت وشيها * وزهرة روض غدت زاهيه
إمام أسال دم المكرمات * فشجج أقنانها الحاميه
فلازال فى عيشة راضيه * ودامت له النعمة الكافيه

قال اليزيدى افتصد المأمون فاهدت اليه رباح أترجة عنبر عليها مكتوب بماء الذهب

تعالج من هويت بفصد عرق * فأضحى السقم فى خلع الخضوع
وجاءت تحفة الألباب تسعى * بورد فائض فيض الدموع

فقال المأمون لليزيدى ويحك ما تقول فيمن كتب هذين البيتين قال يكافأ بالدنيا وما استدق منها فامر لها بمال كثير ووصلنى ببعضه . قال وافتصد عبد الله بن طاهر فاهدى له أبو دلف جميع ما أصاب فى السوق من الورد وكتب اليه

تضاحك الورد فى وجهى فقلت له * لم ذا فقال أبو العباس مفتصد
فقمت أطلب ما أهديه من طرف * للفصد فى السوق حتى خانني الجلد

يومُ الفصادِ له أزرٌ مُطيبةٌ * محجوبةٌ لا يراها الجردُ والزَّردُ
فاشربْ على الوَرْدِ مسروراً بطلعته * يا ابنَ الكرامِ فأنت السيدُ النجدُ

قال عمر بن بانة اعتل المعتصم فأشار اليه بختيشوع بالفصد وأنا عنده فأخرجت اليه هدايا الفصد وكان فيما أخرج طبق صندل مكتوب عليه بجزع كابد ورعليه شمامات مسك وعنبر فأمر بقراءة ما عليه فاذا هو

فصد الإمامُ لعلةٍ في جسمه * فشفى الإلهُ السقمَ بالفصدِ
وجرى الى الطشتِ السنامُ مُبادراً * وجرى الشفاءُ إليه بالسعدِ
يا مالكاً ملك العباد بجوده * إسلمْ سلمتَ بعيشةٍ رغد

فقال يا عمرو من يلومني على حب هذه الجارية والله ما أراها الا تزايدت في عيني وخليق أن تنجب فان لها همة فولدت له غلاما وكانت آثر جوار به عنده واحظاهن لديه ء وأخبرنا ابراهيم القاري، قال كنت عند المأمون فاحتاج الى الفصد فقال له الأطباء البلد بارد فقال لابد لى منه فقصدوه فلما كان وقت الظهر حضروا فراموا فجر العرق فاذا هو قد التحم فشدوا الرباط وفيهم ميخايل فما ظهر الدم فقال له المأمون عثر تموني فحلوا الرباط وعلى رأسه بختيشوع وابن ماسويه فقال ما تقولون . قالوا ماندري ما نقول . قال فاشاروا هناك أن جلالة الخليفة ربما أدهشت الحاذق بالصناعة والمتقدم في الرياسة فاعتزلوا ناحية وأبطؤا عليه فقال لاسود كان على رأسه ادن فص الجرح ففعل فثار الدم فقال ادع هؤلاء الحاكة فجاؤا وشهدوا خروج الدم قال أين كنتم . قال ابن ماسويه لو فعل جالينوس ما زاد عليه . قال وافتصد أحمد بن عيسى بالري وهو أميرها فكتب اليه جعفر الشيباني

فصدتَ بأرض الرَّيِّ طابَ لكَ الفصدُ * وفارقَ نجمَ النحسِ طالعكَ السعدُ
فأعقبكَ الحسنى التي لا مدى لها * ولا زالَ بُرديكَ الجلالةُ والحمدُ
تورَّدتِ الدُّنيا بفصدِكَ مثلَ ما * بفصدك يا ابنَ المصطفى ضحكَ الوردُ
فلا أبصرتْ عيناكَ ما عشتَ شانياً * ومنْ كلِّ ما تهواهُ لا خانكَ العهد

وفي مثله

يا قاصداً من يدٍ جلّتْ أياديها * ونالَ منه الذي يرجوه راجيها
يدُ الندى هي فارْفقْ لا ترقْ دمها * فإنَّ آمالَ طلابِ الندى فيها

قال وكتب الحمدوني الى الفضل بن جعفر وقد افتصد

ألا يا طبيبَ الفصدِ هلْ أنتَ عالمٌ * بما صنعتْ كفاكَ في كفِّ ذي المجد

أسلت دماً من ساعد يثنى بها * حياة ندى فاقصد بذرعك فى القصد
فداويت كفاً يعلم الناس أنها * دواء من الامحال فى الزمن النكد
ولما أتانا المخبرون بفصده * أردت بأن أهدى على قدر ما عندى
وشاورت فاستصحبت آلى وجيرتى * فلم أر أمرى من ثناء ومن حمد

وقال آخر

توثق من ثنائك فى الهدايا * غداة أردت فصد الباسليق
فلم أر كالدعاء أتم نفعاً * وأجمل فى مكافاة الصديق
وأكثرت الدعاء وقلت ربى * يقيك شرور آفات العروق

وقال آخر

على طيب أيام التمتع بالورد * فصدت فاصحبت السلامة فى القصد
ولا زلت لا زالت من الله أنعم * عليك قرير العين مغتبط الحسد
لقد زمت جهدى طرفة وهدية * إليك فكان الشكر أكثر ما عندى

وقال آخر

أيها الفاصد العليل الصحيح * بأبى ذلك الجراح الجريح
إن من علق الذراع من القصد إلى الجيد ذاك شيء مليح
أيها الفاصد المهنا له الور * د وفى وجنتيه ورد يلوح

وقال آخر

أيها السيد الذى فصد العر * ق وأرخى دونى ذيول السرور
كم تمنيت أن أكون طبيباً * ومنى الصب ترهات الغرور

وقال آخر

أجمل جعلت فداك بالجلد * وامنن على بأجمل الرد
لو عاينت عيناك مضطربى * وتردُّدى بالمد والشد
وتخشعى عند الطبيب كأنه * مولى يريد عقوبة العبد
كالنار مبضعه يقلبه * ويدير مقلة حازم جلد
حتى اعتزمت على محاجزة * وصددت عنه أيما صد
ما كان من ألم شعرت به * إلا كموقع شرطة الجلد

اذ سالَ مُنبعثاً سوابقُهُ * كالنارِ خارجة من الزندِ
فسلمتُ والرحمنُ سلّمني * ذوالمنِّ والآلاء والحمدِ
مابعدَ طباخي لمفتخرٍ * فخرٌ لمن قبلي ومن بعدي
نصبَ القدورَ بنفسه كرماً * لتصيبَ شهوتنا على عمدِ
فاجادَ صنعتها وعجّلها * من غيرِ ماتعب ولا جهدِ
ونبيذُنا صافٍ ومجلسنا * في الطيبِ يحكي جنة الخلدِ
فهلمّ واحضرْ غيرَ محتشمٍ * واجعل غداءك سيدي عندي
لا تجمعنَّ عليَّ محتسباً * ضعفَ العليلِ ووحشة الفردِ

— محاسن الوصائف المغنيات —

قال الاصمعي بعث الى هرون الرشيد وهو بالرقة فحملت اليه فانزلني الفضل بن الربيع ثم دخلني عليه وقت الغروب فاستدناني وقال . ياعبد الملك وجهت اليك بسبب جاريتين اهديتا الي وقد أخذتا طرفاً من الادب احببت ان تبرز ماعندهما وتسير على الصواب فيهما ثم أمر باحضارهما فحضرت جاريتان مارأيت مثلهما قط فقلت لاحداهما ماعندك من العلم قالت ما أمر الله في كتابه ثم ماينظر فيه الناس من الاشعار والاخبار فسألتها عن حروف القرآن فاجابتني كانها تقرأ في كتاب الله ثم سالتها عن الاشعار والاخبار والنحو والعروض فما قصرت عن جوابي في كل فن أخذت فيه فقلت لها فانشدينا شيئاً فانشدت

ياغياثَ البلادِ في كل محلٍ * ما يريدُ العبادُ إلاّ رضاكَ
لا ومن شرّفَ الإمامَ واعلى * ماأطاعَ الإلهَ عبدٌ عصاكَ

فقلت ياأمير المؤمنين مارأيت امرأة في مسك رجل مثلها وخبرت الاخرى فوجدتها دونها فامر ان تصنع تلك الجارية لتحمل اليه في تلك الليلة ثم قال لي ياعبد الملك انا ضجر واحب ان تسمعني حديثاً مما سمعت من أعاجيب الزمان تفرج به فقلت ياأمير المؤمنين كان لي صاحب في بدو بني فلان وكنت أغشاه وأتحدث معه وقد أتت عليه ست وتسعون سنة وهو أصح الناس ذهناً وأقوامهم بدناً فغبت عنه ثم أتيته فوجدته ناحل البدن كاسف البال فسألته عن سبب تغيره فقال قصدت بعض القرابة فالفيت عندهم جارية قد طلت بالورس بدنها وفي عنقها طبل تنشد عليه

محاسنُها سهامٌ للمنايا * مُريشةٌ بأنواع الخطوبِ
ترى ريبُ المنون بهنّ سهماً * تصيبُ بنصله مُخّ القلوبِ

فقلت

رِقّي شَفقي من مَوضِع الطَّبل تَرتَعي * كما قد أُبحتِ الطَّبلَ في جيدِكِ الحَسَنْ
هَبيني عُودًا جوفُهُ تحتَ مَتنِهِ * تُغنّي ما بينَ نحرِكِ والذقنْ

فلما سمعت شعري رمت بالطبل في وجهي ودخلت الخيمة فوقفت حتى حميت الشمس على مفرقي ولم تخرج فانصرفت قريح القلب فهذا التغير من عشقي لها فضحك الرشيد حتى استلقى وقال ويلك يا عبد الملك ابن ست وتسعين بعشق فقلت قد كان هذا فقال يا عباس أعط عبد الملك مائة ألف درهم ورده الى مدينة السلام فانصرفت ثم أتاني خادم فقال أنا رسول ابنتك ـ يعني الجاريه ـ تقول لك ان أمير المؤمنين قد أمر لها بمال وهذا نصيبك فدفع الى ألف دينار ولم تزل تواصلني بالبر الواصل حتى كانت فتنة محمد وانقطع خبرها وأمر الفضل لي بعشرة آلاف درهم *

علي بن الجهم لما افضت الخلافة الى المتوكل اهدى اليه الناس على اقدارهم فاهدى اليه ابن طاهر جارية اديبة تسمى قبيحة تقول الشعر وتلحنه وتحسن من كل علم احسنه فحلت من قلب المتوكل محلا جليلا فدخلت يوما للمنادمة وخرج المتوكل وهو يضحك وقال يا علي دخلت فرايت قبيحة قد كتبت على خدها بالمسك جعفر فما رايت احسن منه فقل فيه شيئا فسبقتني محبوبة واخذت عودها فغنت

وكاتبةٍ بالمسكِ في الخدِّ جعفرًا * بنفسي خطُّ المسكِ من حيث أثّرا
لئن أودعت سطرًا من المسك خدَّها * لقد أودعتْ قلبي من الوجدِ أسطرا
فيا منْ لمملوكٍ يظلُّ مليكُهُ * مُطيعاً له فيما أسرَّ وأجهرا
ويا منْ لعيني من رأى مثل جعفر * سقى اللهُ صوبَ المسكرات لجعفرا

قال فبقيت خواطري حتى كاني ما احسن حرفا من الشعر وقلت للمتوكل أقل فقد والله غرب عني ذهني فلم يزل يعيرني به ثم دخلت عليه للمنادمة بعد ذلك فقال يا علي اعلمت اني قد غاضبت محبوبة وامرتها بلزوم مقصورتها ومنعت اهل القصر من كلامها فقلت يا سيدي ان غاضبتها اليوم فصالحها غدا فدخلت عليه من الغد فقال ويحك يا علي رايت البارحة في النوم كاني صالحت محبوبة. فقالت جاريته شاطر ياسيدي لقد سمعت الآن في مقصورتها هينمة فقال تنظر ماهي فقام حافيا حتى وصلنا مقصورتها فاذا هي تغني

أدورُ في القصرِ كيْ أرى أحدًا * أشكو اليه فلا يكلّمني
فمنْ شفيعٍ لنا إلى ملكٍ * قدْ زارني في الكرا يصالحني
حتى إذا ما الصّباحُ عادَ لنا * عادَ إلى هجرهِ فقارقني

فصفق المتوكل طربا فلما سمعته خرجت تقبل رجليه وتمرغ خدها في التراب حتى اخذ

بيدها راضياعنها ، حدث أبو على بن الإسكرى المصرى واسكرهى القرية التى ولدفيها موسى عليه السلام — قال كنت من جلاس تميم بن تميم وممن يخفف عليه فأتى من بغداد بجارية رائعة فائقة الغناء فدعا بجلسائه وقدمت الستارة فغنت

وَبدا لهُ من بعدِ ماا ندملَ الهوى * برقٌ تألقَ موهناً لمعانهُ
يبدُوا كحاشيةِ الرِّداءِ ودُونهُ * صَعبُ الذُّرَى ممتنع أركانهُ
وبدا لينظرَ كيف لاحَ ولم يطقْ * نظراً اليهِ وهدَّهُ هيجانهُ
فالنارُ ما اشتملتْ عليهِ ضلوعهُ * والماءُ ما سَحتْ بهِ أجفانهُ

قال فأحسنت ماشاءت فطرب تميم ومن حضرثم غنت

سَيُسليكَ عما دُونَ دولةِ مفضلِ * أوائلهُ محمودةٌ وأواخرهْ
ثنى اللهُ عطفيهِ وألفَ شخصهُ * على البرِّ مذ شدتْ عليهِ مآزرهْ

فطرب تميم ومن حضر ثم غنت

أستودعُ اللهَ فى بغدادَ لى قمرا * بالكرخِ من فلكِ الأزرارِ مطلعهُ

فافرط تميم فى الطرب جدا وقال لها تمنى ماشئت فلك مناك قالت أتمنى أيها الامير عافيته وسلامته فقال والله لابد أن تتمنى ، فقالت على الوفاء أتمنى أن أغنى هذه النوبة ببغداد فتغير وجه تميم وتكدر المجلس وقمنا فلحقنى بعض خدمه فردنى فلما وقفت بين يديه قال ويحك أرأيت ماامتحنا به ولا بد لنامن الوفاء ولم أثق فى هذا بغيرك فتأهب لحملها الى بغداد فاذا غنت هناك فاصرفها فقلت سمعا وطاعة ثم أصحبها جارية سوداء تخدمها وتعادلها وأمر بناقة لى فحمل عليها هودج وادخلت فيه وسرنا مع القافلة الى مكة فقضينا حجنا ثم لما وردنا القادسية اتتنى السوداء فقالت تقول لك سيدتى أين نحن، فقلت لها نحن الآن بالقادسية فاخبرتها فسمعت صوتا قد ارتفع ناشدا

لمَّا رأينا القادسيَّةِ حيثُ مجمعُ الرِّفاقِ
وشممتُ من أرضِ الحجا * زِ نسيمَ أنفاسِ العراقِ
أيقنتُ لى ولمنْ أحبُّ بجمعِ شملٍ واتفاقِ
وضحكتُ من فرحِ اللقا * ءِ كما بكيتُ من الفراقِ

فصاح الناس من أقطار القافلة اعيدى بالله فلم يسمع لها كلمة فلما نزلنا الناصرية على خمس أميال من بغداد فى بساتين متصلة تبيت الناس فيها ثم يبكرون ببغداد فلما اقرب الصباح اذ السوداء قد اتتنى مذعورة فقالت ان سيدتى ليست بحاضرة فلم أجدها ولا وجدت لها ببغداد خبرا فقضيت حوائجى وانصرفت الى تميم وأخبرته خبرها فلم يزل واجما عليها واخبار القينات

كثيرة فنقتصر منها على هذا القدر

— محاسن الجوارى مطلقا —

قيل كان يقال من أراد قلة المؤونة وخفة النفقة وحسن الخدمة وارتفاع الحشمة فعليه بالاماء دون الحرائر ، وكان مسلمة بن مسلمة يقول: عجبت لمن استمتع بالسرارى كيف يتزوج المهائر ، وقال ، السرور باتخاذ السرارى وكان أهل المدينة يكرهون اتخاذ الاماء أمهات أولادهم حتى نشأ فيهم على بن الحسين بن على رضى الله عنهم وفاق أهل المدينة فقها وعلما وورعا فرغب الناس فى اتخاذ السرارى قال وليس من خلفاء بنى العباس من أبناء الحرائر الا ثلاثة السفاح والمنصور والامين والباقون كلهم أبناء الجوارى وقد علمت الجوارى لانهن يجمعن عز العرب ودهاء العجم

— ضده —

إذا لم يكن فى منزل المرء حرة * رأى خللا فيما تولى الولائد
فلا يتخذ منهن حرّ قعيدة * فهن لعمر الله شرّ القعائد

وكان يقال ، الجوارى كخبز السوق والحرائر كخبز الدور ، ومن أمثال العرب لا تمازح أمة ولا تبك على اكمة . وقال بعضهم لا تفترش من تداولتها أيدى النخاسين ووقع ثمنها فى الموازين وقال لا خير فى بنات الكفر وقد نودى عليهن فى الاسواق ومرت عليهن أيدى الفساق

— محاسن الموت —

فى الحديث المرفوع الموت راحة وقال بعض السلف ما من مؤمن الا والموت خير له من الحياة لانه ان كان محسنا فالله يقول « وما عند الله خير للابرار » وان كان مسيئا فالله تعالى جدّه يقول أيضا « ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملى لهم خير لانفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما » وقال ميمون بن مهران أتيت عمر بن عبد العزيز فكثر بكاؤه ومسئلته الله الموت فقلت يا أمير المؤمنين تسأل ربك الموت وقد صنع الله على يدك خيرا كثيرا أحييت سننا وأمت بدعا وفعلت وصنعت وليقاؤك رحمة للمؤمنين ، فقال ، الا اكون كالعبد الصالح حين اقر الله عينه له امره قال « رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تاويل الاحاديث » الى قوله « والحقنى بالصالحين » فما دار عليه اسبوع حتى مات رحمه الله قالت الفلاسفة لا يستكمل الانسان حد الانسانية الا بالموت لان حد الانسانية انه حد ناطق ميت وقال بعض السلف ، الصالح اذا مات استراح والطالح اذا مات استريح منه قال الشاعر

وما الموتُ إلا راحة غيرَ انه * من المنزل الفانى إلى المنزل الباقى

وقال آخر

جزا اللهُ عنا الموتَ خيرًا فإنَّهُ * أبرُّ بنا من كلِّ برٍّ وأرأفُ
يُعجلُ تخليصَ النفوسِ من الاذى * ويُدنى من الدارِ التى هى أشرفُ

وقال منصور الفقيه

قد قلتُ إن مدحوا الحياةَ فاسرفوا * فى الموتِ ألفُ فضيلةٍ لا تُعرفُ
منها أمانُ بقائه بلقائهِ * وفراقُ كلِّ معاشرٍ لا يُنصفُ

وقال أحمد بن أبى بكر الكاتب

من كان يرجو أن يعيشَ فإننى * أصبحتُ أرجو أن أموت فاعتقا
فى الموتِ ألفُ فضيلةٍ لو أنها * عُرفت لكانَ سبيلهُ أن يُعشقا

وقال لنكك البصرى

نحنُ واللهِ فى زمانٍ غشومِ * لو رأيناهُ فى المنام فزعنا
أصبحَ الناسُ فيه من سوءِ حالٍ * حقُّ من مات منهم ان يُهنا

— ضده —

فى الحديث المرفوع أكثروا ذكر هادم اللذات يعنى الموت ، قال الشاعر

ياموتُ ما اجفاكَ من نازلٍ * تنزلُ بالمرءِ على رغمه
تستلبُ العذراءَ من خدرِها * وتأخذُ الواحدَ من أُمّهِ

وقال

وكلُّ ذى غيبةٍ لهُ إيابُ * وغائبُ الموتِ لا يؤوبُ

وقال بعضهم الناس فى الدنيا اغراض تنتصل فيها سهام المنايا وقال ابن المعتز الموت كسهم مرسل اليك وعمرك بقدر سفره نحوك وقال بعضهم الموت أشد مما قبله وأهون مما بعده ونظر الحسن رضى الله عنه الى ميت يدفن فقال ان شيئا أوله هذا لحقيق أن يخاف آخره وان شيئا هذا آخره لحقيق أن يزهد فى أوله وسئل بعض الفلاسفة عن الموت فقال مفازة من ركبها ضل خبره وعفى اثر والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

﴿ تم الكتاب بعون الملك الوهاب ﴾

﴿ فهرس كتاب المحاسن والاضداد ﴾